



كارولين أريكسون

المفقود

THE MISSING

ترجمة / ساميه على

الرواية التي تمت ترجمتها لأكثر من ٢٥ لغة من مختلف الدول حول العالم

المفقود





لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا



لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



المفقود - الكتاب: المفقود المؤلف: كارولين إريكسون ترجمة: سامية علي تصميم الغلاف: أحمد وهبة تدقيق لغوي: إسلام أبو المعاطي رقم الإيداع: 2018/22657 الترقيم الدولي: 978-977-778-149-7

الكتاب: المفقود

المؤلف: كارولين إريكسون

ترجمة: سامية علي

تصميم الغلاف: أحمد وهبة

تدقيق لغوي: إسلام أبو المعاطي

رقم الإيداع: 2018/22657

الترقيم الدولي: 978-977-778-149-7





المفقود - الكتاب: المفقود المؤلف: كارولين إريكسون ترجمة: سامية علي تصميم ال
أحمد وهبة تدقيق لغوي: إسلام أبو المعاطي رقم الإيداع: 2018/22657 الترخيم
الدولي: 978-977-778-149-7

20 عمارات منتصر - الهرم - الجيزة

ت: 338560372-02

info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

المفقود

رواية

للكاتبة/ كارولين إريكسون

ترجمة

سامية علي





6المفقود - إهداء إلى جدي وجدتي الأُحباء إلى الليالي الصيفية إلى الأكلات الشهية
كل من يدعم كتاباتي و إلى كل شيء آخر

إهداء

إلى جدي وجدتي الأُحباء

إلى الليالي الصيفية

إلى الأكلات الشهية

إلى كل من يدعم كتاباتي

و إلى كل شيء آخر

(1)

كانت الشمس في طريقها للغروب، والقارب الصغير يشق المياه مثل سهم لتوّه فارق الوتر، كنت أجلس في القارب مغمضة عيني تلافياً لرذاذ الماء المتناثر، أقاوم بقوة ذلك الشعور بالغثيان مع الميل المفاجيء للقارب والذي يجعلني أميل معه، قلت لنفسي «ليته يبطيء سرعته»، وكأنما سمعني «أليكس» فأبطأ السرعة بالفعل.

التفتُ لأراه، كان أليكس يمسك بمقود القارب وعلى جبهته علامات التركيز العميق، في كل مرة كنت أنظر إليه كنت أجده يفيض بالرجولة الحقيقية، برأسه الحليق والذي أضفى عليه مهابة كبيرة. أنا لا أعرف.. هل يوصف الرجال بالجمال!، في الحقيقة لا، لكن أليكس كان جميلاً بالفعل.

وفجأة قام أليكس بإيقاف الموتور، هذه الحركة المفاجئة جعلت القارب يلف على شكل دوائر أخذت تتسع كلما ابتعدت، كانت «سميلا» الصغيرة تترنح من

الدوار، لذا حاوْطَتها بذراعي واحتضنتها بقوة، وبشكل غريزي امتدت يدها الصغيرة لتمسك بيدي، فسَرَثَ مَوْجَة دافئة بداخلي، وأخذ الصمت يلفُّ كل شيء بعد سكوت موتور القارب تمامًا.

كان شعر «سميلا» ينسدل بنعومة على وجهها ويتطاير حين تحركه الريح بالقرب من وجهي، كنت على وشك أن أتكىء للأمام لك أدفن رأسي في شعرها الناعم. لكنني فوجئت بأليكس وهو يمسك مجداف القارب ..

«هل ترغبين في التجديف؟»

ردت سميلا على الفور «بالطبع» وقفزت سريعاً.

«تعالِي»

ابتسم أليكس وتابع

-«بابا سوف يعلمك كيف تجدفين»

ومدّ يده، فأمسكتها فساعدتها لكي تمشي بحذر ناحية مؤخرة القارب، وراح يعلمها كيف تجدّف، ثم أخذ يجدفان معا.

أثناء التجديف كانت «سميلا» تضحك بصوت عالٍ وصرخات صغيرة مليئة بالسعادة، حدثت في البثور الصغيرة الموجودة على خدها الأيسر، ثم تلاشت رؤيتي لها حين التفّطُّ لكي أرى البحيرة واتساعها الرهيب، يقول أليكس إن هذه البحيرة «ليس لها اسم في الوثائق العامة»، ولكن الجميع هنا يطلقون عليها بحيرة «الخبث».

ليس هذا كل ما قاله ولكنه حكى لنا قصصا عن البحيرة وما يقوله السكان المحيطين بها، وكل قصة كانت أكثر رعبًا من التي قبلها، تقول الروايات أنّ هناك لعنة ما قد أصابت مياه البحيرة منذ زمن بعيد، وأن شرور هذه اللعنة تستعبد النفوس وتجعل الناس يرتكبون أفعالاً مخيفة رغماً عنهم.

وبدا الأمر أشبه بالأسطورة، ودعمتها الكثير من الحكايات مثل اختفاء أطفال بالغين دون أن يعثر لهم على أثر، وحكايات أخرى ملخصها أن الكثير من الدماء قد سالت هنا.

وراح صوت جنائزي بلحن موجه ينطلق في الفضاء المحيط بنا، التفت تجاه الصوت، ولاحظت أن «أليكس» و«سميلا» فعلا نفس الشيء، كان واضحا كمّ الوجد في الصوت، أنين قوي وكأنها صرخات موسيقية تعوم في الفضاء القريب، وراحت أنظارنا تحاول الكشف عن مصدره، ورأيناه، وعلى بُعد مسافة بعيدة كان هناك خيال مظلم يتحرك، كان يصرخ بين الحين والآخر، وراحت زوبعة هوائية خفيفة تحيط بنا، وفي اللحظة التالية اختفى تماما كأن لم يكن له أثر، كما لو أن مياه البحيرة ابتلعتة تماما. وضع أليكس ذراعاً حول «سميلا» الصغيرة خوفاً عليها وأمسك المحرك بذراعه الآخر، وقال «يا له من وغد»، وراح يشرح الأمر محاولاً التخفيف من وطأته في نفوسنا «يُعتقد أن يكون من الجوارح التي تواجدت من زمن ما

قبل التاريخ وذلك بسبب الصوت الذي صدر منه. لذلك يعتقد الكثير من الناس أنه شيء مخيف.»

التفت «أليكس» نحوي، ولكنني تَحَاشَيْتُ النظر إليه من الخوف الذي كان يَلْفُني تماما، وحوّلت نظرتي إلى «سميلا» وسميلا نفسها كانت تحقق في المكان الذي اختفي فيه هذا الشيء، التفتت «سميلا» نحو «أليكس» وسألته بتوتر مليء بالخوف عما إذا كان الطائر سوف يخرج من الماء للتنفس. فضحك «أليكس»، ومسح علي شعرها وقال أنه يستطيع البقاء تحت الماء لعدة دقائق.

وعليها فلا داعي للقلق.» لأنه نادرا ما يظهر في نفس المكان الذي اختفي فيه»، التقط مجداف القارب ليستكمل التجديف لبقية الطريق. وعادت «سميلا» الصغيرة إلى منتصف القارب و جلست، و لكن من الغريب أنها ابتعدت عني.

رُحْتُ أنظر إليها وأتَفَرَّسُ في ملامحها الناعمة وهي تدور بعينها في سطح البحيرة في محاولة لرؤية

الطائر الأسطوري .

إنها لا تستطيع التوقف عن التفكير في الطائر.
وتتساءل ببراءة «أين هو الآن؟» وعما إذا كان حقاً
يمكنه البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة تحت الماء..

وضعت يدي على ظهرها لأطمئنها، في تلك اللحظة
أبدلت «سميلاً» مكانها فلم أستطع رؤية وجهها. نظرت
إلى «أليكس» فوجدته يضحك لها؛ فأيقنت أنها تبتسم
له ثقةً به واعتماداً عليه. ثم قالت «بابا يقول أن الطائر
سيكون بخير، وبابا رأيته سديداً».

ثلاثين قدمًا تفصلنا عن الجزيرة الواقعة في منتصف
بحيرة «الخبث» و هذا هو المكان الذي نتجه إليه .

أثناء سيرنا كنت أنظر إلى سطح ماء البحيرة، محاولة
إزالة الأعشاب الطافية والعيذان الطويلة للقصب
ليتضح لي القاع بسهولة، ماء البحيرة أصبح أكثر
ضحالة. تطفو على سطحه الطحالب التي تلتف حول
الهيكل مثل الأصابع الخضراء الطويلة شديدة اللزوجة،

بزيادة سرعة القارب. ترتطم بنا عيدان القصب الطويل، وننحنى برؤوسنا عندما يجنح القارب. قفز «أليكس» ناحيتي أنا و«سميلا» يمنعا من الوقوع، تحركاته تجعل القارب يهتز بنا. أمسكت بالحافة العليا للقارب وأغلقت عيني حتى يتوقف، ربط «أليكس» الحبل على شكل حلقات حول أقرب جذع شجرة بإحكام شديد، وخلعت «سميلا» سترة النجاة وغادرت القارب قبلي بحركة سريعة تدل على خوف، داست على قدمي ووكزتني بكوعها في ثديي الأيمن، حتى إنني من ألم الصدمة صَرَخْتُ بصوت عالٍ، ولكنها لم تلاحظ وحتى إذا لاحظت فإنها لا تهتم.

إنها حريصة أن تصل لأبيها ولا يهملها أي شيء آخر، أي شخص يراها معا يقول أن «سميلا» تحب «أليكس» أكثر من أي شيء في العالم.

عند مغادرتنا القارب اتجهنا نحو المرسى، كانت تُصِرُّ على المشي، أو الوثب بجانبه. أطلت أشعة الشمس المائلة من خلال فروع شجر «التثوب» على طول مسار الغاية الضيق؛ كانت «سميلا» الصغيرة تثرثر

بسعادة بالغة. وسرعان ما اتَّجَهَتْ هي وأبيها إلى شاطئ الجزيرة، تماما مثل القراصنة الحقيقيين، كانت «سميلا» الصغيرة أميرة القراصنة، و بابا هل كان من الممكن... أن يكون ملك القراصنة ؟ ضَحِكَت «سميلا»، وجرت يد «أليكس» بقوة، لم تستطع الوصول للبحيرة بسرعة كافية بينما كنت أنا آخذ عدة خطوات إلى الوراء، ألقيت عليهم نظرة وهم بجوار بعضهم البعض كانت تميل على «أليكس» وتطوقه بذراعيها الصغيرة الناعمة الملفوفة حول ساقيه.

كلاهما على الشاطئ بينما أنا لا أزال جالسة في القارب. هذه المرة، أشار «أليكس» لي بيده، و رفع حاجبًا واحدًا.. ترددتُ في النزول حتى أنه لاحظ ذلك وقال في وجوم: «هيا .

من المفترض أن تكون هذه نُزهة عائلية، «حبيبتى»، فنظرت «لسميلا» الصغيرة، كانت تُكْشِر لي بغرابة. أشحْتُ بيدي وصَحْتُ فيهما «إذهبا أنتما الاثنان » سوف أنتظركم هنا.

أعاد «أليكس» طلب حضوري معهم بفتور، وعندما رفضت، تجاهلني، و نظر «لسميلا» التي ظهرت تكشيرتها على وجهها، و لمعت عيناها بالإثارة. وهنا صاح «أليكس» إلى كل من في الجزيرة احترسوا! لقد أتى بابا القرصان و «سميلا» الأميرة القراصنة!

ما إن انتهى «أليكس» من الصّياح حتى أمسك ب «سميلا» وحملها على ظهره و بدأ بالركض على المنحدر.

لقد رسى بنا القارب في مكان كل جانب منه أكثر حدة من الآخر، ولكن وبالرغم من المنحدر لكن ذلك لم يجبر «أليكس» على الإبطاء من ركضه.

وصل إلى قمة التل واختفى عن رؤيتي. جلست أستمع إلى أصواتهما حتى بدا صدى أصواتهما يتلاشى ببطء.

حاولت أن أميل قليلا وأدوس بيدي بلطف على أسفل ظهري، شيء ما جعلني أنحني للأمام لأنظر حولي، الماء بلا حراك تقريبا تحت القارب، البحيرة مظلمة

أمام عيني . دقت النظر ولكن لم يعد بإمكانني رؤية ما هو موجود أسفل سطح الماء الشيء الوحيد الذي كان يحدق بي هو انعكاس هيئتي المتشقة والمظلمة. وأخيراً، سمحت لأفكاري أن تذكرني بما حدث مساء أمس وأثناء الليل .

أتذكر كل كلمة، كل حركة، بينما أحدق على كل ما تعكسه لي عيني، مع كل شيء يذكر، يزداد تحديقي، ويصبح أكثر ظلمة وسواداً، وبطريقة لا إرادية لففت يدي حول رقبتة. مرت لحظات، دقائق. دهرأً بأكمله. يبدو الأمر كما لو أنني استيقظت من عالم الغيب، إحساسي بالرقود أصبح معدوماً تماماً. و تساءلت، كم من الوقت قد مكثت هنا؟ ارتجفت و لففت ذراعي حول جسمي . تغرق الشمس تحت قمم الأشجار، ترسل أشعتها الشبيهة بالدم في الأفق. داهمني نسيم المساء البارد، وأحسست ببرودة تجتاحني. استلقيت على ظهري وحاولت أن استمع لأي صوت، ولكن للأسف لم يأتيني صوت «أليكس» المفضل لي و لا صوت «سميلا» الصغير والمبهج، الصوت الوحيد الذي

أسمعه هو صوت الخراب المقفر من حولي، أنا أرتجف من الرعب، ربما هم يلعبون لعبة القراصنة و يستكشفون الجزيرة الآن. أكاد أتخيل مدى الإثارة التي ستنالها «سميلا» بعد ذلك، وربما لا تكون مستعدة للتخلي عن هذه المغامرة الجنونية، ربما يسIRON في جميع أنحاء الجزيرة أو حتى يلعبون «الغميضة» على الجانب الآخر، وهذا يفسر عدم سماع أي صوت لهم. أغمضت عيني وتذكرت كيف كانوا متماسكين في الصباح، فكرت في طاقة «أليكس» وصبره التي تتيح له أن يلعب لمدة طويلة بدون تعب، مقارنة بالآباء الآخرين الذين يتعبون من اللعب مع أبنائهم. هيا يا حلوتي، لنعد إلى القارب. ماما تنتظر، «أليكس» لا يقول هذا أبدا، إنه أب جيد، فتحت عيني مرة أخرى وأملت إلى أسفل القارب أستشعر بنظري سطح البحيرة الداكن.

كان أليكس أبًا جيدًا، أبًا جيدًا فعلاً.

عندما اعتدلث من مِيلي على سطح البحيرة، لم يكن
 Page 11 of 12
 لا أصوات، لا ضحكات، لا حتى أنين،

جلست للحظة بدون حراك أستمتع فقط. ثم، فجأة، أيقنت أنه لا داعي للقيام بجولة حول الجزيرة أو حتى نداء أسماءهم. ليس علي حتى القيام والخروج من القارب لمعرفة ماذا حدث، كان هناك شيء يخبرني أنهما لن يرجعا ثانية، ما رأيته كان كفيلا لإيقاعي بهذا، أخذت ضربات قلبي تتصاعد بعنف، لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن أن يعيب أليكس وسميلا، كيف ستمر حياتي بدونهم، لا يمكن أن يضيعا، ربما يلعبان في مكان ما وتعبا، ربما .. لا لا يمكن أن يغيبا أبدا، ولكن كان ذلك الحس يتصاعد بداخلي..

«أليكس» و «سميلا» لن يرجعا ثانية لقد ذهبا .

(2)

كان هناك شعور يسري بداخلي أنه لا فائدة، ومع ذلك قمت جريا للبحث عنهما، أخذت قميص أليكس الأزرق الداكن الملقى في مؤخرة القارب، ونزلت وسحبت القارب إلى البر، ووجدت نفسي وحيدة على الشاطئ، تقدمت وناديت بقوة على أليكس وسميلا، ولكني لم أتلق إجابة كما توقعت، وضعت قميص أليكس فوق رأسي فانسدل على وجهي، كانت له رائحة أليكس التي أحبها، أحسست بآلام حادة في الأمعاء، ولكني تجاهلت الألم وبدأت في التوجه نحو المنحدر، لم أخط بضع خطوات حتى أحسست بضيق في صدري وبالكاد أتنفس، أعرق مما كنت أتصور، كان جسدي ثقيلاً وبطيئاً، ورافضاً تماماً للحركة، لكنني ضغطت على أسناني وأجبرت نفسي على الاستمرار.

انزلت قدمي في مستنقع موحل، ثبتت يدي حتى لا أسقط وأنزلق، وأخيراً، استطعت الوصول إلى قمة المرتفع. حاولت مرة أخرى النداء عليهما، ولكن دون جدوى، كان حلقى يكاد يحترق، وشعرت لوهلة أن

قفصي الصدري قد انقسم إلى نصفين صغيرين،
وبالرغم من هذا قمت بمجهود كبير حتى أن الهواء كان
شحيحا ورئتاي لم تعد تحتل .

وكأنني كنت أحاول الصراخ في منتصف كابوس
مخيف. بدأت معدتي في التقلصات التي تتبععتها
تشنجات واحدة تلو الأخرى.

حاولت أن أصرخ ثانية، ولكن تعب جسدي لم يسعفني،
تجشأت بصوت عالٍ، وخرج من فمي سائل عفن أصفر
اللون. ساقاي ترتعشان وأنا أميل إلى جانب واحد،
مسحت فمي بكمي القميص. وجلست على الأرض
للحظة، كما لو أنني سقطت في مطاردة لعدو ما.

تَسَنَّدْتُ ووقفت مرة أخرى، و لكن شعرت بضعف
جسدي مرة أخرى بالرغم من أنني قادرة على المسير.
وبدلاً من محاولة الصّياح التي لا جدوى منها، قررت
استكشاف الجزيرة.

لا توجد العديد من الأماكن المفتوحة في الجزيرة، فقط أشجار مورقة، ونباتات تصل إلى مستوى خصري، لا يوجد مكان يسمح بالمرور بسهولة من خلاله. خصوصاً لفتاة مثل سميلة تبلغ من العمر 4 سنوات! لا أستطيع رؤيتها و «أليكس» في أي مكان.

تعثّرتُ للأمام، أعلم ما عليّ أن أقوم به ولكن إلى أي اتجاه أذهب ومن أين أبدأ، هناك بقعه تم دفع العشب فيها جانباً، و كان واضحاً أنّ هناك من خطى على الأرض، قلت في نفسي سأتوجّه من هنا، ولكن خفت أن يكون خيالي قد هبأ لي هذه الخطوات وأنها ليست حقيقية، وأردت أن أردد أسمائهم مرة أخرى، على الرغم من عدم توقعي لأي إجابة.

اجتاحني شعور أن ما أفعله مألوفاً، كما لو أنني أتصرف وفقاً لخطة مُسبقة. أنا ببساطة أتصرف بالطريقة التي يجب أن أتصرف بها. كما لو أنني أقوم بدوراً إلزامياً، وليس اختيارياً.

الصمت يخيم على المكان، صمت مشؤوم و ثقيل،
وفجأة؛ شعرت بحركة بين الأشجار على بُعد خطوات
مني. أقحمت يداي وسط العشب لأفتش عن شيء.
لمحت قنفذاً يجري بعيداً بأسرع ما تقدر ساقيه
الصغيرتين. نظرت أمامي مرة أخرى، العشب لا يدل
على أنه دفع بالأيدي أو صار عليه أحداً. ليس هناك ما
يشير إلى أن رجلاً وطفلة صغيرة قد مروا من هذا
الطريق. كنت أدور وأنظر حولي.

ثم مضيتُ قدماً مرة أخرى، وأنا أنظر على جانبي
الطريق ولكن ليس هناك أي أثر لأشخاص، أو حتى من
طريقي الخاص. إنني أقف وسط بحر من العشب
الطويل يحيط بي من جميع الأطراف . صامتاً لا
يتحرك .

انتابتنى موجة من الدوار، حاولت أن أحافظ على
توازني فقممت بإغماض عيني قليلاً . ثم رفعت يدي
عن عيني و فتحتهما مرة أخرى. أواخر أشعة الشمس
القرمزية تنغمس و راء قمم الأشجار عبر البحيرة. أنا

وحدى فى مكان غير مألوف، وحدى مع السكون و الظلام، الذى بدأ يسقط بسرعة.

اخترت اتجاهاً بشكل عشوائى و بدأت فى التحرك من خلال طريق وعر.

رجل و فتاة صغيرة يذهبان إلى الشاطئ على جزيرة، ولا يعودان. ما الذى يمكن أن يكون قد حدث لهما ؟. همهمثُ لنفسي ببعض التفسيرات المعقولة. ربما انغمسوا فى لعبة ونسوا كل شيء عن الوقت، أو ربما ببساطة..

كنت بشكل أو بآخر أحاول الخروج بسيناريوهات أخرى محتملة، أسباب طبيعية تمامًا، ربما تهديء من روعى قليلا، و لكن المشكلة أنه لا يوجد تبرير يوضح لي لماذا «أليكس» و «سميلا» مازالا مفقودين، و لماذا لا يستجيبان لنداءاتي. فتحت فمي لأصيح من جديد.

أثناء تعثري، كنت أنظر بعيني على الأرض والأشجار. أخذت قدمي تتحرك بشكل أسرع، وتحركاتي أصبحت

أكثر فوضوية. أمشي بلا هدف، لم أعد أعلم من أين أتيت أو إلى أي اتجاه أذهب . أنا متوترة جدا لدرجة أنني لا أستطيع توجيه نفسي بشكل صحيح، لا أرى أي أثر لبشر في أي مكان . «سميلا»! أشعر أن صرخاتي تخرج وترجع ليكتمها صدري.

في تلك اللحظة، شدّ انتباهي شيء ما. الرعشة تهزّ كيائي. توقفت ! كانت صخرة على بعد ياردتين مني. وعلى بعد مسافة قصيرة منها، يوجد شيء ما آخر. شيء مظلم، ولكني لا أعرف ما هو بالتحديد. تطلعت إليه، إنّه ينتمي إلى شخص. في هدوء مليء بالرعب مما قد أجده، اقتربت أكثر، فتّشت في العشب بحذر. إنها فردة حذاء أسود ممزقة و باهتة. التوتر الذي كان في صدري بدأ يتلاشى قليلا: لم أرى هذا الحذاء من قبل إنه لا يخص «سميلا» أو «أليكس».

لا أفهم لماذا شعرت بقوة خارجية تتحكم في إصبعي، وكأن هذه القوة ترتفع من الأرض، ارتديت إلى الوراء ثم سحبت يدي ووقفت مرة ثانية.

سألت نفسي ما هذه الأفكار الغريبة والمفاهيم التي تستمر في الزحف نحوي ؟ بقايا قصص «أليكس» المتعلقة بالأشباح ما تزال عالقة في ذهني. القصص حول بحيرة «الخبث» و قواها الملعونة.

و بسرعه قلت لنفسي أن تلك القصص ليست أكثر من خوارق للطبيعة ممزوجة بخرافات قديمة. استمررت في المشي أسرع و أسرع، حتى وصلت للركض. انغمست بين جذوع الأشجار، ظلالها تزداد أكثر فأكثر، فروعها النحيفة تلتف حول جسدي مثل الأذرع الطويلة. شيء ما يمسك بي، أغصانه تكشط في فروة رأسي كالمخالب، فصرخت بأعلى صوت لا إرادياً من شدة الألم. صوت خوفي كان كثيراً بالنسبة لي .

الأوهام تملأ عقلي، لم أعد أستطيع السيطرة عليها، موجات عاطفية تزداد أكثر فأكثر بداخلي.

لن أجدهم .

لن أجدهم أبداً.

في تلك اللحظة وكأنني سمعت شيء ما يقول لي، عليك القيام بمكالمة هاتفية . بالطبع إنه أول شيء نلجأ إليه عند فقدان شخص ما. لماذا لم أفكر في ذلك من قبل ؟ أبطأت من سيري، أخذت نفسًا عميقًا، أدخلت يدي في جيب السروال لكنني لم أجد شيئًا، تفقدت الجيب الآخر لم أجد شيئًا أيضًا. أين يمكن أن يكون؟ هل فقدته في مكان ما على الجزيرة؟ أم أنني تركته في القارب ؟ ذاكرتي تجمع ببطء.

أنا لم آخذ الهاتف معي عندما تركت الكابينة. لقد كان قراراً متهوراً أن نقوم بهذه الرحلة. و في الواقع لم أكن أنوي القيام بها، ومع ذلك فعلت. أحس بضيق في صدري مرة أخرى، ولكن هذه المرة ليس من مشقة التنفس . مرة أخرى أنظر حولي، وأنا فاقدة الأمل. ولكنني لم أجد شيئًا استدل به عليهما، يا إلهي أكاد أجزم أنني تركت الهاتف في حقيبتني.

ومع ذلك، لا يبدو هذا صحيحًا، كيف يمكنني مغادرة الجزيرة بدون العثور على «سميلا و أليكس» ؟ كيف

يمكنني ببساطة تركهم لحتفهم ؟ يوجد شيء مخيف حول هذه الكلمات. هناك شيء غير صحيح .

لا! لقد طردت الهاجس المخيف و بدأت في السير بسرعة. بمجرد حصولي على الهاتف، كل شيء سوف يكون على ما يرام. سأتمكن من الاتصال «بأليكس»، أو سيتصل بي. من يدري، وربما يكون حاول بالفعل مكالمتي. يجب أن أتجاوز السرعة أكثر من ذلك، متجاهلة كم أنا متعبة. أنا في أشد الحاجة لوضع يدي على الهاتف. السؤال الوحيد الآن، هل أستطيع العودة إلى نقطة البداية حيث قمنا بتقييد القارب؟.

أتقدم خطوة أخرى للأمام، وأسقط في الظلام مرة أخرى، تختفي الأرض من تحت قدمي، في آخر لحظة حاولت أن أقف، لكن أمعائي تتأرجح، عندما هدأت، كنت ما أزال واقفة في مكاني لفترة طويلة، أصدق في المشهد الذي أمامي، إنه التل الذي أتيت منه، إنه أشبه بمنحدر مزيف، كيف يمكن أن أعود هنا مرة ثانية؟

في حالي المشوشة هذه، من المستحيل معرفة من أي طريق أتيت منه. و لكني أستطيع رؤية الخطوط العريضة للقارب، حددت فيه بعواطف مختلطة، بوضوح، «أليكس وسميلا» ليسا هناك، ولكن على الأقل القارب لا يزال موجوداً .

للمرة الثانية تخطر في بالي تلك الأفكار الغريبة وهي ماذا سيحدث لو أن القارب لم يكن موجوداً؟ هناك شيء يزعجني، عدم ارتياح معين، أم أنه ندم ؟ إذا رجع بي الزمن للوراء فسوف أفعل الأشياء بشكل مختلف، أحاول التخلص من هذا الشعور، مرة أخرى لكي أهون على نفسي.

الظلام دامس الآن، كل شيء مطموس في الظلام . شاهدت خيالين أحدهما طويل والآخر قصير، يقتربان مني، وسط الصّياح و الضحك ولكن لا يوجد أحد هناك. عصفور يغرد بالقرب مني، إنني أستطيع الإحساس به، لمحت هيئة لجسم مخيف ذو منقار، كما لو أنه خنجر، وما لبث هذا الكائن أن غطس في مياه

البحيرة، حدقت النظر به للحظة، وبعدها خطوت على الحافة.

(3)

بطريقة ما تمكّنت من إيجاد طريق عودتي، أدت القارب وابتعدت بأقصى ما سرعه بعيداً عن الجزيرة، عبر البحيرة توجد الكثير من المراكب الفارغة المصنوعة من الألياف الزجاجية على ذلك الرصيف المتهالك، يدي ترتعش، و أصابعي لا تطاوعني لأربط القارب. أشعر بصلابة جسدي و توتره، أتنفس بصعوبة حيث تعثرت في الطريق الضيق للخروج من البحيرة، لقد أفقدني جذع شجرة في الأرض توازني، الألم القديم في فخذي عاد من جديد، و لكنني ضغطت على أسناني بقوة و مضيت في التسلق، هاهي الكابينة بسكونها المعتاد، هي الأخيرة في صف المنازل على الطريق، محمية بسياج من حديد، و على الجانب الآخر جبل شديد الانحدار، المفتاح موجود كما تركته أسفل الدواسة، أصابعي باردة كالجليد، أتعثر في فتح الباب، لا بد لي من أخذ عدة أنفاس وأضغط بقوة، ونجحت في فتح الباب.

وحين كنت أهتم بإغلاق الباب خلفي، رأيت مخلوقاً فروياً ينزلق بين ساقي إلى داخل الكابينة. سمعت مواءاً غاضباً كما لو أن القط انتظر عقوداً لكي يقول لي أنه ساخط.

لم أعط اهتماماً للقط أو حتى أزعجت نفسي بخلع حذائي، أضأت كل الأنوار وفحصت جميع الغرف. ناديت على «سميلا و أليكس»، ولكن لا أحد يجيب. نظرت إلى الكابينة كل شيء كما تركناه عندما غادرنا. كما لو أن الزمن توقف بعد ذهابنا.

الجرائد كما هي موضوعة على الطاولة بالمطبخ، إلى جانب صحن زبادي الذي تعفن. عرائس «سميلا» متناثرة على الأرض. تخيلت كيف كانت تلعب بهم هذا الصباح، وشعور بالأسى يجتاحني .

لاحظت علامة على الأرض. علامة مظلمة تدل على أنها من نعل الحذاء. هل دخل شخص ما للكابينة في غير وجودنا؟ هل هناك أحد بالداخل؟، ارتعدت خوفاً، هل يوجد أحد هنا الآن ؟ هل هناك أحد يختبئ تحت

السريـر أو داخل الخزانة، وربما سيهاجمني الآن؟
 إنتابتنـي تلك الرجفة .ثم لاحظت أثر قدم، وأخرى،
 وأخرى كلهم يأتون من نفس الاتجاه. نظرت إلى
 قدمي، وألقيت نظرة على حذائي الوردي - ثم إلى
 جميع الأحذية التي خلعتها و نحن في عجلة من أمرنا.
 كان هناك حذاء رديء و الآخر ملطّخ ببقع بنية اللون.
 رفعت قدمي ورأيت كم هو الوحيد القذر. أشم رائحته
 في الهواء، رائحة سيئة تملأ أنفي. طين. من الممكن أن
 تكون قدمي قد غاصت فيه، تذكرت كيف كنت أجري
 على الجزيرة وأتسلق المنحدر. هل يمكن أن يكون
 طين من الجزيرة وقد لطخ الأرض؟، الآن طين من
 الجزيرة التي بها «أليكس و سميلا» هنا.

مرة أخرى أدير عيني على آثار الأقدام فأشعر بالغثيان.
 كيف يمكن أن أترك الجزيرة بدونهم؟

شدت انتباهي حركة في الغرفة. «تيريث» يقف
 أمامي. فرو رقبتـه مهوش. ذيله يتأرجح ببطء ويلف
 من جانب إلى جانب آخريـنما يحدق في وجهي،

يضيق عيناه.. كما لو أنه يتساءل عما أفعله هنا، وحدي

كنا ننظر إلى بعضنا وأنا ارتدي قميصي، ثم تحوّلنا
عينا القط للنظر إلى آثار الأقدام، أتخيله يريد تفسيراً
لتلك الآثار، ما معنى مفقود ؟ كيف اختفوا ؟ دفنت
رأسي بين ذراعي و كتمت الصراخ .

الأفكار التي تدور في رأسي تدفعني نحو دوامة
غليظة محفوفة بالمخاطر، حاولت السيطرة على
نفسي. وكأنني أرى نفسي شخصية مهزومة يرثى لها،
أمسك نفسيك بعض الشيء كنت أقول بصوت عالٍ
«يجب أن أتصل بـ أليكس» رفعت يدي من وجهي .
لقد جئت إلى هنا لهذا، قلتها وكأنني أوجه حديثي
للقطة.

كنت أنطق الكلمات بحدة ووضوح، هذا هو سلاحي
ضد السكون الذي يلفنا. هذه الأفكار ليست جديدة
بالثقة إذا تركت نفسي لها. سوف أغوص في الظلام
الدامس إذا نظرت إلى الصور بأكملها، سوف يشلني

الخوف. يجب أن أنظر إلى كل التفاصيل، أن أركز على شيء واحد فقط. هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على عقلي.

لا يوجد خط أرضي في الكابينة، لذلك يجب أن أجد الهاتف الجوال.

خلعت حذائي وضعته في المدخل. سوف أؤجل مسح الأرضية. وبحزم، اتجهت إلى غرفة النوم في نهاية القاعة. غرفة نومي أنا و «أليكس» بها سرير مزدوج. قلبي يتأرجح كلما تذكرت آخر مرة كنا سويا على هذا الفراش.

تمكنت من السيطرة على الدوار والغثيان الذي يؤرق أمعائي. كل شيء جميل ومرتب على جانب «أليكس» من الغرفة. ثيابه معلقة في خزانة الملابس أو مطوية بعناية في الأدراج. حتى إنه جعل سريره إلى الجانب الذي يفضل النوم عليه عادة. ولكن أين هو الآن؟

أما جانبي من الفراش فكان مغطى بفساتين صيفية وجينز وقمصان .

شنطة يدي ملقاة على كرسي بجانب السرير، بجانبها رزمة من الورق واثنين من أحمر الشفاهة، و حمالة صدر حمراء اشتريتها عندما قررت وأليكس القيام بهذه الرحلة، كان ذلك في نفس اليوم الذي اشترت له الكرافتة السوداء الحريرية .

ابتلعت ربقي بصعوبة «لا تفكري في هذا الأمر الآن». لا تفكري فيه أبداً. فقط ركزي على القيام بما يجب أن يفعل بسرعة.

بحثت في شنطة يدي وأخرجت كل ما بها، لم أجد الهاتف الخلوي بها . كم هذا غريب ! أين يمكن أن يكون؟ أسرع إلى المطبخ .القط «تيريث» يحن للماضي، يثّجه إلى صحنه، على أمل أن أطعمه. يدور حول الصحن عدة مرات، ثم يجلس ويلعق أطرافه «كل شيء سوف يكون على مايرام، لا بد لي من العثور عليه ..».

كنت أهمهم لأهديء من نفسي، اتجهت إلى المطبخ حركت الصحف جانبا والأطباق غير النظيفة، بحثت أسفل عرائس «سميلا»، خلف ماكينة القهوة الموضوعة على الرف فوق الموقد. لا يوجد هاتف جوال. لدرجة أنني بحثت في الثلاجة ومسحت الأرفف بيدي قبل أن أتجه لغرفة المعيشة. وبينما أبحث أتخيل ما سوف أقوله «لأليكس». كيف سيكون حوارنا، و كيف سيضحك عندما أتصل به. لن أستطيع تخمين ما سوف يحدث! سوف أعرف منه على الأقل كيف أختفى هو و«سميلا». سوف يعطيني تفسيراً ساخراً و ليس توضيحاً طبيعياً. لأنه يجب أن يكون هناك توضيحاً لازماً. المشكلة الوحيدة في الوقت الحالي هي أنني لا أستطيع تخيل حياتي..... هذا جنون.

إنها الأفكار التي تمر بعقلي بينما أفحص بيدي وسائد الأريكة. لقد فُقدوا. و لكن ليس من الممكن أن يختفوا هكذا. من جزيرة. فتحت كل الستائر للنظر على جميع النوافذ. وأثناء سيري بسرعة ارتطمت بتمثال من

الزجاج. طار في الهواء ببطء. كأنه تصوير بطيء. ثم ارتطم بالأرض و انكسر إلى مئات القطع.

المنهج العقلاني والدعوة للتركيز الذين كافحت من أجل الحفاظ عليهم تلاشوا تدريجيًا .

اليأس يحتلني من كل الجهات، رنين حاد في أذني صرخ دفعني للعودة مرة ثانية إلى غرفة النوم، فحست الشنطة ثانية ولكنني لم أجد شيئاً . وبطريقة شديدة الانفعال ألقيت الملابس على السرير، وأحمر الشفاه على الكرسي. و لكنني أيضا لم أجد الهاتف. جريت إلى حجرة «سميلا» وبحثت في كل أشياءها دُمى، ودببة، عرائس، كتب أنشطة، و ملصقا . أتحرك بسرعة، لقد فاقت حركاتي الهوس. أنا أعرف أنني أبحث عن شيء ما، ولكن الآن لا أعرف ما هو. كل ما أفكر فيه هو «سميلا» حبيبتي الصغيرة. الأفكار تعصف برأسي وكأنها ورقة في مهب ريح.

مفقودين!. إنهم في عداد المفقودين. ولكن هذا مستحيل! كيف لرجل ناضج و طفلة عمرها لم يتعدى

أربع سنوات أن تبتلعهم الأرض. لا، لم تبتلعهم الأرض، ولكنها مياه البحيرة المقترنة بالشر. كلما تذكرت كلمات «أليكس» عن اختفاء الناس، و سفك الدماء، يدب الهلع و الرعب داخل جسدي. وبعيدا عن زاوية رؤيتي لمحت شيئا يتحرك، تبعه انفجار مدوي. استدرت وصرخت. صوت مئات من حبات الخرز الصغير يتدحرج على الأرض، سمع فيها القط «تريث»، صراخي، وجعله يتجمّد في وسط الغرفة، تبدو عليه ملامح الخوف الشديد.

عاد الصمت مرة أخرى إلى الغرفة، اتجهت نظراته نحو كمية الخرز المبعثر على الأرض. ربما تبعني إلى حجرة «سميلا» واعتقد أن بحثي بين أشياء «سميلا» هو نوع من الألعاب وأراد أن يلعب أيضا. وربما ارتطم بالصدفة بصندوق الخرز الموجود على الرف.

وضعت أصابع يدي على صدري، وضغطت عليه لأتنبس كثيرا. ومددت يدي الأخرى نحو القط. اقترب مني بعد قليل من التردد، ربّت على ظهره ببطء، كمحاولة لتهدئة كلانا. حك فروته بي، فأخذته في

حزني والدموع تنهمر من عيني، وصرخة ترتفع في
حنجرتي وتتسرّب من شفتاي.

قلت لنفسي «سوف يعودون» بالتأكيد سوف يعودون
قريباً. من الواضح أنني لا أصدق ما أقول، هل أدرك
القط هذا ؟ دفنت وجهي في فروه، وعندما رفعت
رأسي ضاقت عيناه واقترب مني بأنفه، بدأ يلحق
وجنتي، ويدير لسانه على وجهي. كما لو كان يريد
مواساتي وتشجيعي أن أستمّر.

جلسنا لفترة من الوقت حتى أفلت من قبضة يدي
ونزل، نهضت واتجهت إلى غرفة المعيشة مرة أخرى،
وضعت يدي على جانبي وسألت نفسي أين هذا الهاتف
اللعين؟ يجب أن أعثر عليه الآن! لو أنني استطعت أن
أجد «أليكس» فإن كل شيء سيكون على ما يرام.
بحثت في غرفة المعيشة مرة ثانية، في كل مكان
يمكن أتصور أنه موجود به، في كل ركن، وكل زاوية،
حول و تحت الأثاث، و لكن يبدو أن الهاتف قد تبخر،
أكاد أسمع نبضات قلبي التي تدق بصوت عالٍ في
أذني. كل ما أريد فعله هو الصراخ بشكل هستيري .

لقد سمعت شيئاً !. سكت وعاد مرة أخرى. لا شك أنه رنين صوت تليفون. إنه هاتفي. يبدو أنه قادم من غرفة النوم. وقفت وقلبي يدق. أريد سماع رنينه. لن أترك الأمر في أن يتحول الرنين إلى بريد صوتي ! إنه يرن مرة أخرى، إن الصوت يأتي من غرفة النوم، من السرير نفسه.

جريت إلى الداخل، الصوت يأتي من الجانب الذي ينام فيه «أليكس». انتزعت اللحاف فانتشر الصوت ووضح. لقد وجدته. أنا لا أعرف كيف وصل الهاتف إلى هنا. و لكنني لا أريد أن أضيع الوقت في التفكير. يضيء الهاتف يرن مرة أخرى. التقطه وحدثت في الشاشة. رأيت كل الأرقام مألوفة. لا أعرف لماذا أتلقى مكالمة الآن . كل ما أعرفه هو أنني أغمضت عيني بشدة.

(4)

كانت أُمي التي تتصل، تتنفس بصعوبة، أمعائي تطبق على بسبب الرعب المستمر والمزعج منذ طفولتي. هل حدث شيء ؟ لقد وقعت الكارثة بالفعل منذ وقت كبير. يمكن أن يكون هناك أسبابًا كثيرة لسرعة تنفس والدتي ربما تكون قد أنهت للتو تمشيتها المسائية، على الرغم من أنني لا أعرف إذا ما كانت ما تزال مغرمة بالمشي أم لا. وأنا لا أهتم. كل ما أفكر فيه هو «أليكس». ربما كان يحاول الاتصال بي في هذه اللحظة بالذات.

«ماما، يجب أن - » لكنها لا تسمعني. لا يهمها أن تسمعني، بدأت تتحدث و تقول لي كم هي متعبة. كان لديها عدة أيام صعبة للغاية. وأنَّ أحد الزملاء هدد إحدى زميلاتهما. إنَّه النوع المعتاد من الأشياء. أنا أعرف مكان إقامتك و مكان مدرسة الأطفال. و لكن هذه المرة قلبت الطاولة علي. أردت أن أصرخ و أقول لها أنني كبرت وأصبح لدي مشاكل خاصة، وأشياء

تحدث في حياتي أكثر إثارة للخوف مما تتحدث عنه الآن.

لم أقل شيء من ذلك بالطبع، توقفت أُمي عن الحديث، ثم هممت بكلام ما، وانتقلت إلى نقطة أخرى من الحديث، عن الطقس الصيفي الجميل، بدأ الغثيان يرتفع داخلي. لماذا فعلت هذا ؟ نتظاهر بعناد بأننا فقط أم وابنه عاديين. حيث من الممكن لنا أن نتواصل من جديد بعد كل هذه السنوات، ونتذكر ما كان بيننا في الماضي، وأبي الذي اختفى. مددت جسدي على سريرى، ومسحت جبيني بيدي. سكنت أُمي، و أدركت أنها سألتني سؤال ما. غيرت نبرة صوتي و قلت لها أعيدى السؤال. «هل أنت وحدك ؟» اجتاحت جسدي موجة من العواطف الحزينة. هذا السؤال لا يصلح لهذا التوقيت. كان يمكن أن يصلح عندما يكون «أليكس» موجود. لقد عدت إلي المنزل الخالي، لأجلس وحدي على طاولة المطبخ، عندما يتمدد السكون حول المكان، وليس هناك إلا شمعة مضاءة كرفيق لي. هذا الاحتياج الشديد للرفقة

والقرب والخوف الشديد من تسلل أي شخص من خلال الجدران الحامية. هل أنت وحدك؟، كررتها أمي للمرة الثانية، تنهمر الدموع من عيني، أحاول منعها بهز رأسي. لست أنا التي تكون عاطفية على الإطلاق. لكني لم أعد أنا نفسي منذ الموعد الذي أخذته في العيادة قبل إسبوعين وبعدما حدث الليلة الماضية، كيف يمكن لأي شيء أن يستمر كالمعتاد؟، تصورت بحيرة «الخبث»، ومياه البحيرة المسحورة، الجزيرة في المنتصف، المنحدر الحاد على أحد الجوانب، تيجان الأشجار المظلمة المحفورة باتجاه السماء «أليكس و سميلا». «نعم أنا وحدي».

تنهّدت أمي، إنك مجرد خائبة، لم تقل لي ذلك، ولكنني أحسستُ بذلك . ابتلعت ريتي وقلت . «أمي، لا أستطيع... حقا أنا في أشد الاحتياج إلى....»

سألتنى: صوتك ليس كالمعتاد، هل حدث شيء؟

ماذا لو أخبرتها بالوضع؟ ماذا لو أخبرتها بكل شيء؟
 ماذا سيحدث بعد ذلك هل سوف تقفز إلى سيارتها
 وتأتي إلى وتضميني إلى صدرها بحنان؟ هل تتولى
 كل شيء كما كانت تفعل منذ أيام الطفولة؟ تجلسني
 و تقول لي ما يجب أن أفعله و كيف أفكر؟ تواصل
 أمي، وكأنها في حالة تأهب « أين أنت بالتحديد؟ »
 أخذت نفسا عميقا. ثم أنهيت المكالمة. رن الهاتف مرة
 أخرى وظهر نفس الرقم على الشاشة. فقامت بإغلاق
 صوت رنين الهاتف.

(5)

تركت غرفة النوم وساقاي لا تقدران على حملي، ليس لأن المكالمات التي أجريتها مع والدتي كانت هادئة للغاية، ولكن لأنها أزعجتني كثيرا، تلك الكلمات، تلك الجمل المبتذلة، كل هذا يتناقض بشكل صارخ مع الظروف المخيفة، والمربكة التي أجد نفسي فيها الآن.

أقف في منتصف الطريق بين غرفة المعيشة والمطبخ، أحسست باهتزاز الهاتف للمرة الثالثة كم من الوقت الذي ستستغرقه أمي لتتوقف عن الاتصال؟.

«تيريث»، جالس على الأريكة، رافعا رأسه لأنظر له، همهمت «سأفعل، سأفعل» ليس لدي فكرة عما أعنيه بذلك. يجب القيام بشيء ما، ولكن لماذا؟ المحادثة مع أمي أفقدتني توازني. يجب أن أعيد تركيزي للبدء من جديد. أولا العثور على الهاتف، ثم ... ثم ماذا؟ ماذا يجب أن أفعل الآن؟، حدثت في الهاتف، لقد كان موجود على جانب «أليكس» من السرير طوال الوقت، مطوي بعيدا تحت اللحاف. كما لو أن شخصا وضعه

عن قصد. هل هو من أخفاه ؟ هزرت رأسي لأبعد فكرة غامضة تطرقت إليّ وكادت أن تكون.

«كيف ولماذا يوجد الهاتف هنا » ليس هو الموضوع. الذي يهمني الآن هو أنني أستطيع الاتصال بالعالم الخارجي.

الآن يمكنني الاتصال «بأليكس». نعم بالطبع . هذا ما أريد القيام به. بأصابع مرتجفة، أضغط على الرقم و أنتظر.

لجزء من الثانية، أعتقد أنني أستمع «لأليكس» وهو يتحدث معي على الهاتف. بعدها أدركت أنني أستمع إلى بريده الصوتي. أستمع مرة ثانية إلى الكلمات السريعة المنطوقة بصوته، كان يشبه رجل مبيعات محترف. اتصلت أربع أو خمس مرات وكل مرة أسمع نفس التسجيل الصوتي، وعندما يأتيني صوت الصفارة، لأترك رسالتي الخاصة، لا أقول شيئاً. ماذا أقول؟ ليس لدي أي فكرة، لماذا تغيب الكلمات الصحيحة عندما نريد توضيح الأشياء التي لا يمكن

تفسيرها ؟ «مرحبًا، أنا «أليكس»... التحية تعيدني مرة أخرى لأول لقاء بيننا، لقد أتى إلى المتجر برفقة زميل له.

«كاتينكا» كانت أول من لاحظته.

«أنت، انظري»، ووكزتنى في جانبي. استدرت، ورأيته. يرتدي بدلة مصممة بشكل مثالي، رأسه حليق، وقميصه كان مضبوطا بدقة، ولكن عندما كنت أمسك يده انزلت ثنية الكم، وكشفت عن أوشمة متداخلة مع بعضها البعض على ذراعه، كان هناك تناقض شديد سلبني عقلي. قال لنا أنه يقدم مجموعة من منتجات التجميل الخاصة بمطرب مشهور. ربما قال صديقه شيء أيضاً، ولكنني لم أنتبه له ولا أعرف ما الذي حدث عندما نظر إليّ بعيونه الزرقاء.

«جريتنا ؟ أهو اسمك ؟»

في ذلك الوقت ظهر صاحب المتجر، ابتسم له و صافحه. كانا متواعدان على اللقاء كما يبدو من

مصافحتهما.

مال برأسه وذهب مع المدير إلى مكتبه الصغير في نهاية المتجر.

كنت متأكدة من أنه يحس بنظراتي الموجهة إليه أثناء سيره. كنت أعتقد أنه سيدير رأسه لكي يبتسم لي و لكنه لم يفعل ذلك.

إطلاق حملة الدعاية للمطرب تتطلب ترويجات باهظة الثمن. وضع الكثير من القطع الكرتونية المجسدة للمطرب في أفضل أماكن بالمتجر، كاسات طويلة مملوءة بالنبيذ الوردي الممتليء بالفقاعات والخالي من الكحول، والشوكولاتة الفاخرة الموضوعة على صواني مذهبة.

بخصوص الجمهور، قمت أنا و «كاتينكا» بعرض كيفية استخدام المكياج أمامهم، لاحظت أن «أليكس» كان موجودا بين الجموع المكتظة تحت المنصة. نظرات

عينيه أرسلت لي الكثير من الرغبات، كان انجذابي إليه كبيراً لدرجة إنني فقدت صوتي بعد ذلك.

عندما انتهينا من العمل وأثناء إعادة ترتيب المكان، ظهر فجأة إلى جانبي وهمس «جريتاً»، «مثل جاربو» أو «جريتلاً»، على ما أظن.

اسمي كان تقريباً نفس اسم فتاة في خرافة حول بيت الزنجبيل والساحرة الشريرة في الغابة. و لكنني لم أقل ذلك، لم أقل أي شيء. و هذا يدل كم كان تأثيره قوياً عليّ. وكان كل ما استطعت فعله هو إيماءة صغيرة. فابتسم وقال لي لقد أعطتك والدتك اسم بعد مشاهدة فيلم لنجمة سينمائية؟ «في الواقع والدي هو الذي أعطاني الاسم».

ندمت على الفور لذكري اسم والدي. لا تسأل من فضلك لا تسأل.

لكن «أليكس» لم يسأل أي أسئلة عن والدي، بدلاً من ذلك اتكأ بلا مبالاة على رف العطور وأخذ رشه من

إحدى الزجاجات.

«حسنا، إنها تناسبك على أي حال، «غاربو» كانت جميلة جدًا.

كان يحدق في بعينه الزرقاوتين، لذا كنت أنظر بعيدا. رتبت التيشيرت الأسود الذي كنت أرتديه، مدركة نظراته التي تتبع حركة يدي على القماش.

« لكنها لم تكن جميلة فقط، بل كانت لغزا أيضا، مثلك تماما».

شيء دافئ يفرك ساقي نظرت إلى أسفل، إنه «تيريث» نظرت إليه نظرة مشتتة .

بعد فتره كلمت «أليكس» عن والدي.

لمست رأس القطة و باليد الأخرى أمسكت بالهاتف، مال «تيريث» وأغمض عينيه بوداعه، خبط رأسه في أصبعي، بحثت في البريد الصوتي الخاص بي و لكن لا يوجد شيء من «أليكس».

مرة ثانية ضغطت على الرقم، هذه المرة هل أترك رسالة؟ ولكن كيف ستكون الرسالة؟.

قمت لأتجول في المطبخ، أخذت قطعة قماش وحاولت إزالة الطين من الأرضية، ثم أزلت كل قطع التمثال المكسورة في جحرة المعيشة، وأفكر في ما سأفعله بعد ذلك؟، مشيت في الكابينة كلها، أدخلت حجرة تلو الأخرى، ثم وقفت في المدخل لفترة طويلة، كنت أظن أنني سأسمع أي أصوات لأقدام أو أي خطوات تقترب، كنت أنتظر رؤية مقبض الباب وهو يدور ويدخل لينادي اسمي ويقول نحن هنا! ولكن لا شيء .

قمت وذهبت أنظر في المرأة المعلقة على الحائط بين حامل المعطف ورف القبعة.

نظرت قليلا إلى وجهي، ثم أخذت أفكر، ما الذي كان سيفعله أي شخص عادي، شخص عاقل، وطبيعي في وضعي هذا؟، أنا أعرف الإجابة حتى قبل أن تأخذ هذه الكلمات شكل الفكرة في رأسي.

أطلب المساعدة. هذا ما سيفعله أي شخص عادي وعقلاني و طبيعي، كيف أسمح بمرور هذه الساعات الطويلة دون الإبلاغ حول اختفاء «أليكس وسميلا»؟ لماذا لا أمسك الهاتف فوراً و أتصل بالشرطة؟

أشعر بأن وجنتي تحترقان وأنا أمسح دمعي، أنظر إلى وجهي في المرآة مرة أخرى. استدعاء الشرطة يعني الاعتراف باحتمالية وقوع شيء فظيع. أسوء من كل السيناريوهات المحتملة، رفضت التفكير على هذا المنوال ،. «أليكس وسميلا» سالمين آمنين. هذا ما أريد أن أصدق. بل ما أحتاج أن أصدق. لكن لماذا ليسوا هنا؟ أنا الآن أحتاج للعودة إلى الجزيرة .

عندما حاولت أن أرتدي حذائي تمايلت وكدت أن أقع، لقد أيقنت إلى أي مدى وهن جسدي بسبب عدم زيارة أي أكل لمعدتي، لكن على الأقل يجب أن أشرب شيئاً ما، تعثرت في المطبخ وضربت بيدي على الخزانة فوق الحوض ولكنها لم تنفتح، فقامت بفتح الخزانة السفلية وتفحصت زجاجة بها مشروب، أغلقت باب الخزانة و جلست على كرسي، أنا لا أستطيع تناول

مشروباً، ليس الآن . بالتأكيد ليس الآن . تتراعى أمامي
الخطوط العريضة لوجه يحوم أمامي. أستطيع أن
أكون شكل لإنسان، شعر متساقط على جبينه، وذلك
الميل في الشفاه، «أليكس»؟ أليكس إن هذا كثير.
البقايا الأخيرة من الثقة من النفس تتسرب مني، دفنت
وجهي بين يدي، اللعنة عليك «أليكس»!

(6)

استيقظت لأجد شيئاً ساخناً و فروي يضغط على وجهي. أحاول أن أستعيد وعيي ولكنه يضغط عليّ. عندها مددت يدي تلقائياً- لن أسمح لك، فأنا لا أريد ذلك- وجدت جسماً نحيفاً، وعندما استيقظت رفعت رأسي كانت رقبتني متصلة، جزء من وجهي كان مخدراً، فركت خدي نظرت إلى طاولة الملابس، هل غلبني النوم هنا؟ «تيريث» إبتعد عني، وعلى إثر الكلمة وجه لي نظرة اتّهامية، أنا آسفة كنت فقط أفرك وجنتي، لم أكن أعرف أنك أنت. اعتقدت ... وهنا تذكرت. تحاملت على نفسي واتجهت إلى غرفة النوم، كل شيء كما هو منذ ليلة أمس. في غرفة «سميلا» كل شيء فوضوي من بحث الأمس .

لكنني بالكاد لاحظت ذلك الشيء الوحيد الذي أراه الآن، السرير. إنه فارغ. لا توجد ضفائر ذهبية على الوسادة، لا يوجد جسم فتاة تحت الأغطية. ركعت على ركبتني طمست وجهي في لحافها استنشقت رائحتها، لا يمكن

أن يكون هذا حقيقياً. لابد أنني أحلم ؟ يا الله أتوسل إليك أن تخبرني أنني أحلم.

أشعر أنني على وشك البكاء، شيء ما يفصل بيني و بين تلك المشاعر. صوت قبيح أسمعه في رأسي . ويهمس لي «منافقة»، ترنّحت على قدمي، وجففت عيوني. بإقدام شديد ألقيت نظرة خاطفة على غرفة النوم الكبيرة - واستنتجت أن لا أحد قد نام على الفراش. أشعر بالثقل في رأسي كما لو أنني قد شربت ليلة أمس. وكأنني شربت زجاجة تلو الأخرى، كل الزجاجات اللعينة التي جلبها «أليكس»، على الرغم من أنني أعلم أن هذا لم يحدث أبداً.

كيف يمكنني أن أكون متأكدة من كل شيء؟ يهمس الصوت الصغير داخل رأسي.

كيف يمكنك أن تكوني متأكدة من أي شيء؟، كان «تريث» في المطبخ، أخذ يهز ذيله بألفة عندما رأني أمسك كيس الطعام لأضع له بعضاً منه في الطبق، بالطبع جوعه هو الذي جعله يوقظني، وضعت قطعتين

من الخبز الفرنسي في التوستر، وعلى غير عادتي أضفت وعاء كبيراً من الزبادي. أحاول تجنب التفكير في مدى السخف المزعج من الروتين العادي في هذا الوقت.

أنا في أشد الاحتياج إلى الطعام، لذلك أجبرت نفسي على الأكل، كان الطعام عبارة عن خبز مقرمش، وكان يجرح حلقي عند ابتلاعه. لمست رقبتني بحذر. ثم نظرت إلى طاولة الطعام حيث كانت تجلس «سميلا» منذ أربعة وعشرين ساعة. لقد كانا معا، يمسكها بيده ويضمها ل صدره، و اليد الأخرى على أرجلها تتطوح مثل طائفة، صياح مصحوب بضحك كلما ألقاها في الهواء، وتدور، و لكن في لحظة كاد رأسها أن يرتطم في الخزانة و كاد هو نفسه أن يفقد توازنه. رغم ذلك لم أتدخل أو أعترض أو أثير أية ضجة، أخيراً، أنزلها «أليكس» على الكرسي و بدأت تأكل إفطارها. ثنت قدميها تحت قميص نومها، تنظر إليه والإعجاب في عينيها.

كانت سعادة سمىلا وبراءتها هي التي حسمت الأمر. عندها قمت بتثبيت القرار الذي اتخذته ليلة أمس. أب جيد.

أب جيد .

أب جيد.

لا زلت أشعر بوجود «سمىلا» بجانبى، و لكن ملامح وجهها لتمكن واضحة، كأنها جالسة هناك على كرسي المطبخ أمامى، ولكنها ليست كذلك. فجأة، إنها أنا التي أراها . و الرجل الذي يتحرك حول المطبخ، المسؤول عن الألعاب، الغليظ، إنه أبى. الرجل الذي منذ لحظات سمح لي بالتسلق، ودار بي في الهواء، وحملني بأمان، بجسمه القوي وقبضته الثابتة. الرجل الذي يفتح كل شيء، الأدراج والخزائن، ظاهريا يبدو كأنه يحضر وجبة الإفطار، ولكن في الحقيقة هو يحاول تحويل كل شيء إلى لعبة. يوازن لوحة على رأسي ويتظاهر أنه يضع الزيت على منديل بدلا من قطعة الخبز

المحمّص. وعندما مال ليُقْبَل خدي، شممت رائحة الصباح، صباحًا من فمه وعطر امرأة أخرى على جلده.

ناديت على أمي : ماما تعالي، لا تزال غارقة في النوم و شعرها في حالة من الفوضى .كانت تكتم التثاؤب بيدها، وأبي يرقص حولها، وأخذ يعزف لها لحنًا من النغمات السخيفة. مازالت واضعة يدها على فمها، و لكني أستطيع أن أرى وجهها يتلأأ بإبتسامة مكتومة. لديها أكثر زوج مجنون بالعالم، تبادلًا القُبَلات الحارّة لفترة طويلة وعندما أدرك أنني لا أسمع - أو أنني لا أفهم شيئًا- شكرها على ليلة أمس. تضحك أمي، وتشعر بالحرص وتداري عينيها ولكنها وسط هذا كله.. كانت سعيدة.

أرى عيناها مشرقة، وأشعر بالسعادة والدفء داخلي أيضاً، عائلتي يحبون بعضهم البعض ويحبونني، لدي كل ما يمكن لأي شخص أن يتمناه .

رفَعْتُ الملعقة نحو فمي، ترتعش يدي قليلاً، كانت ذكريات طفولة جميلة.

آه لو أنّ مزاج أُمي كان جيداً عندما أتت إلى المطبخ بدلا من أن تكون صامتة وكئيبة، لو أن رائحة فم بابا لم تكن بها روائح يوم أمس، لو أنني استطعت أن أتظاهر أنني لم أفهم. أنا أعرف أن العطر الموجود على جلد والدي يخص امرأة أخرى. وأن تلك المرأة ليست أُمي بالطبع. قطع الخبز تنتفخ في فمي، أحرق في القطعة التي في يدي، وألاحظ أن يدي لازالت ترتعش، تنقبض معدتي ثم تتحرك بسرعة، استغرقت وقتا لكي أفهم ما سوف أفعله، عندما أدركت ذلك قفزت من الكرسي الذي ارتطم على الأرض محدثا صوتا عاليا، اندفع «تيريث» كالصاروخ تحت الأريكة، ولكن ليس لدي وقت لأنتبه لقط خائف، أسرع إلى الحمام في الوقت المناسب قبل أن يتدفق القيء من فمي.

(7)

ياله من صباح صافٍ، تتلألاً فيه أشعة الشمس على طلاء السيارة المركونة على الطريق خارج الكابينة، إنها سيارتي. السيارة التي استخدمناها للوصول إلى هنا تقف هناك، المصابيح الأمامية تبدو كعيون مفتوحة على مصراعيها، وكأنها تصرخ في وجهي، أنقذي نفسك، اهربوا قبل فوات الأوان.

بالطبع لم تكن فكرة حيوية، من المستحيل الفرار من هنا، لن أترك المدينة قبل أن أجد «أليكس وسميلا»، أتحرك قليلاً، أميل برأسي إلى جانب واحد وأنا أتقي الآثار التي تركتها سيارة أخرى كانت تجري بطريقة عنيفة، رحت أنا وبكياسه وتعقل تتبعته آثار السيارة إلى أن اندمجت مع السيارات الأخرى على الطريق، تذكرت ما حدث بالأمس عندما سمعت أصواتاً في الخارج و لم أجد «أليكس» في الفراش.

صوت عالٍ مضطرب اخترق النافذة التي كانت مفتوحة قليلاً، وبعد ذلك ارتطام حاد لباب سيارة تبعه

صوت إطار سيارة يحترق من شدة الاندفاع.

الشمس كانت حارقة، تلسع ذراعي، و لكنني مازلت واقفة أهدق في الطريق، كنت أفكر في تلك السيارة الأخرى والشخصين اللذين كانوا بداخلها.

حول الشخص الذي ظل هنا و الآخر الذي رحل. أخيراً، لقد أدت ظهري للطريق، لا أريد التفكير أكثر من ذلك. وبعد فترة وجدت نفسي عند الرصيف، أهدق بعيني في البحيرة عبر سطحها الرمادي الصلب، ثم أعود للقارب وسط بحيرة الخبث.

فعلت ما فعلته بالأمس، وبدون ترتيب خرجت إلى الشاطئ، ثم صعدت المنحدر، وألقيت نظرة حوله، اثنا عشرة ساعة مضوا منذ آخر مرة وقفت فيها في نفس المكان بالضبط، ليس هناك وقتاً لأضيعة، وبعزم كبير، انطلقت هذه المرة وقمت بالبحث بطريقة منهجية، أفحص الجزيرة شجيرة شجيرة، مازال الحذاء الأسود موجوداً حيث تركته الليلة الماضية، ولكن هذه المرة لم أشتت تفكيري بالطبع.

الجزيرة أقل رعبا في وضح النهار ولكن جغرافيتها من الصعب اجتيازها، الأشجار المتساقطة والنباتات المتضخمة، والمختلطة ببرك من المستنقعات والطين. حذائي يغوص باستمرار في الوحل، وكنت أحاول بالكاد أن أغادره.

بالتأكيد «أليكس و سميلا» واجها نفس الصعوبات عندما كانوا يستكشفون الجزيرة، يمكن أن تكون أكثر صعوبة على «سميلا» لأن الجزيرة ستكون بالنسبة لها أكثر رعبا بالرغم من حماسها، يجب أن تكون قد تعبت من المغامرة بسرعة كبيرة، ومع ذلك استمرت في اللعب مع «أليكس» بدلا من العودة.

لو كان الأمر كذلك، فأين ذهبا؟ هل منعهما شيء من العودة؟ هل من الممكن حدوث ذلك؟ هناك شيء في صدري يحتج و يقاوم كل الأسئلة التي تسألها بطريقة ما، كل الأسئلة التي تسألها تبدو زائفة مثلما أحاول تضليل نفسي.

جلست على جزع شجرة، أمسكت بالهاتف وطلبت «أليكس» مجرد شيء أفعله لإلهاء نفسي، إنه لم يرد و للمرة الثانية أستمع إلى رده المهذب عبر البريد الصوتي، أنهيت المكالمة، من الأفضل عدم محاولة الاتصال به أكثر من ذلك.

في كل مرة أستمع فيها إلى صوت «أليكس» أشد نفسي لذكريات مؤلمة، ثنيت ساقي تحتي وعلى الفور بدأت الأفكار تتدفق في رأسي. كيف بدأ كل هذا؟

بعد بضعة أيام من حفل إطلاق المنتجات التجميلية الجديدة، ربما أسبوع على الأكثر، تركت العمل باكرا و اتجهت نحو موقف السيارات بجانب مركز التسوق ومعني سترتي، كانت معظم الثلوج قد ذابت والشمس قد قطعت عهدا بحلول الربيع، لكن الرياح كانت سريعة، ولم يكن هناك أي دفء في الهواء، لاحظت سيارة مظلمة كانت رابضة عند المدخل، لكنني لم أمنحها اهتماما، إلى أن قام أحدهم بضرب «كلاكس» السيارة وفتح شباك إحدى نوافذها .

لقد كان «أليكس». أبحث بعض الشعيرات تلقائيا من وجهي واتجهت ببطء إلى السيارة و أملت رأسي قليلا إلى النافذة وقلت له :ماذا تفعل هنا؟ .

ضحك بصوت أجش وابتسم لي وسألني عما إذا كنت قد مررت بيوم سيء أم لا؟

في البداية لم أفهم، احمر وجهي خجلا حيث أدركت أن سؤاله يمكن أن يكون تم تفسيره على نحو مغلوط، قبل أن يعتذر أو يشرح قال «لقد كنت في انتظارك، أنت السبب في وجودي هنا».

بسببي أنا؟ هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً، لكن لماذا؟ لم أستطع أن أنطق بكلمة.

كنت أفكر في أن أوصلك إلى البيت، اركبي، قالها بهدوء وثقة، كانت الطريقة الأكثر طبيعية لرفع معنوياتي؛ بالرغم من أننا لا نعرف بعضنا البعض، رفعت نظري لإلقاء نظرة خاطفة نحو محطة الأتوبيس، في بعض دقائق الأتوبيس سوف يغادر،

ويقلني إلى البيت، إلى طاولة المطبخ حيث الهدوء و الوحدة، «كيف عرفت متى أخرج من عملي»؟.

«لدي طريقي الخاصة».

انحنى «أليكس» أخيراً وفتح باب السيارة لي، ولأنه اتخذ القرار بالنسبة لي، و بالكاد جلست، وتمتعت بعنواني، وقبل أن يميل عليّ شعرت بارتفاع الدم في وجنتي، ثم أدركت أنني أسأتُ فهمه، لقد كان يسحب حزام الأمان ويمرره لي، لم يفعل أحد معي هذا من قبل، أنا أحب ذلك جداً، وضع «أليكس» نظارته الشمسية، ومشينا على الطريق السريع، استدار ونظر إلى، تلاشت ابتسامته و تحول الجو العام إلى نبرة أكثر حدة، كنت أرغب في قول شيء ذكي و مثير للاهتمام، و لكن كل ما قلته كان تفاهات حول الطقس، لقد كان قلبي ينبض، وريقي جفّ تماماً.

عندما وقفت السيارة تحت البيت، وضعت يدي برفق على ذراعه، و قلت له «شكراً على التوصيلة»، لم يرد أو حتى نظر لي، لم يتحرك على الإطلاق، و باستهجان

قليل كانت يديه على عجلة السيارة وعينييه مصلوبتين للأمام كأنه تمثال شمعي، أو كأنه يريد أن يذهب بأقصى سرعة، ربما لم يعجبه عطري، وربما لم أكن رقيقة معه بما يكفي، أو ربما كانت رحلة السيارة القصيرة كافية لإثبات أن شخصيتي غير مثيرة، كنت أرغب في الصراخ داخليا، كيف لي أن أفكر أن واحدة مثلي ستكون جذابة إلى رجل مثله؟، موجات من الحرارة تجتاح جسدي. مهما كان ما أتخيله أو أريده كله كان وهما، اهتزت يدي عندما أمسكت بمقبض الباب، أريد أن أذهب إلى بيتي إلى الفراغ والصمت.

« أرجوك لا تذهبي » .

أمسك يدي و شدني للوراء. ببطء، التفت. «أليكس» كان وجهه قريبا جدا من وجهي لدرجة أنني أحسست بأنفاسه الدافئة في وجنتي عندما فتح فمه ليتكلم .

هناك شيء يتعلق بك. لا أعرف ما هو، شيء يجعلني أهتم بك، لبعض الأسباب.

بسبب ترده الهاديء، قبل أن يقول هذه الكلمات كان في اعتقادي أنه ينوي أن يقول شيئاً آخر. كنت أرغب أن أنظر في عينيه ولكن كانتا مختبئتين خلف نظارته الداكنة. حرك إصبعين بخفة فوق كفي، تسببت في إثارة لجميع أنحاء جسدي. «أليكس» دعني أذهب وألمح إلى المقعد الخلفي. التفت لأرى اثنين من أكياس التسوق اللامعة من الماركات الفاخرة. استطعت أن أرى مناديل ورقية تخرج من كل منهما. استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أستعيد السيطرة على صوتي .

«ما هذا» ؟

ملابس داخلية. لك .

هل أضحك؟ هل أعتقد أنه كان يمزح معي؟ أو أؤكد أنه جاد للغاية؟ على أي حال، استغرق الأمر بضع ثوان بعض أن أقول أنني لست معتادة على مثل هذه الأشياء. قبول الهدايا. لم أكن معتادة على هذا النوع من المواقف على الإطلاق.

خلع «أليكس» نظارته الشمسية أخيراً ونظر في وجهي . دعيني أقوم بهذا. «اسمحي لي أن أهتم بك» .

وقالها مرة ثانية . تلك الكلمات التي هيجت شجوني وجعلت هناك شعورا دافئاً يسري في ملامحي، أهتم بك . هناك شيء ما تحرر بداخلي، تخيلت أنني سمحت لشخص ما أن يهتم بي، لست مضطرة للاعتماد على نفسي وحدي، ربما وجود شخص ما سيجعلني أتجاوز الماضي، هل يمكن أن يحدث هذا؟ هل أجرو؟

كيف عرفت مقاسي؟ كان صوتي بالكاد أكثر من مجرد همس.

نظر «أليكس» في عيني، وعيناه لا ترمش «لأنني رأيتك بالفعل، رأيتك، وأريدك أن تعرفي ذلك» .

لم يكن الأمر مجردا كما قاله، ولكن كيف قال ذلك. لقد قالها بكامل تركيزه، أسكتني تماما، لم أستطع نطق كلمة واحدة. حدقت في عينيه بينما كان يحدق هو أيضا في عيني. كأنه كان يغوص بداخلي، يتسلل إلى

أعماق روعي كما لو أنه فهم تماما من أنا، وما مرت به. أخذت نفسا عميقا، و تحرك جسدي من تلقاء نفسه، طوقت عنقه بيدي، وقبّلته، اصطحبته إلى شقتي، أسدلنا الستائر. و من هنا بدأت قصتنا . وفي الظلال سوف تكتمل.

إنني أرتجف لا تستطيع أشعة الشمس اختراق أوراق الشجر السميقة. النور هنا في الجزيرة ليس دافئا وذهبيا مثل الكابينة، بالعكس إنه رمادي ممزوج بالضباب، وكأن قدمي قد وقعت من التعب، فقامت بتغيير الموقف، ووضعتها مرة أخرى في الأرض الموحلة.

أحسست بتيار يسري في باطن قدمي. في باديء الأمر اعتقدت أنه نتيجة تدفق الدم إلى قدمي، وبعد ذلك قمت بحركة خفيفة ارتفعت فيها طاقة كبيرة من الأرض أحاطت بكاحلي و كعبي وأمسكت بي .صرخت

و أبعدت قدمي بعيدا، صوت همس يأتي من مكان ما،
يتبعه صوت صفير طويل كلما يبتعد الطين.

انطلقت بعيدا عن وسط الجزيرة محاولة أن أهديء
من روعي، ولكن الأمر ليس سهلاً، بالرغم من سخونة
جسدي إلا أنني كنت أرتجف، هل يمكن أن يحدث هذا
هنا؟ هل حدث بالفعل؟ هل «أليكس و سميلا بالأسفل»
بدون مساعده وصرخاتهم مكتومة - في مكان ما هنا،
وربما تحت قدمي بالضبط. بقايا قصص «أليكس»
الخرافية عن بحيرة (الخبث) تحدث صدى صوت في
أذني. مرة أخرى من خلال تفكيري.

لا ! أنا أبذل قصارى جهدي لأزيح هذه المشاهد
المخيفة التي تزحف رغما عني إلى وعيي. لا، لا، لا .

فجأة، وجدت نفسي على حافة الماء. هذا الجانب من
الجزيرة مليء بالصخور مختلفة الأحجام. بعضها على
السطح والآخر تحت الماء، مغطاة بالطحالب تبدو
للناظر لها أنها جذابة و لكنها خطيرة، أنظر عبر مياه
البحيرة، وأقيس بعيني المسافة من هنا إلى الشاطئ،

وجدت أن المسافة بعيدة، لا تستطيع «سميلا» أن تسبح. إنها لم تتعلم السباحة بعد. لكنها تحب أن تلعب في الماء، مثل أي فتاة صغيرة متهورة. نظرت إلى الوراق، إلى الصخور الصامته. هل قررت «سميلا» الخوض و المغامرة بعيدا؟ هل خلع «أليكس» حذاؤه وغاص وراءها، ثم ارتطمت رأسه في الصخور مثلاً؟.

أغمضت عيني لأمنع هذه الأفكار الكارثية ولكنها تزداد سوءا. نفس القوة التي واجهتني ليلة أمس عندما كنت أنظر على جانب القارب في البحيرة في انتظار «أليكس و سميلا» أن يعودا، انجذابهم إلي البحيرة أعماهم، وقادهم مباشرة إلى الموت غرقا. يبدو أنني أهلوس. صفعت وجهي لطرد كل هذه الأفكار الرهيبة. و لكن هذه المرة استغرق الأمر بعض الوقت حتى تباطأت نبضات قلبي، والآن بعد أن بحثت في جميع أنحاء الجزيرة تقريبا، أصبحت أكثر اقتناعاً أكثر من أي وقت مضى أنهم لم يعودا هنا.

بدأت في المشي ببطء على طول الشاطئ، لا أريد أن أسمح لنفسى الشعور باليأس. الطين الذي التصق

بقدمي كان مجرد خيال .البحيرة لا تملك قوى شر، ولا الجزيرة .

فكرة أن رجلا بالغاً و بنت تبلغ من العمر أربعة سنوات - يتم ابتلاعهما داخل الكثبان الرملية أو مياه البحيرة بواسطة قوى شريرة، هي أمور وأفكار تتداول في الأفلام و الكتب الرديئة.

إذن فلماذا أشعر بالقلق الشديد؟

أنا أدرك السبب. توقفت بجوار منطقته تشبه المخيم، وجاءني الجواب.

إذا لم يكن هناك شيء غير طبيعي فلا بد أن يكون هناك تفسير منطقي لاختفاء «أليكس و سميلا » وهذا أكثر إثارة للخوف.

نظرت إلى الأرض، كان هناك قماش من «القنب» الأخضر وعليه مرتبة قديمة قذرة، ورأيت كومة من الخشب المتفحم متناثرة حول حفرة النار البدائية، كما كان هناك أعقاب سجائر، وعلب من البيرة الفارغة،

وسكينا ذو شفرة ملطخة، اقتربت أكثر، و انحنيت قليلا، لأدرس المكان بعناية.

في الواقع أنا لا أعرف ما الذي أبحث عنه. ربما شيء ما يقودني إلى «أليكس و سميلا». على جانب المرتبة رأيت « وافي ذكري» تدفقت الذكريات إليّ، وتذكرت ما فعله معي «أليكس» تلك الليلة.

رجعت خطوة للوراء، خطت قدماي على شيء إسفنجي، وأنا أنظر إلى الأسفل، أتوقع مزيدا من الطين. بدلا من ذلك، وجدت نفسي أهدق في زوج من العيون الزجاجية بحجم حبات الفلفل. أرجل صغيرة تلتصق بحذائي. ارتعشت قدمي وأنا أنزلق، ولكن لا يمكنني أن أتوقف عن التحديق في مزيج الأمعاء البني - الأحمر الملقى على الأرض.

عندما أدركت أخيراً ما أنظر إليه، بدأت في الغثيان. إنه سنجاب منزوع الأحشاء.

(8)

استدرت و تقيأت في شجيرة «العرعر» وهربت
 مسرعة، ثم أبطأت سرعتي فجأة في منتصف الجزيرة،
 أغلقت محرك القارب واتجهت إلى أحد جوانبه، خلعت
 الحذاء ورحت أغسله بالماء، قلت لنفسي أن حيواناً ما
 قد هاجم هذا السنجاب. ربما ثعلب أوقط. لا أريد أن
 أفكر في السكين المتواجد بجانبه. تقيأت مرة أخرى،
 هذه المرة في البحيرة، القيء يجرح حلقي كما لو أن
 له مخالب قط، مسحت فمي بظهر يدي ثم غسلتها.

بجهد شديد، أجبرت نفسي على التركيز على ما ينبغي
 عليّ فعله بعد ذلك. كان بحثي بلا جدوى، لكنني
 أرفض الاستسلام لليأس. مرة أخرى، تصورت وجه
 «سميلا» المبتسم، غمزاتها، وخطودها المنتفخة.
 شعرت بقبضة باردة تعصر صدري، فردت ظهري
 لأستعيد المزيد من القوة. ثم حاولت استكشاف
 المنطقة المحيطة بي، بحيرة «الخبث» الكبيرة جداً
 بالنسبة لي، عليّ أن أراها من مكاني، ولكن ما أراه لا
 يمكن أن أصفه إلا بأنه جنة الصيف. أشعة شمس

الصيف البراقة، التموجات الخفيفة على الماء، والعديد من الأرصفة حيث توجد الزلاجات والقوارب الصغيرة على المرسى، ومنطقتان منفصلتان للسباحة، واحدة منهما مزودة ببرج مراقبة.

كل الجزيرة توجد بها أكواخ و كبائن بمختلف الأحجام، البعض منها قريب جدا إلى الشاطيء؛ لدرجة أنني أستطيع أن أرى الجمالونات المطلية باللون الأحمر، وصواري أعلام الأكواخ مثل الكابينة التي تخص عائلة «أليكس». استدرت حولها لكي أنظر أولا في اتجاه واحد ثم الآخر. مسحت الشاطيء بعيني وانتقلت من منزل إلى منزل، و لكنني لم أر شيئا، لا إشارة للحياة في أي مكان. وعشاق الشمس قد ذهبوا. بالنسبة لأغلب الناس ففصل الخريف يعني العودة إلى الروتين اليومي، المدرسة ووظائفهم فيها. وهذا أحد أسباب قدومنا أيضا في هذا التوقيت لنكون وحدنا حيث السلام والهدوء، النسيم المنعش، والذي ينشر قطرات من الندى الباردة على ذراعي. أشعر بارتجافة تسري في بدني، وكأن هناك انشقاق في معدتي، هل يمكنني

أن أقاوم كل ما يحدث؟ أم أنني سأهزم؟ ملث إلى أحد جوانب القارب، ورحت أدقق النظر إلى مياه البحيرة المظلمة، شيء ما يجذبني لأسفل، ولا أستطيع أن أنظر بعيداً، ثم سمعت شيئاً، أنه يرتفع تدريجياً، يأتي وكأنه طنين مكتوم تحول إلى همس، ثم وسوسة، يشبه صوتاً بعيداً، صوتاً نابعا من عمق الماء، يصبح أكثر رعباً، أكثر شؤماً، إنني أرتجف، أدرك أنني لابد أن أذهب من هنا يجب أن أضع يدي على أذني و أغمض عيني تماماً.

هل فقدت كل السيطرة عن فعل أي شيء، يدي قابضة على السلاح بإحكام، ومن زاوية رؤية عيني أرى مفاصل أصابعي، بيضاء و متعبة، وعندها قمت، رفعت جسمي حتى لم أعد جالسة، ملث للأمام على الجانب، أنا أتحرك جسدياً، ولكنني لست أنا الشخص الذي يقرر، شخص ما أو شيء ما- آخر هو الذي يحركني، أشعر باهتزاز تحت قدمي، وزني يتوجه بجانب القارب، إلى دوامات بحيرة الخبث المظلمة، بما أن الجزيرة متاحة

لي الآن فإن القرار سيكون أسهل، حركة طفيفة
ستكون كافية.

خطوة للأمام، وربما قفزة في الهواء، ذلك سيكون
كافيا، سوف أنزل إلى سطح الماء ثم استمر في العمق.
هذا كل ما أريد القيام به. لن أفعل شيئا أكثر من ذلك،
سوف أسقط ببساطة، سقوطة بحريا تاما من الزمن،
مثل أبي تماما.

(9)

الليلة الماضية، الليلة حين اختفي فيها أبي، عندما سقط من عالم الأحياء، وبالنظر إلى مدى تأثير ذلك عليّ، أعتقد أن الصور التي في عقلي ستكون أكثر تفصيلا ووضوحا، شفرة حادة كلما كانت التفاصيل أكثر أهمية من تلك الليلة، كلما اقتربت من معرفة حقيقة ما الذي حدث ليلة أمس، كلما كان من الصعب اختراق الضباب المحيط بالأحداث.

ما أتذكره هو ما حدث بالفعل، الأشياء الصغيرة. على سبيل المثال، كان هناك تغير في الجو منذ بضعة أيام، وأصبح أكثر برودة، من المكان الذي كنت أختبئ فيه في غرفة نوم ماما وبابا في الظلام، شعرت بنسيم بارد يتسلل إلى الشقة، ثوب نومي لم يكن كافيا لتغطية باقى أجزاء جسمى الظاهرة مثل قدمي وبسرعة اشتد الهواء، ثم اختلط الهواء النقي برائحة الدخان، لم أكن بحاجة إلى النظر إلى ما بداخل الغرفة، كان والدي قد فتح النافذة المطلة على الشاطيء، وراح يدخن السجائر، وربما على الأرجح يحمل شراباً في يده. كان

صوته عاليًا و ساخرًا، وكان صوت أمي منخفضا
ومريرا، كانا يكرران نفس الاتهامات ونفس الشكوى
القديمة.

لماذا يجب عليك ذلك...؟

أنت لا تفهم كم هو مهين بالنسبة لي عندما تقول لي
أنني فقط مجرد...؟

«عضو تناسلي».

أمسكت دميّتي تحت ذراعي، منذ شهور مضت أتممت
الثامنة، لقد أصبحت فتاة كبيرة، كل البالغون يقولون
لي ذلك، ولكنني مازلتُ أنام كل ليلة وأنا أحتضن
«مولي». كان في بادئ الأمر من الصوف، ولكن الآن
أصبح رديئا و قبيحا، عندما استلقيت على السرير
حلمت بوجوده بالرغم من أنني لم أستطيع تذكره حقا،
وقت أن كان أبي وأمّي سعداء مع بعضهم البعض، كان
ذلك في الوقت الذي سبق عودة أبي إلى المنزل في
وقت متأخر من الليل مع بعض الروائح الغريبة على

جسده وملابسه، قبل أن أسمع أمي وهي تبكي، وأبي يوبّخها بصوت عالٍ، أنتِ لست إلا مجرد «مِهْبَل».

كنت أضغط بـ«مولي» على وجهي وأغلق عيني، بينما أبي يكرر الكلمة كلما عجز عن إيجاد حجج مقنعة، هذه الكلمة تتسلل إلى أمي وتقلل منها، كانت تدمرها، وكان أبي يتعمد أن يكررها بالرغم من معرفته أنه يؤذيها، لم يكن اختيار الكلمات البذيئة هو الشيء الوحيد الذي يكرره، مشاجرات والداي مع بعضهما تتبع النمط نفسه، عندما نطق والدي بتلك الكلمات كان ذلك يعني أن النهاية كانت قريبة. وتسبب ذلك في فرض صمت كبير.

في البداية بدأت حجج بابا وماما في تلك الليلة بالذات وكأنها تتكشف بشكل متوقع، لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذا الجدل سوف يكون الاستثناء المصيري للحكم.

بدأت ماما بالهجوم عندما وجدت بقعة على قميصه، وأجابها أبي باستنكار، طلبت منه تفسيراً واعتذاراً،

لكنه رفض.

عندما ضغطت عليه، تَفَوَّهَ بكلماته القاسية، ومرة أخرى هُزمت ماما، وهنا رجعت إلى غرفتي حيث أن المعركة بينهما أخذت شكلا آخر.

استمرا في الشجار، بالرغم من أنه كان يفترض أن ينتهي كل شيء، أصواتهم بدت مشوهة و غير مقبولة بكل الطرق.

أنا أعرف ما فعلته لجريتا. أيعقل ضربك لجريتا ابنتك الصغيرة؟

صدى الكلمات مثل دويّ طلقات نارية، بعدها ساد الهدوء، تجمّدت في مكاني، وراحت الكلمات تندفع إلى أذني، ورأيت ذلك مرة أخرى: ارتفعت يده في الهواء و صفعني على وجهي بقسوة، الصورة. الحدث. سوف أخرجهم من ذهني. والآن عادت الصورة مرة أخرى، لقد سحقتني، ضربني بقوه، تركت «مولي»، ووقعت على الأرض، وضعت يدي تلقائيا على خدي وضغطت

لأبعد عنه الصفعات، ولكن بعد فوات الأوان. أحسست
بحدة الصفعة على و جهي، شعرت بمئات الإبر الحادة
توخز وجنتي .

«جريتاً»، حبيبتى أنا لم أقصد فعل هذا، لم أكن أقصد،
اعتقد أنه سيكون من الأفضل أن لا تخبر أحداً بذلك؟
و أدركت على الفور من كان يقصد . لم يكن هناك
حاجة للقول بصوت عال، كان هناك شخص واحد لا
يمكن إخباره بما حدث، كانت عيني مليئة بدموع
الصدمة والإذلال، وأنا أعده أنني سأتكنم، ولكن الآن
اكتشف الأمر، استدرت و بدلا من الذهاب إلى غرفتي
وقفت في الضوء، بالضبط وقفت عند مدخل غرفة
نوم أبي و أمي استغرق الأمر لحظه قبل أن يلاحظا
وجودي، وانتهى صمتهما، ثم ارتفع مرة أخرى، أعتقد
أنني سمعت أسئلة حول كيف ولماذا، ومن قال، ولكن
عقلي يحاول أن يقاوم ما حدث بعد ذلك، الفوضى
التي تبعت ذلك جعلتني أهرب. إنه بالفعل ما أريد
وصفه ولكن هذا ليس ما قلته بعد ذلك مباشرة. عندما
يسألني أصدقائي الفضوليين أو أقربائي عما حدث،

أقول لهم لا شيء، ولا كلمة واحدة، لأنني لم يكن لدي كلمات، لا شيء يقال. لقد تأخر الوقت عليّ قول أي شيء.

مع مرور السنوات كَبُرْتُ، وبدأت أفهم أنّ ما حدث لا يمكن أن يسقط ظي النسيان، مرت السّنون وأنا و أمي ننتقل من مكان إلى آخر، تغيرت الوظائف، وتغيرت المدارس، والناس ظلّوا يسألون، و أخيراً أدركت جملة واحدة تسكتهم وتعطيهم بعض الإثارة.

ليس لدي أصدقاء مقربين، لكني أستخدم هذه العبارة مع زملاء العمل وفي الأماكن الاجتماعية. استخدمتها مع علماء النفس الذين رأيتهم وحتى عندما رويت القصة «لأليكس».

إنها مَخْرَجِي، قلتها لنفسي.

(10)

عندما رجعت إلى الرّصيف، كانت الشمس قد تراجعت وراء الغيوم، أوثقتُ القارب بقدر ما استطعتُ، شعرت بالارتباك على خط المَرَسَى، تصويرُ يد «اليكس»، كم كانت ماهرة في تدوير الحلقات و العقد، شيء ما يبرق بين أصابعه، ربطة عنق من الحرير الأسود، ارتجف جسدي؛ فقمّت بارتداء سترة، ووضعت يدي على حلقي، وأخذت عدة أنفاس عميقة، وبدلاً من اتخاذ الطريق الضيق المؤدي إلى الكابينة، قررت أن ألتف على طول الطريق المليء بالحصى الملتوي حول البحيرة، أحتاج إلى توسيع رقعة البحث الخاصة بي، مررت بعدة كبائن مطلية بالون الأحمر، ذهبت إلى المنزل وصحّت مرحباً، و لكن لا أحد يجيب. كانت الغرف تبدو من خلال الستائر الداكنة مظلمة و فارغة، بالرغم من ذلك أستطيع رؤية أحواض الزرع و أثاث الفناء في الخارج .

في نهاية الأسبوع سوف تمتليء هذه الكبائن مرة أخرى بالأنشطة النابضة بالحياة، السيارات سوف تملأ

الساحات و الأبواب ستفتح مرة أخرى، الأصوات المشرقة و الضحكات سوف تملأ جنبات المبنى، الأطفال، وسيحمل البالغون حقائبهم بينما الأطفال يتجولون وهم يضحكون و يركضون.

ولكن حتى الآن هي هادئة ومهجورة، وكَمَثَلِ لص، تسلّث أكثر لم أستطع أن أوقف نفسي، نظرت خلال أجزاء النافذة المتسخة أحاول أن أجد مقبض الباب الخارجي، ولكن هل يمكن أن أرى أي أثر «لأليكس وسميلا» أو حتى إشارة أنهم كانوا هنا، بالطبع لا.

استمرّيتُ على طول الطريق، وتوقفت عند الكابينة، خيالي أصبح أكثر شراسة، تصورت أن «أليكس وسميلا» مقيدين ومكتمين، لدرجة أن صراخي أصبح أكثر علواً، وخطواتي أصبحت سريعة، اندهشت وشعرت بالفضاعة، كما لو أن هناك وهمّ يؤثر على أفكاري و أفعالي. كما لو أن بحثي لا جدوى منه، كما لو أن كان لدي الحق للوصول للحقيقة، ولكنني اخترت عدم رؤية ذلك.

أمام أحد الكبائن المزينة بالزخارف الجميلة، توجد أرجوحة بلاستيكية صفراء اللون معلقة على شجرة صفصاف كبيرة، تتمايل بلطف مع الريح، «سميلاً» تحب أن تتأرجح، حلقي يتقلص، تحب أم لا، عاد الغثيان مرة أخرى، أحاول أن أتقيأ ولكن دون جدوى، جسدي يشعر بالغضب و الحنق، كما لو أن كل حياتي عبارة عن حرب لا نهاية لها، وليس هذا بسبب اختفاء «أليكس و سميلاً»، ولكن بسبب خروجي من العيادة مشوشة ومدمرة من كلام الطبيب الذي كان يرن في أذني. وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع أن أرى الجزيرة من هنا، استدرت إلى الاتجاه الآخر، لقد تصورت نفسي عندما كنت في القارب منذ فترة قصيرة، وكيف جاءت لي فكرة الانضمام إلى «أليكس»، أكون أو لا أكون هذا هو السؤال، والذي يحتاج الآن إلى إجابة.

أمشي وأنا أنظر بعيني إلى الأرض، لا أريد أن أرى أشياء تتدلى وهي تتأرجح من الأشجار، بدلاً من ذلك ركزت على أن أضع قدم أمام الأخرى، وخذائي الوردي يتابع المسير إلى الأمام.

مازلت **مستمرة** في السير، أمر بالكثير من الكبائن و الحقائق، ثم، مع منحنيات الطريق المليء بالحصى، ثم أواصل السير بين الأشجار. أبي سوف يُعجب بصندلي، إنه يقدر الأشياء الثمينة، إن له عين تعرف كيف ترى الجمال، في كل مرة كنت أرتدي ملابس كأميرة- كان يصفق لي ويقول لي بفخر كم أبدو جميلة، ماما، كانت ببساطة تهزُّ رأسها و تضغط على شفتيها معاً، كان والدي يجلب لي تيجانا لامعة وأقراطا أو حتى أحمر شفاه، ماما كانت تأخذها و تحتد علي بشدة، هناك الكثير من الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة للفتيات الصغيرات يمكن التركيز عليها أكثر من أحمر الشفاه .

في تلك المناسبات التي يتعارك والداي فيها، كان أبي يطلب مني أن أرتدي إحدى الفساتين التي أحضرها لي، ويتظاهر أننا ذاهبون إلى حفلة، وبعد كل جدال ساخن كانت أُمي تنسحب إلى مكان ما لتكون وحدها، إلى الحمام أو غرفة النوم، ولكنها كانت تفضل أن تذهب للتمشية لمسافة طويلة، إذا عرضت عليها

الصنادل ذات الكعب العالي فسوف تسخر مني وتقول لي كيف سأمشي بها، إنها تؤذي قدماي؟ .

خيبة أملها في كانت دائما تختبيء تحت ستار الاهتمام المحفوف بالقلق، بالرغم من أنها لم تقل لي ذلك و لكنني كنت أعتقد أنها تعرف أنني كنت أستطيع فعل الأفضل. في بعض الأحيان كانت تخجل مني ومن اختياراتاتي، كانت وظيفتها تتضمن التعامل مع المشاكل الإنسانية والنزاعات و حياة الناس. وهذا النوع من الأشياء له قيمته الحقيقية، ومع ذلك لديها ابنة مهنتها في الحياة هي الاهتمام بالمظاهر الخارجية. ابنه تتبع خطوات والدها المريب، عندما يتعلق الأمر بحياتها الشخصية.

أفكر ب«أليكس» . بأبي و أمي، وفي نفس الوقت يزيد عدم ارتياحي.

في بداية علاقتنا أخبرت والدتي عنه، لم تستطع مساعدتي، ولكنها في الواقع لم تبد أي نوع من البهجة؛ نتيجة لهذه العلاقة.

لم يكن لديها أي تعاطف نحوي.

كيف استطعتِ جرّيتا ؟ كان كل ما قالته.

حركة خفيفة أفقدتني توازني على الطريق. توقفت فجأة، و لمحت شيئاً أسوداً يتجمع في حفرة قبل أن يظهر شيئاً فشيئاً أمام عيني، الشكل يبدو لي على هيئة إنسان، أرى ساقين وذراعين وشعرا طويلا، ولكن لا توجد عيون، لا وجه على الإطلاق. أحسست بجسدي يتجمّد من الخوف، أصابعي تلتوي بشكل لا إرادي، ثم يتحول المخلوق إلى شيء شاحب، ربما شبح، أصبح مرئيا لي على هيئة شعر. وجه فتاة.

(11)

من هي هذه الفتاة؟ لا يبدو أنها أكثر من عشرة أو اثني عشر عاما. أجبرت نفسي على المضي قدما، كلما اقتربت أكثر أجد أن الفتاة في سن مراهقتها، جسمها نحيل، كباقي أجساد الأطفال، إنها شاحبة اللون، بالرغم من أننا في نهاية فصل صيف طويل ومشمس بشكل غير عادي، كانت ترتدي قميصا فضفاضاً وبنطلونا طويلا، كل الملابس سوداء تماما، يتدلى شعرها إلى أسفل ظهرها، لا يسعني إلا أن أفكر في أنه سيكون جميلاً لو أنها لم تصبغه باللون الأسود الذي جعله بلا حياة .

إنها تبدو قلقة و في حيرة، حدقت فيها، وأدركت أنها أول مخلوق أراه بعد «تريث» منذ اختفاء «سميلا و أليكس»، اقتربت منها شيئا فشيئا، كنت على وشك أن أقول لها مرحبا، عندما رأيت مجموعة من الناس على بعد أمتار من الغابة، بالقرب من الشاطيء. زوجان يتحركان ذهابا وإيابا، ينظران إلى أسفل الماء ثم يخرجان عبر البحيرة، كما لو كانا يبحثان عن شيء ما،

الآخرون يواجهون بعضهم البعض ويتحدثون بصوت عالٍ، الشمس تظهر في السماء وتتلاشى معها الغيوم، ترسل أشعتها وتضرب الشيء اللامع والحاد الذي يمسكه أحدهم. ومضة من الضوء، ثم رجعت خطوة للوراء.

لابد أنني فعلت شيئاً ما، أو صرخت لأنهم استداروا جميعاً، وجوه شاحبة، خمس أو ستة أزواج من العيون تحقق في اتجاهي. أولاد مراهقين. هذا ما فكرت فيه من قبل. يبدو أنهم قادمين نحوي عبر الأشجار. شيء بداخلي قال لي أن أهرب، أهرب بسرعة، قدر المستطاع. أحسست أن ساقي ثقيلتان و متذبذبتان، و ملتصقتان بالأرض. الأولاد لم يكونوا مسرعين، كانوا يتحركون ببطء وربما عمداً.

أخيراً وصلوا إلى طريق الحصى و التفوا حولي، أحدهم وقف خلف ظهري، آخر ولد منهم هو من كان يحمل السكين، كان يتحرك بثقة واضحة، تجاهل وجودي، ووقف إلى جانب الفتاة. وقال لها «كان عليك أن تشاهدي» شعره كان مثلها أسود ولكنه كان حليق

الجانبين، مالت الفتاة على كتفه في إيماءة تدل على الخضوع أكثر من الحنان، وضع يده على رأسها، ولف الثانية حول عنقها، وطوال الوقت كان ممسكا بالسكين، ربما كان نوعا من العطف و لكنه يبدو شيئا آخر، تقدم منها أكثر حتى تواجهها تماما، إنه أكبر من الآخرين، كان هذا واضحا، كان وجهه أخشن وعريض، ولديه بعض الشعيرات المتفرقة حول فمه، لحيته هزيلة في ذقنه، وشعره مضفر، ويربط نهايته، ولكن ما كان بارزا منه هو عينيه، شعرت أن عينيه ينبع منها شي فظيع ،على ما يبدو أنه ليس أكثر من عشرين عاما.

من أنت ؟ وماذا تفعلين هنا؟ نبرة صوته تشير إلى أنه اعتاد أن يُطاع من الجميع. نظرت إلى الفتاة وكانت تقف وراءه وأكتافها منحنية.

ربما يكون صوته، أو ربما الطريقة التي تنحني بها البنت أمامه. لكن شيئا ما يحصل لي، جعلني أقف أمامه مستقيمة، و قلت له من أنت؟ وبدون تردد، رفع السكين وصوبها نحوي، تراجعت إلى الوراء و لكنني

اصطدمت بجسم هزيل استدرت لأرى العيون الباردة،
الضيقة. أدت رأسي بطريقة أخرى فأجد ذقنا بارزا،
نظراتي هربت بعيدا، ذقون ناعمة، وبارزة حمراء،
يرتدون تي شيرتات، بنطلونات جينز بالية مع تشققات
في الركبتين، الأطفال، على ما أعتقد، إنهم مجرد
أطفال، أولاد تائرون في مكان لا يحدث فيه أي شيء.
إنهم فقط يحاولون إخافتي هذا كل ما في الأمر،
ولكنني لم أقنع ولا حتى الفكرة هدأتني.

لماذا أنت خائفة؟ أنا فقط بحاجة إلى طلاء أظفري،
الولد أنزل السكين إلى أسفل وأستخدم السكين
لتنظيف الأوساخ تحت أظفريه، الأطفال الذين من
حوله أعطوه مكافأة على هيئة سخریات متناثرة و
مرة ثانية غير من تعبيره، دعونا نحاول مرة أخرى .

من أنت ؟ وماذا تفعلين هنا؟

نظر إليّ و هذه المرة كانت عيناه المظلمتان شديديتي
القسوة، كما لو أنه لا يرى شيئا أمامه، كما لو كنت
جمادا.

«لقد سألتك سؤالاً. إذا عليك أن تجيبني».

ضربني ضربة حادة في كتفي جعلتني أرتعد. الأطفال يقتربون مني أكثر، فجأة سمعت صوت أمي في رأسي، التجريد من الإنسانية، تقولها في لهجة استنكار خاصة بها، يوجد تقارب بين التجريد من الإنسانية والجريمة العنيفة، يمكن أن تؤذي شخصا عندما لا تتعامل معه بإنسانية، عندما لا تتعاطف معه، لذلك قررت أن الجدال المعاكس هو الطريقة السليمة، بدأت أقول لهم من أنا وأنني كنت في رحلة.

بالطبع لم أتوقف عند هذا الحد، أضفت أيضا الموقع التقريبي للكاينة بالتفصيل، وأخبرتهم عن «أليكس وسميلا» وأنا - نحن الثلاثة - كنا في نزهة، وأنني سوف أرجع لهم الآن لأنهم ينتظرونني وسوف يقلقون لتأخري، و فجأة توقفت الكلمات في حلقي وانتظرت، لم يهتم الصبي ذو اللحية، لقد خدش زراعه، و نظر في ساعته. لم أعرف.. هل سمع شيئا مما قلته؟ .

ألم تأخذي شيئا يخلصنا؟ ألم تفعلي؟

في الحقيقة خُيل لي أنني لم أسمع، ماذا كان يقصد بهذا السؤال؟، غضبت وهزّزت رأسي نفيا، على أمل أنه يدرك أنني في حيرة من أمري بالكامل. اقترب الصبي ذو اللحية قال لي، هل أنت متأكدة؟ .

قبل أن أجيب على سؤاله قفزت الفتاة بجانبه وهمست في أذنيه، استمع إليها بعدم صبر ثم دفعها بعيدا، خارج زاوية عيني، رأيت بقية الأطفال يذهبون ويأتون ملقين نظرات استفسار للشاب ذو اللحية، ماذا يحدث هنا؟ .

الثواني تضيع، لا أسمع إلا صوت الطيور، جفّ فمي، وجسدي أصبح كالحزام المشدود. أخيرا فعل الصبي ذو اللحية حركة غير مفهومة بيده، وأدار ظهره لي، يتحرك على بعد مسافة قصيرة، الوقت يقف مرة ثانية، ثم، ببطء، أحسست أن الحلقة الحديدية المحيطة بي بدأت في التلاشي شيئا فشيئا، شعرت ببعض الارتياح والطمأنينة لعدم انسحاب الأولاد، ولكن على ما يبدو كانت خيبة أمل نابعة من أجسادهم القليلة، خيبة أمل ناتجة عن إطلاق سراح أسيرتهم،

من الواضح أن ذو اللحية أدرك ذلك وأراد القيام باستعراض أخير للقوة، أرخيت أكتافي المتخشبة بصعوبة عندما استدار مرة أخرى لي بحركة واحدة سريعة، رفع السكين ووضعها تحت ذقني، لم يضغط عليها، لكن النصل كان حادا.

« إذا اكتشفت أنك تكذبين.. »

لم يكد يكمل الجملة حتى دفعني إلى الوراء، و نظر لي نظرة ذات مغزى. ثم استدار، و عبر الخندق، ثم اتجه نحو الشاطئ دون أن ينظر إلى الوراء.

كنت قد تلقيت منهم بعض الضربات الخفيفة غير المؤذية قبل أن يرحلوا. أسمع أصوات ضحكاتهم قبالة الأشجار، كنت أنا والفتاة وحدنا، عيوننا تتلاقى ثم استدرت وتركتها.

أمشي بأسرع ما أستطيع ولكن ليس ركضا، عندما وصلت إلى المنعطف الثاني للطريق ووجدت أن بيني وبين الأطفال مسافة، قلبى كان يدق بسرعة، وكنت

أرتجف. وقعت على جانب الطريق وتدحرجت كالكرة، كنت متأهبة في حال إذا غيروا رأيهم. لا يعني هذا أنه يوجد فارق لو صمموا أن يتبعوني، فلا شك أنني سوف أدافع عن نفسي.

جلست على الأرض ونظرت إلى الحذاء الوردي، فكرت في الحذاء الأسود الذي وجدته في الجزيرة، فتاه «الحفرة» كان لديها زوج مماثل. الخوف الشديد يهاجمني في معدتي و يهزني من رأسي لقدمي، مرة ثانية أكملت السير في الطريق، وأنا أنظر هنا وهناك، كنت أتوقع أنهم سيلاحقوني بأجسادهم النحيلة و لكن لا أحد يتبعني، و بالرغم من ذلك ركضت بقوة حتى كاد حلقي ورثتي أن يحترقوا .

يجب عليّ الخروج من هنا الآن.

(12)

لا أعرف من أين تأتي كل هذه الكراهية التي في داخلي. كيف يمكن لقلبي أن يتسع لكل هذا الظلام؟ خاصة لشخص مثلي، نشأ وترعرع على الحب، كانت تحتضني بين يديها، لتبين لي الطريق الحقيقي إلي الحياة. كانت إلي جانبي، أعطتني كل شيء، عاشت فقط من أجلي و بعد مرور السنين، عندما جاء دوري واستقبلت معجزة الحياة، صنعت نفس الشيء. عشر أصابع صغيرة كان كل شيء قد تغير، وأنا أحنى رأسي وأطلب الرحمة، لقد ضحيت بكل شيء ليس لأنني مجبرة على القيام بذلك، ولكن لأنني أردت ذلك، وقد فعلت ذلك بكل سرور وحب.

أميل إلى الأمام وأغسل جبينها، وعلى الرغم من تكون حبات العرق على جسدها، إلا أن بشرتها كانت باردة جداً، لا أريد شيئاً من الحياة إلا أن أجلس وأتحدث معها.

المساحة التي لدي صغيرة جداً، وحتى الآن غير مسموح لي أن أكون في سلام، هناك صوت يتحدث، قائلاً «بدوني أنتِ لا شيء» .

أحاول أن أصل إلى يديها، وأقفل عليها بيدي، أصابعها ضعيفة، أنا الشخص الوحيد الذي يمكن أن يبقينا معاً الآن.

أظن أن الشيء الوحيد المهم هو أن تتعافى وتعود لي. لو أصبح بإمكانك الاحتفاظ بها، لن يهمني أي شيء آخر.

هزئت رأسي طارداً تلك الأفكار، أستطيع أن أنسى، أستطيع حتى أن أغفر، هذا ما أفكر فيه، لكنه ليس صحيحاً، لأن كل ما يحدث، يجعلني لا أستطيع مسامحتك.

هل تسمعيني؟ مستحيل.

(13)

كان هناك طريقين، مما أتاح لي فرصة العودة مرة أخرى باتجاه الكابينة دون الحاجة إلى العبور من النقطة التي قابلت فيها هؤلاء الأطفال، أود أن أرجع إلى منزلي مرة أخرى، وبالفعل وصلت، لم تعد علامات الحصى واضحة على الطريق، كما لو أن أحدهم قد أزاحها عمداً.

الشخص الذي مكث والشخص الذي غادر. فتّشت تحت دوّاسة الأقدام بحثاً عن مفتاح الكابينة، إلى أن وجدته.

رأيت نفسي في مرآة الحائط المعلقة في المدخل، كان هناك سوادا كثيفا حول عيني ووميضا ورديا متوهجا عليّ «على عظام خدي»، ووجهي يبدو شاحبا تماماً تحت كل هذه الألوان. تصوّرتُ السكين ولمعان شفرته الحادة بينما الصبي ينظّف به أظافره. أشعر بضغط السكين تحت ذقني، وقفت لفترة طويلة في القاعة، حتى بدأ خوفي يتلاشى تدريجياً، لكن ملامح



الشخصيات والصور رفضت أن تتركني. وعلى الرغم من كل ما مررت به، لكن لا تزال صورة واحدة لا تفارقني وهي صورة الفتاة وهي تميل على كتفي الصبي بكل ثقة وطاعة.

الطريقة التي استجابت بها بوضعه السكين على رقبتها. لا أستطيع أن أزيح نفسي بعيداً عن المرأة، ويبدو أن ملامحي اندمجت مع ملامح الفتاة. هل هناك شيء مميز حول نظراتها؟

شيء عار، شيء مألوف، أسمع نفسي أتحدث، أنظر إلى الفتاة التي تراقبني. لقد قلت لهم أن زوجي وابنتي في الكابينة ينتظرونني. هل قرأت ما بداخلي؟ هل أدركت أنني كنت أكذب؟ لقد رأيتهما تقف على أصابع قدميهما وتهمس للصبي بشيء، ماذا كانت تقول له؟

سندت ظهري على الحائط ثم انزلت على الأرض. تمر الدقائق بينما يتلاشى التوتر داخلي ببطء، ليس لدي طاقة على النهوض. أشعر أنني لن أقدر على الوقوف مرة أخرى. لقد تراخت أطراف يدي، وغاص رأسي في

صدري. صوت ضوضاء حادة تشق جنبات السكون
تدفعني لأفريق. هاتفى الخلوي الذي كان في جيبى،
أحس به يهتز على فخذي، لابد أنه «أليكس».

شكرا يارب كل شيء قد انتهى. رفعت التليفون على
أذني و بدون أن أرى الرقم لكنها كانت أمي من جديد .

مرحبا؟ «جريتتا».. كيف حالك؟ هل كل شيء على ما
يرام؟

تمتمت ببعض الكلمات غير الواضحة في الرد.

ماذا تقولين؟ بالكاد أستطيع سماعك يا «جريتتا» أين
أنت؟ أعلم أنك لست في المنزل لأنني اتصلت مرات
كثيرة.

أعتقد أنني لا أستطيع البقاء هنا في الكابينة ولو حتى
دقيقة، أحتاج إلى أن أستقل السيارة وأذهب من هنا،
اذهب إلى الشرطة أو المنزل. هل يمكن أن أقود إلى
المنزل؟ .

لا أستطيع التحدث الآن، كان صوتي بين الهمس و الصفير. «عليّ الذّهَاب» و لكن أُمي ليس من السهل إيقافها.

ما الذي يحدث معك عزيزتي جريتا؟ أنتِ تتصرفين بغرابة في هذه الأيام الأخيرة؟ لا أعرف ماذا بكِ.

دخلت في صمت الأفكار. تسلّ إلى عقلي أن والدتي هي التي أنهت المكالمة نتيجة نوبة من الغضب.

أخيراً، اعتقدت أن كل شيء انتهى، ولكنني سمعتها تسحب نفساً عميقاً و تستعد لتقول شيئاً. «لا عجب في أن تكون «كاتينكا» قلقة عليك» .

«كاتينكا» قلقة عليّ؟ أحسست بالحرارة والبرودة في نفس الوقت. ماذا قالت «كاتينكا»؟ لماذا تكلمت أُمي معها؟.

لقد كنت في المركز التجاري اليوم، ومررت بالمتجر لأقول لك مرحباً. ولكنني لم أجده قالوا لي أنك في

عطلة. لم أكن أعرف أنك كنت تخططين لقضاء أجازة في هذا الوقت الحالي .

«ماما، أنا» ولكنها أكملت حديثها، «لذلك اتجهت إلى «كاتينكا» لأنني أعرف أنها صديقتك المقربة».

ثم سكتت أمي. كل ما أسمعه هو تنفسها، هل تنتظر مني أن أقول لها شيئاً؟ لتبدي ملاحظتها عن علاقتي «بكاتنكا» أو أنها كانت تفكر في أفضل صديقة كانت لديها في السابق؟ لقد اعتدت على التنصت على مكالماتها الهاتفية، كانت «روث» هي من تتكلم بكثرة في العادة، وأمي تجلس على طاولة المطبخ أو الأريكة لتستمع.

«لا.. ليس هنا.. نعم كالعادة.. من يعلم أين هو الليلة؟»

كانت تسمع باهتمام، بطريقة لم تفعلها مع أي شخص آخر. أحيانا كانت تستمع إليها لفترة طويلة، حتى أنني كنت أحبس أنفاسي، أكاد أسمع صوت «روث» على

الهاتف. لم أكن أعرف ما تقوله لأمي، و لكن كل ما أستطيع فهمه هو أن كلامها كان نوعاً من المواساة.

«ماذا أفعل بدونك يا روث؟ شكراً على الإنصات . ليس لدي أحد آخر ألجأ إليه غيرك .

هل كان شيء ينذر بالشؤم في كلام أمي بعد ما حدث، هل فقدت أمي الثقة ليس فقط في « روث» بل في الصداقات الأثوية بشكل عام؟ هل هي خائفة من أن «كاتينكا» ربما تخونني كما فعلت «روث» معها؟ لا يوجد ما يدعو للقلق بشأن ذلك . هذا ما سوف أقوله لها إذا سألتني.

أنا أعرف أفضل من أمي. «كاتينكا» وأنا نعرف بعضنا البعض جيداً، ولكن هذا لا يعني أننا قريبين، على الأقل ليس كما كانت أمي وصديقتها روث، لقد تعلمت من أخطاء أمي، أكاد أسمعها تخبرني بكلام «كاتينكا» أنني في الفترة الأخيرة لم أكن على ما يرام، هذا ما قالتها، وأنها قلقة عليّ، رفعت يدي لأمسح جبينني مرة ثانية، ومرة أخرى فكرت فيما حدث في الغابة، الأطفال،

السكين التي كانت مصوّبة نحو حلقي، ماذا عنك ماما؟ أريد أن أسألها. هل أنت قلقة يا أمي؟. ولكن عندما فتحت فمي، تعثرتُ وقلت لها «أنا حامل». لا أعرف لماذا قلت لها هذا الكلام، ربما لأصدمها. أو لأنها قد تلاحظ أنني تغيرت عن جريتنا اللي تعرفها، لنكن صادقين، لم أكن أنا نفسي لوقت طويل. «كاتينكا» كانت على حق. صاحت أمي قائلة: يا إلهي! حامل؟

تغيرت نبرة صوتها وأصبحت أكثر حدة، ثم قالت، «من والده؟».

لا أستطيع فعل ذلك بعد الآن. أنا ببساطة لا أستطيع. دخلت غرفة النوم، أغلقت هاتفي الخلوي قبل توصيله بالكهرباء. قفزتُ إلى السرير بعد أن سيطرت اللامبالاه عليّ، و طردتُ كل الأفكار التي تدور برأسي، وقبل أن أغلق عيني فكرت في كلام أمي و عدم رضاها.

كيف يمكنك فعل ذلك «جريتّا»؟ من على الأرض يستطيع فعل ذلك؟

(14)

أيقظني صوت «أليكس». هو الذي كنت أفكر فيه، وما اعتقدت أنني سمعته يهمس لي، بالطبع أنت تعتقدين أن هذا حقيقي؟ أنت فقط تتخيلين كل شيء، إنه مجرد خيال، اللحاف من تحتي تجعد وأصبح أكثر رطوبة.

أنا أرتجف، أحسست بشيء ساخن إلى جانبي يلتف حول ساقي، إنه «تيريث»، وضعت يدي تحت بطنه الناعم ثم وضعته على صدري، وضعت إصبعي تحت طوقه الوردي وفركت حول عنقه، أخذ «تيريث» يتشاءب، وينظر لي نظرة طويلة بعيونه الضيقة، النائمة إنه قط «سميلا»، ربما هو الآخر يفكر فيما أفكر فيه: نحن الاثنان لا ننتمي إلى بعضنا. لكل واحد منا عقليته. بالكاد رفعت يدي إلى رقبتني و لمست البقعة التي عليها واتجهت بأصابعي إلى ذقني. إحساسي بالسكين مازال معلقا في ذهني. تذكرت الصبي و تهديده المخيف لي وعلى نحو عاجل طردت هذه الصورة، ورجعت بانتباهي إلى «تيريث»، داعبت القط

إلى أن تمدد بجسمه الأبيض والأسود على صدري، أخذ يموء بصوت عالي، خمنت أنه يريد أن يقول أننا يجب أن نلتزم ببعضنا البعض.

لسبب ما، أشعر بعدم الاستقرار. دفعت القط بعيدا وجلست سريعا عندما أحسست بحرقان في حلقي، وكما قالت الطبيبة لي قبل تسعة أسابيع، «بعد أسبوعين سوف تحدث بعض التغيرات في جسدي»، بالفعل قد مضى أسبوعان ورأيت تغيرا ملحوظا في جسدي، غثيان و قيء وانسداد للشهية، بخلاف التعب الذي يبدو أنه سيطر على كامل جسدي، أضع يدي على بطني وشعور بالانتفاخ يتزايد، أحاول أن أطرد الأفكار مرة أخرى، لقد حصل لي قبل ذلك عندما ذهبت لأول مرة إلى العيادة وسمعت الأخبار. لكن لا، لقد اتخذت قرارى. هذه المرة أن أكون أو لا أكون، هذا هو السؤال. هذه المرة، أنا أريد هذا الطفل بالرغم من كل شيء.

من هو والده؟ كلمة أمي مثل شفرة موسي حادة جرحتني قمت بتشغيل هاتفى ووجدت أنني تلقيت ثلاث مكالمات كلهم من أمى.

أنا آسفه للغاية يا حبيبتى. لقد كنت مصدومة جدا
و..... سنحل هذا الأمر بطريقة ما. اتصلي بي ودعينا
نتحدث. «فقط أخبريني أين أنت؟ وسوف أحضر، من
فضلك «جريت» لا تفعلي هذا. أنا فقط لا أستطيع...».

هل كانت أمي تبكي من أجل سلامتي؟ كنت أسمع آخر
مكالمة صوتية لها ولكن دفعي للباب جعل الهاتف
ينزلق من يدي ليقع على الأرضية، الأمر كله كان يتعلق
باحتياجات أمي وكيف تشعر وماذا تستطيع فعله أو لا
تستطيع، نظرت إلى الهاتف و هو ملقى على الأرض،
لكن «أليكس» لن يتصل. يجب ان أتركه على الأرض،
استجمعت كل اللوازم الضرورية، ووضعت الشنطة
على كتفي، ثم ركعت وأخذت الهاتف ووضعتة في
الشنطة.

أثناء مروري، تركزت عيناى تلقائيا على حجرة النوم
الصغيرة، وقادتني قدماى إليها، أملت على حافة
السريـر ونزعت اللحاف المطبوع عليه صورة أميرة من
القصص الخرافية، «سميلا» تحب الأميرات، مثلما
كنت أنا فى سنها، نحن نتشابه فى أمور كثيرة. نظرت

إلى الوسادة و شممت رائحة شامبو الأطفال الذي بدأ يتلاشى، « لم تواتني الفرصة لأخبرك بالخبر السار يا سميتلا»، سوف يكون لك أخ أو أخت داخل بطني، شعرت بحركة الجنين، وفجأة صدمت بشيء من الخجل. شخص بالغ يفشل، يستسلم، أي نوع من القدوة يمكن أن أكون أنا؟ والتي في طريقها لأن تصبح أمام للمرة الثانية، لدي اعتقاد أن كل شيء سوف يكون بخير. كل شيء.

نهضت و تركت حجرة «سميتلا» وبينما أمر من أمام مرآة الحائط رأيت نفسي «الماسكارا» ملطخة، وظلال عيوني مبقعة، شعري مهوش، كما لو أنني امرأة مجنونة. بسرعة أصلحت مكياجى ومشطت شعري، قفلت الباب ونزلت على السلالم.

دارت السيارة بعد المحاولة الثانية، كل ما أفكر فيه هو الذهاب بعيدا. لا يوجد لدي شيء أفعله هنا بعد الآن إلا الخوف والارتباك، مع مرور للوقت أشعر أنني متورطة في شيء لا أفهمه، شيء يبدو مخيفا. بعد مسافة قصيرة سوف أستطيع فهم الكثير من الأشياء التي

كانت تراوغني. السيارة تسير على طريق الحصى الضيق، أمر بالكبائن الصيفية التي تشبه كابيتنا إلى حد كبير، إنهم على جانبي الطريق، فارغين لا حياة فيهما، لا توجد سيارة واحدة متوقفة في الخارج. ولا روح على مرمى البصر.

هناك شيء غير طبيعي، منطقة للعطلات مثل هذه مهجورة وفارغة، المكان بأكمله يبدو غير واقعيًا.

على الرغم من إحساسي بالعزلة إلا أنني كنت أدقق في رؤية ما حولي، نظرت في مرآة الرؤية الخلفية وأنا قلقة أن أرى تجمع من الأطفال يلوحون لي، لكن لا يوجد أحد هناك. وعندما فكرت في الفتاة والصبي والأحداث كلها، بدا لي أن كل هذا غير حقيقي، تلاشت أشكالهم من أمامي وذابت في الهواء الطلق مثل الأشباح. هل قابلتهم حقاً؟ هل كان هذا حقيقياً؟ تضغط يدي على عجلة القيادة بشدة، وأدوس أكثر على البنزين. ماذا يحدث لي؟ أنا أفقد القدرة على الفصل بين الحلم والواقع؟ بطريقة أو بأخرى لا بد لي من العثور على وسيلة تؤكد لي أن ما أعيشه هو واقع،

وليس محض خيال، طردت هذا الفكرة من عقلي وأنا
أعض على أسناني واستمررت في القيادة.

نظرت إلى قمم الأشجار ما هذا؟ أكاد أرى بوضوح
خيوط دخانية تتطاير في السماء . هذا لا يعني إلا
شيئاً واحداً فقط .

وصلت الآن إلى مفترق الطرق. على اليسار يؤدي
الطريق إلى مدخل الطريق السريع، وعلى اليمين
يستمر ليؤدي إلى كبائن أخرى من «مارهم» إلى
المنطقة التي يتصاعد منها الدخان . قدمي تضغط
على «الدبرياج» و يدي ممسكة بزراع نقل السرعات،
أشير إلى اليسار ثم أتجه يميناً.

(15)

ببطء، أسير على الطريق المتعرج الذي يأخذني إلى عمق منطقة «مارهم» وابتعد عن الطريق السريع، خيط الدخان الرفيع هو دليلي الإرشادي في الطريق. من أين يأتي، يجب أن يكون هناك أشخاص. أشخاص حقيقيون. هؤلاء الذين أراهم بعيني، الذين يتكلمون معي، فأقتنع أن ما أراه حقيقي، وأن ما يحدث حقيقي جداً.

في هذا الجزء من منطقة «مارهم» تكون الكبائن أكبر وأوسع، معظمهم يشبه المنازل أكثر من الكبائن، وهناك مساحة أكبر بين الساحات. ولكن هنا أيضاً، كل شيء يبدو مغلقاً ومهجوراً. تقدمت ببطء أنظر إلى جانب واحد من الطريق، ثم استدرت لأنظر إلى الاتجاه الآخر، لأرى أي علامة لوجود أشخاص آخرين. هناك صوت غير متوقع، أبطئت، وسمعت سلسلة من الأصوات المكتومة والمتقطعة، عندما أدركت ما أسمعه وقفت على جانب الطريق، قلبي ينبض بحرارة.



كلب ينبح. هذا يعني أنني على مقربة. نزلت من السيارة وأكملت سيرا على الأقدام. على الجانب الأيمن من الطريق أرى أشجار داكنة وومضات من أشعة الشمس تتلأأ من نافذة كبيرة. الفناء فسيح ولكنه مختبئاً خلف سور كبير يحيط بالامتلاكات.

تقدمت وألقيت نظرة حول البيت، يوجد عدة رسومات باللون البني، إنه لون غير عادي هنا. ألقيت نظرة على أحواض الزهور الرائعة والمروج الخضراء على السطح المصقول للغاية، ووجدت شواية من النوع الذي يستخدم فيه الفحم.

أذني منتبهة للغاية، ولكن الشيء الوحيد الذي أسمعُه الآن حفيف الأشجار، صياح الطيور بجانب الماء. بخلاف ذلك كل شيء هاديء. عاد النباح مرة ثانية، ورأيت كلباً ضخماً يجري ناحية زاوية من البيت، إنه كلب كبير ذو فرو لامع، لسانه يتدلى من فمه، يلعب بكرة صفراء صغيره يقذفها ثم يدور ليعثر عليها. يبدو أن الكلب كان منهما في اللعب لدرجة أنه لم يرني وأنا واقفة مترددة خارج السور، ربما يكون مدرباً

بشكل جيد جداً للتعامل مع الغرباء. من خلال زاوية رؤية عيني رأيت شيئاً يتحرك، وفورا نظرت إلى الطابق العلوي من البيت هناك نافذة مفتوحة جزئياً، تتدلى منها ستارة رقيقة، هل هناك أحد هنا؟ ما زلت واقفة لا أعرف ما أفعله. لابد أن أقف هنا، وأحاول التحدث مع أحد، إنه السبب الذي أتيت من أجله. ولكن فكرة أنني أتكلم مع شخص آخر لا تريحني. ماذا لو عرفوني من مجرد النظر إليّ؟

قررت التجول ثم العودة نحو السيارة.

«مرحباً! هل يمكنني مساعدتك؟»

استدرت هنا وهناك وذهلت من الصوت.

يقف من ورائي رجل مسن يرتدي سروالاً ضيقاً وسترة فوق قميصه بالرغم من درجة الحرارة العالية. شعره رقيق و صوته ينم على الألفة مشوبة بقليل من الحذر. كان الكلب يقف بجانبه وهو ممسك بطوقه.

«هل أخفتك؟.. لم أكن أقصد.»



هزرت رأسي و أنا أهمهم ببعض الكلمات الدالة على أنني بخير. قلبي كان يدق بسرعة «أعتذر على تسلي عليك».

لا يوجد كثير من الناس في هذا الوقت المتأخر من الموسم، يجب أن تكون على أهبة الاستعداد لما قد يفعله هؤلاء الأطفال، هذا كل ما في الأمر.

حدقت في وجهه. هؤلاء الأطفال. إذن هم موجودون بالفعل، هزرت رأسي وصنعت تعبير أحس به الرجل أنني موافقة. رسم على وجهه ملامح الارتياح وابتسم، على ما يبدو بعد أن عرف أنني لا أشكل تهديدا.

«من المؤكد أن الأمر ليس ممتعاً»، كما يقول، «بعض الليالي يصنع الأطفال ضوضاء كبيرة أسفل البحيرة أو خارج الجزيرة» أحاول أن أكون بعيداً عنهم قدر المستطاع».

خارج الجزيرة؟ إنني أفكر في «أليكس و سميلا» في فردة الحذاء الأسود الذي وجدته، إنني أرتجف. لقد

عرفني الرجل بنفسه، و لكنني بعد مرور ثانية نسيت اسمه بالفعل.

- «هل تعيشين بالقرب من هنا ؟

أومأت إيجابا، وقلت «نعم في إحدى الكبائن على الرصيف أعلى الطريق» .

«أليكساندر» هل أنتِ مع أليكساندر؟ لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة رأيته فيها، ولكنني لمحتة وكان معه طفلة صغيرة أظن أنها ابنتك؟

همست «سميلا» هناك شيء ما في صوتي، إنه أجش وأجوف ولكن الرجل لم يلاحظ، ربّت على الكلب الأسود الذي يمس بيده منخاره المبلل.

« سميلا» يا له من اسم جميل. لابد وإنك زوجة «أليكساندر» أعتقد أننا تقابلنا من قبل، كان اللقاء قصيراً جداً.



خفضت عيني مرة أخرى، هل أميل مرة ثانية؟ أفكاري تتجه إلى مكان آخر. هذا الرجل يقول أنه رأى «سميلا» مع «أليكس» ذلك اليوم. ما الذي يعنيه ذلك؟ متى رأيتهم؟ هل تتذكر؟ أعني سميلا وأليكس» وأين رأيتهم بالتحديد؟»

نظر إلى بشكل غامض وأكمل، «أعتقد أنه كان في حفلة الرقص في منتصف الصيف منذ سنوات مضت، كان يبدو أنكما كنتما حديثي العهد بالزواج، كانت تلك الأيام، في الوقت الذي كان يوجد فيه إقامة للاحتفالات والمناسبات المنظمة في «مارهم». نظرت له وسألته متى رأيتهما حديثا أين بالتحديد؟ هز الرجل رأسه ببطء. «أنا أسف». لا أستطيع أن أتذكر. أجد نفسي أتساءل لماذا يكذب؟ أو ربما يقول الحقيقة إنه رجل عجوز، وذاكرته ليست كما هي. ليس معنى أن علاقتي بالحقيقة كاذبة، يعني أن كل الناس يكذبون، تحرر الكلب من صاحبه واقترب مني حاول أن يشم رائحتي، لكنني عندما حاولت أن أداعبه في أذنيه، تراجع. لم يعد يهز ذيله.

حسنا، من الأفضل أن أذهب... وما أن ابتعدت قليلا، حتى قال «كان يبدو غاضبا أو مذعورا أعني اليكساندر»، صدقيني.. من الصعب وصف كيف كان».

عاصفة من الرياح تجتاح جذور الأشجار، تحمل معها رائحة الخطر، غضبان أو مذعور من الصعب معرفة ما كان. «أنا آسف».

ولكن كان لابد لي أن أقول لك كيف كان.. استدرت إلى الوراء وجريت بعيدا دون أن أقول له «وداعا» أستمع له وهو يصيح و يحذرني من أنني يجب أن أحتاط من هؤلاء الأطفال غير الموثوق بهم، من شدة السرعة كان الحصى يتطاير من تحت الإطارات، وأنا أسلك الاتجاه الذي جئت منه، بالكاد أستطيع أن ألاحظ أين أسير، فقط انتبهت أن السيارة تنحرف من جانب إلي آخر. غضبان أو مذعورا! من الصعب وصف ما كان عليه. بطني تنقبض و تقاوم شيئا ما يتحرك بداخلي، قلبي سينفجر داخل ضلوعي. «سميلا» الصغيره أنا لا أستطيع المجازفة. هناك شيء واحد علي أن أفعله. أن أعرف إلى أين يجب أن أذهب.



(16)

لفترة طويلة، كنت أعتقد أن والدي في عداد
المفقودين. في المبنى السكني الذي عشنا فيه، كان
مألوفاً أن يترك الآباء أسرهم. كانوا ببساطة يحزمون
أمتعتهم ويخرجون من الباب ولا يعودون أبداً. لكن
ليس هذا ما حدث مع والدي. لكن ما الفرق الذي
أحدثه؟ في كلتا الحالتين كان في عداد المفقودين.
بعد ثانية من ذلك، تذكرت كيف كنا أنا وأمي نحدق
في بعضنا البعض! كيف، لفترة وجيزة على ما يبدو
أبدية، شاركنا اتصالاً صامتاً. كنا نعرف أننا الشخصين
الوحيدين في العالم اللذين يعرفان ما حدث. ولكنها
بعد ذلك أدارت لي ظهرها، فكسرت بذلك اتصال تلاقي
أعيننا، لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك. عدا أننا انتقلنا
إلى مكان آخر. كنت طفلة، لكنني لم أكن غبية، فهمت
أنني كنت ملامة لأن هذا كله كان خطئي، ولكن رفضها
لي مازال يؤلمني. صفارات الإنذار ترن في الشوارع،
والأضواء الزرقاء تضيء واجهات المباني. الباب
الأمامي كان مفتوحاً على السلالم الخارجية. رجال و

نساء يرتدون الزي العسكري الكئيب، وجوههم مشدودة، يخرجون و يدخلون من الشقة. خلال كل هذا بقي باب غرفة نوم بابا وماما مغلقا. كان هناك نحيب يائس وصرخات هستيرية.

جلست على الأرض في غرفتي ممسكة بـ«مولى» بصمت رهيب. لم أكن أعرف ماذا أفعل. كل ما أدركه أنني كنت أود أن أظل هنا حتى تأتي أمي و تأخذني بين ذراعيها، سوف أختفي أنا أيضا. حاول رجلان يرتديان زيًا عسكريا التحدث إليّ. قالوا أنهم من الشرطة، في البداية وقفوا هناك ثم جلسوا إلى أسفل. طرحوا علي بعض الأسئلة، لكنني تظاهرت بعدم سماعها. استمروا في الحديث، مع تكرار الأسئلة، بدأت أتمتم لنفسي، إذا تظاهرت أن كل شيء على مايرام كالمعتاد ربما كل شيء سيعود إلى طبيعته. ربما أتمكن من جعل الأشياء السيئة التي حدثت تختفي. كل ما كان علي فعله هو عدم التفكير في هذا الموضوع وأخيراً، أمسكني الشرطي الأكبر سنا من ذراعي

وتحدث معي بحده. صرخت في وجهه وأخذت
«مولي» بعيدا.

قال أنه كبير على هذا الهراء، بدا رفيقه شاحب اللون و
متهجما، سحب الشرطي الآخر من الغرفة وهمس له
«إنها مجرد طفلة و في حالة صدمة» و بعدها أتى إلى
وجلس بجانبني و تحدث معي بلطف ومودة، موضحا
أن كل شيء على ما يرام، وأن الشرطة أرادت فقط
الأفضل لي، و لهذا السبب هم هنا. أدركت أنه يريدني
أن أثق فيه، وحاولت أن أثق فيه فعلا، ولكن لم يحدث
هذا أي فارق، خاصة بعد أن أخذوا «مولي» مني وأنا
قررت وقتها أنني لن أغفر لهم فعلتهم هذه .

(17)

تقع أقرب مدينة على بُعد خمسة عشر دقيقة بالسيارة من «مارهم»، المدينة ليس بها الكثير، فقط شارع للمشاة، متجر للبقالة، مركز للشرطة، مكتبة، وبعض المحال التجارية. كنت أتوقع أن يكون مركز الشرطة مغلقا، ولكن عندما وضعت يدي على مقبض الباب فتح. بعد ذلك، فكرت أنه كان من الأفضل لو كان الباب مغلقاً. حتى لا أكون مُجبرة على الانتظار. ربما أتمكن من تهدئة نفسي وإعادة النظر مرة أخرى. ربما استطعت أن أطرد الأفكار المشتتة جانبا.

تكلمت مع امرأه كانت على الكاونتر شعرها داكن مسحوب إلى ذيل حصان، أخرجت مفكرة لتملأها. بدون تفكير قلت لها الاسم ورقم الهاتف، حاولت أن أقول لها كل شيء، ولكن كان أسلوبى مليء بالفوضى، أستطيع أن أسمع صوتي المبعثر. وعندما سمعت الشرطية اسم بحيرة «الخبث» أرجحت القلم فوق الورق ثم وضعت القلم «الخبث» لم أسمع عن أي بحيرة تحمل هذا الاسم من قبل.

أجبت «هذا ما يطلقه عليها السكان المحليين» .

«إذن ما هو اسمها الحقيقي؟»

لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال، أرخيت يدي لمدة دقيقة ونظرت بعيدا، ثم نظرت إلى الشرطية وسألتنى عن أسماء الأشخاص الذين «أعتقد أنهم مفقودون». هي تريد معرفة علاقتي بهم. أتفوه بكلمات وأشرح لها وهي طول الوقت تستمع لكلامي. كيف يمكن للحقائق والأكاذيب أن يتشابكوا مع بعضهم البعض.

«ما السبب في رأيك اختفائهم ؟ »

ما هو التفسير الأكثر قبولا في رأيك اختفائهم؟.

ربما الكلمات التي تستخدمها أو حتى الطريقة التي تنظر بها إليّ فجأة تجمد جسدي بأكمله ،ارتفع طعم معدني ثقيل في فمي. كان من الخطأ أن أتي إلى هنا .

تراجعت خطوة إلى الوراء ثم أخرى وأخرى، ضابطة الشرطة تراقبني ولكنها لم تقل أي شيء آخر، حتى

عندما استدرت واندفعت نحو الباب، وعندما خرجت من القسم تركتني أذهب. في طريق عودتي إلى «مارهم» كان لدي شعور قوي بأن شخصا ما سوف يتبعني، كانت هناك سيارة خضراء تقترب مني، وأنا أنظر بعصبية شديدة في مرآة الرؤية الخلفية، في محاولة لمعرفة كيف يبدو السائق ولكن هو أو هي أنزل زجاج السيارة وأصبح الشيء الوحيد المرئي هو شكل مظلم، دوست على الفرامل برفق لارغم السيارة من خلفي أن ترجع إلى الوراء لكن انحرفت السيارة إلى ممر المرور، أدت رأسي، لكن الشمس تلمع على نافذة جانب الراكب في السيارة الأخرى، ولا أستطيع أن أرى من يجلس داخلها، حتى أنني لا أستطيع أن أحدد ما إذا كان رجل أم امرأة. الآن أشعر أن السيارة تهتز تحتي، حتى وإن إطار التوجيه سوف يهرب مني. ما الذي يحدث؟ أنا في كامل ذهولي وحيرتي. أنا على وشك البكاء. ثم أدركت أنها ليست السيارة أو عجلة القيادة التي تتحرك. إنه جسدي الذي يهتز بدون سيطرة أو تحكم. أبطأت، وتراجعت، ثم توقفت. لا يهمني أنه قد يكون غير قانوني أن أركن السيارة هنا،

بينما النبض يسرع في حلقي أحرق في السيارة
الخضراء وهي تختفي حول المنحنى. أسمع رنيناً
صامت يأتي من حقيبتتي. هاتفني!

كان رنين هاتفني المميز، أستطيع أن أشعر به وكأنه
يرن في جسدي، أنها مكالمة مهمة لا يمكن تجاهلها.
ألقيت بنفسي على الحقيبة حيث وضعتها على المقعد
إلى جانبي، كنت أخدش و أفتش كما لو كنت مرأه
ممسوسة، أفرغت جميع المحتويات على مقعد الراكب،
علبة البودرة، أحمر شفاه، وزوج من الأقراط المنقوشة.
ما تزال يدي تهتز ولكنني تمكنت من إيجاد الهاتف
التقطته وبعيون حادة رحت أحرق في الشاشة، إنه
رقم مجهول، بأصابع مرتجفة ضغطت على زر الإجابة
ووضعت الهاتف على أذني. و قلت «نعم» يكاد يكون
صوتي فوق الهمس. عندما بدأ الشخص في الناحية
الأخرى بالحديث، استغرق الأمر لحظة لأعرف من هو.
لأنه ليس «أليكس» ولا «سميلا» و لا حتى أمي إنها
ضابطة الشرطة.



تكلمت بطريقة رسمية «جريتا» أنا ضابطة الشرطة التي تكلمت معها في القسم، لقد بحثت في هذه المسألة ووجدت شيئاً غريباً، هل تعرفين عمّ أتحدث ؟ وسكت كلانا. مددت يدي اليمنى وبحثت على مقعد الراكب عن شيء أمسكه، لأحكم قبضتي عليه، لأجعل نفسي أكثر صلابة .

كان على التحقق من المعلومات التي أدليت بها أثناء وجودك هنا، و لكنك غادرتي بسرعة، لقد أجريت بحثاً في السجلات وما وجدته- أو بالأحرى، ما لم أجده أدهشني، دعينا نقول ذلك وأنا في حاجة لمساعدتك في حل هذا الأمر.

أسمعها مرة ثانية تسألني عن «أليكس وسميلا» أكانت تلك أسمائهم؟ الناس المفقودين؟ هل لديك نفس الاسم الأخير، أو.....؟ .

ضابطة الشرطة لم تكن حادة معي ولكنني أحسست من صوتها إنني لست بحاجة للرد عليها إنها تعرف ذلك.

«هل هذه المعلومات صحيحة»؟.

الآن هي تقرأ في أذني اسمي بالكامل، ورقم الضمان الاجتماعي السري، كل المعلومات التي قدمتها لها في قسم الشرطة جنباً إلى جنب مع رقم الهاتف، بالرغم أنني أبتلع بصعوبة، كما لو أن هناك شيئاً في أعماق قلبي أريد اكتشافه من مكان بعيد، أنا على وعي تام بالوخز والشعور بالحرقة، إنه جزء مني، ورغم ذلك خارج النافذة سيارة تندفع من ورائي، و بوقها يدوي بإزعاج شديد، ولكني بصعوبة أكاد أدرك هذا.

«جريتاً» هل ما زلت معي؟ هل كل هذه المعلومات صحيحة؟

الألم يزداد و يصبح أكثر حدة، شيء ما يطعن في جسدي، «نعم» أنا ما زلت معك . وكل المعلومات صحيحة.

الألم يرسل رجفة خفيفة إلي جسدي بالكامل، وأشعر أن كل شيء يعوم أمام عيني، أجبرت نفسي أن أنظر

إلى قبضة يدي المشدودة والمتصلبة، الدم يتسرب
 خلال أصابعي و مفاصلي، أفتح قبضة يدي وأنظر إلي
 الحلق الموجود في كفي. في الطرف الحاد من
 الخطاف الذي هو مترسخ في أعماق يدي. من بعيد
 سمعت الشرطية تقول اسمي مرة أخرى.

هممت بشيء غير واضح أخذت نفسا عميقا. كل منا
 يحضر لما سيحدث، للكلمات التي يجب أن تقال .

وفقا للسجلات «جريت» أنت لست متزوجة، وليس
 لديك أطفال. لا يوجد زوج أو ابنه في حياتك، وأبدا لم
 يكونوا موجودين.

(18)

بالإضافة إلى أنني ربما أقول ذلك كما هو، أنا لست مثل الآخرين، ليس طبيعياً أو موثقاً في الطريقة التي يكون بها معظم الناس، ولكن على الأقل لدي ما يكفي من الوعي لأحقق ذلك. من حين لآخر في فترات متلاحقة من حياتي، احتجت إلى المساعدة النفسية. الأسلوب دائما كان نفسه لا يتغير. أنتظر حتى اللحظة الأخيرة، أكون على وشك الانهيار وحياتي كلها على وشك التمزق التصدع، كل مرة على يد طبيب نفسي مختلف. أنا لن أعود إلى نفس الشخص مرة أخرى .

مرة واحدة في الأسبوع، وأحيانا أكثر، أجلس على كرسي مهترىء، حيث كثير من الأشخاص المجهولين الهوية أمامي، وآخرون يجلسون عندما أترك مكاني وأذهب، الحجرات ليست هي نفسها و لكنها تبدو متشابهة. وجه بشوش إلى حد ما يجلس على الكرسي في الجانب الآخر، علبة من المناديل الورقية موضوعة على الطاولة بيننا، ثم نتحدث.



حسناً، ربما ليست في الحقيقة هذه الكلمة المناسبة لذلك. أنا الشخص الذي يتوقع أن يقول أشياء، بالطبع، للشرح والتوضيح.

مع كل طبيب نفسي، آمل أن تكون الأمور هذه المرة مختلفة. آمل أن يكون الطبيب النفسي الجالس بجانبني أكثر جرأة من السابق. لا يستقر فقط على طرح أسئلة عما حدث لأبي وينتظر مني الإجابة.

بدلاً من ذلك كان شجاعاً بما يكفي لينظر في عيني، ويقولها بأعلى صوته. يقول أنهم يفهمون ويقولون الحقيقة. لذلك ليس علي أن أفعل ذلك بنفسني. يجب على شخص آخر أن يحررني. لكن هذا لا يحدث أبداً. عادة ما يستمر هذا لبضعة أسابيع أو حتى بضعة شهور، بحلول الوقت سنصل إلى الجانب المؤلم، أو على أكثر تقدير سوف ندور في دوائر مفرغة دون أن نحرز أي تقدم .

وبصبر يسألني: إذن، و بعد ذلك ماذا حدث؟ فأهرب، «أنا أصر»، يتحول الوجه الذي كان متعاطفاً معي إلى

وجه أكثر توترا، يتراجع الطبيب النفسي ويحاول معي من زاوية أخرى: ما رأيك في؟ ما الذي يجعلك....؟

لا شيء سوى الأسئلة، لا توجد أي استنتاجات. أقول إنني أشعر بتحسن الآن و أذهب من مكاتبهم، ولا أعود مرة ثانية. لا يقدمون أي اعتراضات و يسمحون لي بالانصراف، واحد منهم فقط حاول أن يبقيني هناك تحديدا، كان ذلك منذ سنوات، قبل أن ألتقي ب « أليكس» هذه المرة كان الطبيب النفسي امرأة شقراء، ليست أكبر منه بكثير، كثيرا ما اعتقدت أن هناك شيء هش فيها، ولكن بعد أن وقفت وأعلنت أنه بعد الجلسة التي أخذتها أنني لا أخطط لرؤيتها مرة أخرى، أمسكت بمعصمي بلطف ولكن بحزم. «إذا ما غادرتي الآن»، فهذا يعني أنك لم تتعلمي شيئا عن نفسك، ولن تكوني مستعدة لأي تحسن ولا أن تواجهي الماضي أو المستقبل. المرة القادمة عندما تواجهين موقف عاطفي مفاجيء، فالأسلوب سوف يكرر نفسه، مازالت جالسة على كرسيها وعندما نظرت إلى الأسفل لاحظت

أنها كانت ترتدي فستانا بأكمام قصيرة. نحن في منتصف الصيف، وكانت الغرفة ساخنة. بالإضافة إلى ذلك هناك شيء آخر لفت انتباهي في هذا الفستان، السترة والجاكيت «لم أركُ ترتدين أي شيء بأكمام قصيرة من قبل»

هزت رأسها لتظهر أنه لا يمكن أن تشتت تركيزها.

أضافت « سوف تزداد الأمور سوءًا بالنسبة لكِ»، أنت تخاطرين كونك فاقدة للتوازن، أسوأ السيناريوهات المحتملة في تلك الحالة الذهنية، من الممكن أن يكون له عواقب مؤسفة جدا لكِ، وللمقربين منك أيضا. كان يمكن أن أنزع يدي من قبضتها و أخرج بسرعة الريح من الغرفة و لكنني لم أفعل.

- ماذا تقصدين بذلك؟

في أوقات مبكرة من طفولتك، تعلمت الاعتماد على استراتيجيات معينة وقت الأزمات. أنتِ تكررين نفس

تلك الاستراتيجيات حتى وأنت كبيرة، بالرغم من أنها غير نافعة وغير مؤثرة.

ماذا بكم يا علماء النفس؟ لماذا لا تقولون أشياء يفهمها الناس؟ نظرت إلى بلا مبالة وتبلد لا شعوري.

- حسنا، سأقول هذا بوضوح قدر استطاعتي، «جريت» ما يقلقني هو أنك تفعلين نفس الأشياء التي كنت تفعلينها وأنت صغيرة، عندما تكونين مصدومة أو تواجهين بعض الشدائد.

الحرارة تتدفق في وجنتي وتصعد إلى عيني.

- «أقول الأكاذيب»؟

- «نعم، وما هو أسوأ».

(19)

أحرق في وريد يدي الأخضر، يدي بأكملها تنبض بالألم من الجرح في كف يدي، الدم يسري من كفي إلى عجلة القيادة فتصبح مسكتي لها بها بعض اللزوجة، لم أعد أستطيع فهم دوافعي الخاصة، أنا لا أستطيع تذكر حجتي و براهيني حين دخلت قسم الشرطة، ولا أستطيع تكوين فكرة واحدة معقولة حتى الآن. هل أنا على وشك فقدان السيطرة؟ ربما أنها الثواني الأخيرة قبل انهيارى الكبير، الطبية النفسية الشقراء التي تمكنت أخيراً من مغادرة مكتبها- ماذا كانت تقول إذا كانت تستطيع رؤيتي الآن؟ ألم أحذر؟

الطريق إلى «مارهم» والعودة إلى الكابينة. لا أعرف كيف أقوم بهذا، و لكن بطريقة ما قمت بالقيادة طول الطريق دون السقوط في الخندق أو الاصطدام بسيارة قادمة. أضغط على دواسة الوقود والفرامل..

توقفت في نفس المكان كما كنت أفعل من قبل، على الطريق المغطى بالحصى خارج الكابينة، هناك دم في

كل مكان، الدم على قميصي، وبقعة زاهية على بدلي،
الآن توقف نزيف الجرح نسبيا.

لا يوجد زوج ولا ابنة في حياتك. ولم يكونوا
موجودين أبدا. هزئت رأسي كان يجب علي أن أعرف،
أفضل من أن أذهب إلى قسم الشرطة، كان من الممكن
أن أدرك أنه علي التعامل مع هذا الأمر بمفردي، أوقفت
المحرك و استدرت نحو المقود بجانبي، نظرت إلى
الطريق. الليلة الماضية كانت هناك سيارة أخرى هنا.

كانت تحديدا بجانبي. لم تكن متوقفة بشكل صحيح
وكان محركها يعمل طوال الوقت. كانت هذه
«الخشخشة» أو الصرير المكتوم والذي يشبه نغمة
«باس»، كان هناك صوت هائج سمعته من خلال
النافذة المفتوحة جزئيا. صوت ثائر أو بالأدق
هستيري. نحيب، صرخة غضب، أو ألم قشعريرة
جليدية تسرح بحرية في كامل أنحاء جسمي، ينبغي
على أن أقلق؟ أيا كان من صرخ لا بد أنه لاحظ لوحه
سيارتي المعدنية بالرغم من حالتها، ربما يكون قد



حفظ مجموعة معينة من الأرقام والحروف التي يمكن أن يتعرف بها عليّ.

أمسكت حقيبتني من المقعد المجاور لي، وجمعت كل شيء وقع منها ووضعت به مرة ثانية، جرح كف يدي يشد عليّ و يؤلمني، أكثر وأنا التقط الأقرط بعناية. الشخص الذي بقي والآخر الذي رحل. بعد ذلك، لم أسال «أليكس» عن زيارة وقت الليل. ظننت أنني أستطيع أن أضع اثنين إلى جانب اثنين معاً، وأنني فهمت بما فيه الكفاية، الآن أشعر بشيء مزعج في ذهني. ما الذي أعتقد أنني فهمته؟ في هذه اللحظة، يبدو أنني غير قادرة على متابعة حتي أبسط الأفكار.

وقفت مرة أخرى في المدخل على سجادة القاعة ذات اللون الأخضر، كل ذلك دون أن أخلع حذائي، فقط أستمع. في البداية لم يكن هناك إلا السكون، ثم صوت متردد قادم من غرفة المعيشة، خطواتي ثقيلة، أستمع وأنتظر.



أنا أعرف من يقترب. عندما ظهر «تيريث» شيء ما ارتاح بداخلي وخفف عني، قعدت على ركبتني، ومددت يدي نحوه بحنان، شعرت بنعومة فروة تحت أصابعي، وأدركت كم كنت في احتياج لهذا - للمس، للاتصال - طوال تلك الأربع والعشرون ساعة الأخيرة.

ملست على ظهر «تيريث» وفركت له تحت أذنيه بينما هو يصدر صوتا واطيا ومتصلا ليعبر عن سعادته. يلعب أصابعي وينفخ في جرح يدي، كان يبدو أنه مهتم بشكل عجيب. ومرة أخرى، ضغط بأنفه برفق على دمي المتجلط. ويبدو أنه اتخذ قرارا بتنظيف الجرح بعناية، مسح بلسانه الجاف على ثقب الجرح، في البداية تركته معتقدة الآن أننا مرتبطان، هذا ألقط و أنا، الماضي وراءنا، ولا نعرف شيئا عن المستقبل ولكن في هذه اللحظة نحن متصلون مع بعضنا البعض، لعبه ودمي، بعدها أدار عينيه الصفراوتين الضيقتين نحوي، سحبت يدي بعيداً باندفاع، وببطء وقفت على قدمي، «تيريث» اسم غريب وشاذ بالنسبة لحيوان أليف، «أليكس» هو الذي فكر في الاسم، أتذكر عندما

أوضح أن «ميناس تيريث» تعني برج الحرس، ظلت عيني ثابتة على القط بلونيه الأبيض والأسود، بينما أتلمس مقبض الباب من خلفي، نحن نحدق في بعضنا البعض «تيريث» وأنا، واحد منا يتسم بالفضولية، والآخر متوتر، إنه الوقت المخصص لك للخروج لفترة.

- اذهب الآن!

نظر القط بعيدا وتوقف عن المداعبة بشكل مفاجيء ومشى، أغلقت الباب خلفه، وعندما استدرت، لاحظت أحد الخطافات المعلقة على مستوى منخفض من الحائط، الخوف من أن يطعنني في صدري قوي جدا لدرجة أنني أحسست أن أنفاسي اضطربت.

سترة ماركة جان مُعلقة على الخطاف تخص فتاه ذات أربع سنوات، انهرت على الأرض فاقدة للوعي، أفكار لا يمكن تصورها، لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً، فركت عيني حين رأيت البقع السوداء للمسكرة الرطبة على بشرتي، أدركت أنني أبكي، «سميلا» أنا آسفة، شعرت بأنني منافقة وغشاشة، ما الجيد في البحث عنها؟ لا

يزال الخطأ واقعا عليّ - يضغط على صدري بشدة
تزامنا مع فكرة «كان يمكنني القيام بكل شيء بشكل
مختلف، ماذا كان يجب عليّ أن أفعله؟ وماذا كان
يجب عليّ ألا أفعله؟ ربما لاتزال هنا.

أخيراً، عليّ أن أضغط بشدة على خدي وذراعي لوقف
كل هذا، لماذا تستمر أفكاري في السير على هذا النهج؟
كما لو كان كل شيء قد انتهى، كما لو أن «سميلاً» قد
..... فجأة، الخوف والشعور بالذنب هربوا بعيدا، ثم
غمرتني موجة كبيرة من الغضب، وضعت حقيبتني في
الدولاب، وقلت وأنا أبكي «أيها الوغد! ماذا فعلت
بها؟»، لكن كنت الوحيدة التي تستمع إلى كلماتي، و
ليس هناك أحد يتم توجيه الكلمات إليه. أو على الأقل
ليس هناك شيء أعدته لأقوله بصوت عال. لِمَ أخاطر
حتى الآن في هذا الظرف.

لقد ذهبت، جلست هناك وأمسكتها كما لو أن الحياة
فارقتها، وبعد ذلك... بعد ذلك كنت مازلت أجلس
هناك. لم أكن أريد أن أتحرك من جانبها، لم أكن أريد أن
أتركها هناك، ولكن في النهاية لم يكن لدى أي خيار.

كانت ملاذي و لكن عندما انقطع حبل التواصل بيننا،
كل شيء انهار بشدة، الآن أنا أنجرف بلا هدف،
الأرضية الصلبة التي استقرت عليها حياتي تلاشت من
الوجود، ووجدت نفسي أهوى، الكلمات يدوي صداها
في رأسي، أكثر حقيقة من أي شيء آخر. بدوني، أنت
لا شيء.

بينما أنا أنجرف، صعودا وهبوطا على سلالم اليأس،
كنت أستلهم صورا لك. أحيانا تقترين مني لدرجة
أنني أعتقد أنني أستطيع أن أمد يداً مبللة بالماء
لتلمسك، أستطيع أن أشعر أنك ترتجفين. خطوات
سريعة وأصوات منخفضة في مكان قريب، ولكنني
على دراية بها، شيء آخر يشعرنى بأنه أكثر أهمية مثل
تلك الجدران المحيطة بنا والتي على وشك أن تنهار،
أستطيع أن أرى ذلك بالرغم من أي شخص آخر يبدو
وكأنه نسي أو لا يلاحظ أو يفهم؟

كل شيء على وشك التصدع والتلاشي، أولاً حياتها ثم
حياتي أنا الآن.



صرخت ولكنّ صرختي رفضت أن تتخذ لها شكلا قويا.
و لكني أعرف أنها في مكان ما وأنها تقترب.

شيء جديد سيؤخذ في الاعتبار، صوت جديد، كيان
مختلف، قبضة مضمومة، عويل الغضب لن يُسمح
لحياتك أن تكون كما هي، أنت أيضا سوف تهتز كل
قواعدك، أنت أيضا سوف يتم طمسك ومحوك.

(20)

جسدي يسير نحو مكان ما وأنا أتبعه، أسير في الطريق الضيق إلى الرصيف بحرص شديد كما لو أن قدمي لديها الشعور أنني لدي مشكلة في الحفاظ على الأشياء معا، كما أنهم سيطروا على الأمر وساقوني أمامهم، سواء أحببت ذلك أم لا. الصخور وجذوع الأشجار، وأوراق التوت ونبات «السرخس» يبدو أن كل شيء مألوف.

كم مرة استخدمت هذا الطريق؟ متى كانت آخر مرة كنت هنا؟ أكان هذا مؤخرا؟ بينما أنا أقترّب من البحيرة يزداد وجود المستنقعات وتنتشر الطحالب في كل مكان، أليس من غير الطبيعي وجود هذه الكمية غير المعتادة من الطحالب؟ إنها تغطي الصخور. تزحف على الجذور وتغطي جذوع الأشجار المتساقطة بطبقة رقيقة منها، يبدو أنها تكون ببطء ولكن بثبات، أثناء عملية ابتلاع كل شيء في الأفق. وهناك شيء ما حول اللون، لون الطحلب يأخذ مساحة من الأخضر الكبير، والمخيف. تقريبا لامع، لا يبدو



طبيعيا، كما لو أنه تم معالجته ببراعة برامج الكمبيوتر. ماذا كان أليكس يهمس به في حلمي؟ من المؤكد أنك لا تعتقدين أن هذا حقيقي؟ كل هذا في راسك.

الغثيان يزحف مرة أخرى. «أليكس» الذي مازال يتردد صدى صوته داخل رأسي. يده، التي ما يزال دفئها على بشرتي، والذكريات، كل تلك الذكريات تتراكم في زاوية مظلمة من وعيي.

عندما دخل «أليكس» حياتي كل شيء حدث بسرعة فائقة، العواطف التي اشتعلت أصبحت أكثر سخونة. اقتربنا من بعضنا ولكنه نوعا مختلفا من القرب الذي كنت أتخيله.

كان يراني في تلك الليالي التي كنت أجلس فيها وحيدة على طاولة المطبخ أو أمام التلفزيون، يراني ولكن بعين مختلفة عن المرة التي أوصلني فيها إلي البيت، تحدثنا قليلا، العلاقة الحميمة التي تشاركناها كانت أغلبها جسدية، لم يكن لدي ما أقارنه به، لذلك قررت أن الجأ إلى ما رأيته وسمعته، افترضت أن هذا

هو الحال بالنسبة لمعظم الناس في البداية. افترضت أن هذا ما تشعر به عندما تكون في حالة حب. و مع ذلك، كان لدي شعور بأنني أردت شيئاً أكثر من ذلك، رغم أنني لم أكن أعلم ما هو. ليس لدي القدرة أن أضعه في كلمات و «أليكس» لم يطلب أبداً، كان أكثر اهتماماً في إظهار ما كان يتوقعه. كان يروق لي عندما أستيقظ من النوم فأجده يحاول التسلل إلى داخلي، أصرخ مع صوت المنبه، لكنه ببساطة يضع يده على فمي، وينظر إلى عيني بعمق، يضمني قريباً منه، و يحرك جسده نحوي، و يقول لي «أنا أراكي» «لا تخافي» أنا هنا، و أنا أعرف أن هذا حقيقة. لم أعد وحدي. ليس في وجود «أليكس»، كان ينظر إلي، أنا التي عُدت إلى الحياة تحت نظراته. جعلني أشعر بوجودي، لذلك استسلمت وتركت له زمام كل شيء، وامتثلت له.

نزلت إلى القارب، شعرت به، مثل تحت وزني. تمكنت من الحفاظ على توازني، لتعويض الحركة المتمايلة. أغمض عيني وأنا أحاول إخماد الغثيان. كان الحادث



الذي وقع عند النافذة هو الذي وضع علاماته بطريقة مؤلمة، التحول من العاطفة العمياء إلى شيء آخر. كنت في غرفة المعيشة في شقتي، وكنت عارية، كان «أليكس» قد جردني من ملابسي، بينما كان هو يرتدي ملابسه، أمسك بذراعي، وسحبني إلى الغرفة. في البداية كنت أعتقد أننا نتجه إلى الأريكة، ولكنني أدركت أننا نتجه نحو النافذة. النافذة الطويلة الضيقة التي ليس بها ستائر أو حافة. كان الظلام من الداخل والخارج، ولكن «أليكس» شغل ضوء السقف.

تجمدت، وصدرت مني ضحكة خجولة مرتبكة، وهمست أنه ربما شخص ما قد يرانا، ولكنه لم يرد، وعندما نظرت إليه وشاهدت التعبيرات على وجهه، توقفت الضحكة في حنجرتي، حاولت أن أقاوم، ولكن بعد فوات الأوان. كان أقوى مني بكثير مني. وسرعان ما كان يضغط على جسدي العاري أمام زجاج النوافذ البارد المكشوف بشدة للجيران عبر الشارع والمارة. «أليكس» أمسك رقبتني من الخلف بيد وباليد الأخرى أمسك بمعصمي وأتذكر أن نهدي كانا مرفوعين، وأنفي

ملتوية بألم إلى الجانب، محاولة أن أفهم لماذا يحدث كل هذا؟ لماذا يفعل هذا؟ ما هو الهدف؟ إذا كان هذا مجرد لعبة وجدها مسلية، فلماذا يضغط بأصابعه على رقبتى بكل هذا العنف؟ أتذكر أنه لم يكن قراراً واعياً من جانبي بالتخلي عن وقف محاربته، أتذكر فقط أن جسدي أصبح هزيلاً، وتوقفت عن كل محاولات الابتعاد، عندما لاحظ «أليكس» هذا سحبني إلى الوراء، دفعني إلى الأسفل نحو الأريكة، وخلع سرواله، لم ينظر في عيني. ربما هذا هو السبب في أنه لم يلاحظ أنني كنت أبكي حتى انتهى. أتذكر أنه بدا عليه أنه متفاجئاً من دموعي، لم أفهم لماذا كان مستاءاً جداً.

وقال: أن هذا قد يثير أي شخص ما قد يراني. «إن أي شخص يمتلك هذا الجمال لا ينبغي أن يخجل».

لم يقل شيئاً لك يهينني أو يؤذيني ولكنه ربما لاحظ شيئاً ما في عيني، أثر من القهر والشك. في اليوم التالي أتى عامل توصيل المتجر وكان حاملاً معه باقة كبيرة من الورد الأحمر، أكبر باقة رأيتها في حياتي .

وكانت البطاقة المرفقة معه تقول: «من شخص عشق الغموض. نعم، لا تتركيني أبداً. حبيبتي أنتِ» .

المياه هادئة، السطح أملس. يبدو أنه من الخطأ تحطيم هذا السكون بصوت محرك القارب لذا قررت أن أجدف. حققت تقدماً بطيئاً. يبدو أن الماء يقاومني، كما لو أنه على مضد يُغلف المجاديف.

الموجات المظلمة ترتطم بجانب القارب، تهمس وتهمس، أميل إلى الأمام، أقوم بجهد صعب و العرق يتصبب مني. القطع الذي في يدي يلسعني، ولكنني أتجاهله. هذا شيء أنا جيدة فيه بعد عشرتي مع «أليكس»، وأخيراً أنا بالقرب من الجزيرة، أخطط لربط القارب في نفس المكان كالمعتاد، النقطة التي رسي فيها «أليكس» بالقارب قبل أن يذهب هو و«سميلا» إلى مغامرتهم، أفكارى تدور وتدور. كل شيء يتشابك الآن، يبدو أنه مر وقت كبير على وجودي هنا، ومع ذلك يبدو أنها آخر مرة، أول الأشياء التي أراها هي

القوارب، اثنان من قوارب التجديف يتمايلان في المياه بالقرب من الجزيرة، ولكن على الجانب الآخر حيث كنت أخطط للذهاب إلى الشاطئ، في اللحظة الأخيرة لاحظت المجموعة التي كانوا متجمعة، أجسادهم متلاصقة مثل الظلال الداكنة من العشب الطويل بين الأشجار، في الحال عرفت من هم، انزلق القارب للأمام في حركة بطيئة وأخيرة، ثم توقف في الماء المسحور. أكاد ألاحظ أصواتهم الجلية أثناء حديثهم، تتخللها ضحكات أو سعال. ثم فجأة صراخ مدو. قلبي يتأرجح، لا بد أن أدير القارب وأعود للبيت، لا بد أن أذهب من هنا قبل أن يروني ثانية، ولكنني لم أفعل، يبدو أن ذراعي و يدي كانت تتحركان رغما عني.

بحذر بدأت بالتجديف مرة أخرى ناحية الجزيرة، مددت يدي إلى الأمام وأحنيت ظهري ممسكة بالمجداف، نبضي يتزايد مع كل تجديفة، الكلمات التي قالها هذا الرجل في البيت البني الكبير، مازال صداها في ذهني. في بعض الليالي يقومون بصخب كبير

أسفل الماء، وأحيانا أسفل الجزيرة، أحاول أن أجعل مسافة بيني وبينهم قدر المستطاع، وهج كبير يخبرني أن الأطفال صنعوا شعلة نار. فكرت في مواقد النار البدائية التي اكتشفتها عندما كنت أبحث في الجزيرة، القناعات، والفرش الملون. علب البيرة الفارغة، وأعقاب السجائر، والواقى الذكري. والسنباب منزوع الأحشاء. أنا قريبة الآن، إذا ألقى أي من هؤلاء الأطفال نظرة، فسيرانني. سمعت صرخة أخرى ولكن هذه المرة كان الصوت أعلى و أكثر حدة، إنها صرخة ألم و ذعر، إنها تجرحني أنا أيضا، تذكرني بفيضان من الصور، فيضان عنيف وصارخ.

إنهم يتدفقون، يختلطون مع بعضهم البعض، ولا أستطيع فعل شيء لإيقافهم، صوري أنا «سميلا» وتلك الفتاه ذات الشعر الطويل، صور لأيدي تتباين بين الحنان والقسوة وصور لأشياء حادة بلا رحمة وناعمة بشكل غادر، الأيدي والأشياء التي تسبب الإخضاع و الألم.



صرخت! توقفوا أرجوكم ! توقفوا، أقف على قدمي داخل القارب دون أن أعلم كيف حدث هذا. أحدهم صاح، أطفال كثيرون انبثقوا من بين العشب وآخرون ظهرُوا من وراء الشجيرات. الآن أعرف كم عددهم، في الوسط يلوح شخصاً، يداها على وركيه، أنه لا يتحرك، يخفي وجهه في الظل، ولكنني أعرف أنه يحدق في، أخذت كل اهتمامه، قلت أين هي؟

صوتي كان أجش لدرجة أنه لا ينطق الكلام بشكل صحيح. إنه الشاب ذو اللحية والشعر المصفور لا يرد، ربما لم يسمع سؤالي، أو ربما سمع ولم يهتم. فجأة وبشكل غير متوقع وجدت نفسي على وشك البكاء، صرخت مرة أخرى « أرجوك » كنت أقاتل لمنع صوتي من الانهيار، « لا تصيبيها بسوء»، استدار الصبي لأحد الأطفال الذي يقف بجانبه، سمعته يتحدث معه بصوت منخفض، ولكنني لم أتيقن من الكلام، أي كان ما قاله فبالتأكيد كان عبارة عن كلام سخيّف وضحك سريع أجش، ذراع يتموج في الهواء في اللحظة التالية شيء

ما يتأرجح أمامي، و يهبط في الماء بوميض بجانب القارب. صخرة. ثم واحدة أخرى.

هذه المرة أصاب مقدمة القارب، عيني تتنقل من طفل لآخر تبحث عن وجه لفتاة. أعرف أنها هنا في مكان ما، على أن أنقذها! فجاءة انهمرت الصخور على من كل جانب، و كان على أن أحمي نفسي، رأيت هيئتين مظلمتين تتجهان إلى قاربي، وأدركت أنني لم يعد لدي أي خيار، يدي تتحرك بسرعة، ومحرك الموتور يصنع هديرًا، تحركت بعيدًا عن الجزيرة، في اتجاه الرجوع.

«ابتعدي بعيدًا عن هنا. وإلا سوف يحدث لكِ كما حدث لـ....». الذي حدث لـ.....

لم أستمع لباقي التهديد الذي كان يلهث ورائي، في تلك اللحظة شيء قوي وحاد ارتطم بكتفي، كان الألم حارقًا ويجعل الألم في جسدي مضاعفًا، زدت من السرعة، ونبضات قلبي تدق في طبلة أذني كالمطرقة. ولكن أخيرًا وصلت إلى الرصيف، ربطت القارب ووقفت على ساقين متذبذبتين بالكاد تقدران على

حملي، إلا أنها غاصت مرة ثانية، **حدقت** في الصخرة الموجودة في قاع القارب حافتيها حادين وكبيرين، لو أنها ارتطمت برأسي... إذا كانت هذه هي نيتهم....
العرشة تتمدد عبر رأسي، ما يجب عليّ فعله هو العودة إلى المقصورة، وأغلق الباب، وأختبيء، لا يبدو أن هناك أحدا يلاحقني، ولكن إذا جاء هؤلاء الأطفال ووجدوني هنا، أنا أرفض أن يملكني الخوف، إذن، هل انتهى الأمر؟ هذا ما يدور في ذهني الآن. هل فعلا هذه هي النهاية؟ في اللحظة التالية كانت هناك فكرة أخرى تقحم نفسها، لمست معدتي بطريقة لا إرادية، ربما لحماية الحياة التي تنمو بداخلي. منذ حوالي إسبوعين تركت عيادة الطبيب وكلمات الطبيب ما تزال ترن في أذني. أتذكر فكرتي بالضبط: لم يكن الحال هكذا حين كنت حُبلى في «سميلا»، إنه شيء مختلف، شيء جديد تماما، العواطف تزداد بداخلي. الغبطة. الشعور بالذنب. والرغبة.

لم أخبر «أليكس». ولا حتى عندما وصلنا إلى بحيرة الخُبث. كنا نتناول العشاء، و قلت له لا للنبيذ، ثم

نظرت له نظرة ذات مغزى، ظل يحدق في وجهي لفترة طويلة، كان وجهه غير عاطفي، «أنا أفهم» قالها أخيرا ومسك يدي.

كان تعبيره شديد النعومة في تلك اللحظة، لذا فكرت ربما، فقط ربما تنجح، ربما لو لم أفعل .

هل قمت بتحديد موعد؟ كانت نبرة صوته تجعلني أدرك ما كان يقصده في الحال. إنه لم يكن يتكلم عن ميعاد الولادة و لكن الإجهاض.

أليكس يريدني أن أتخلص من طفلنا، أحنيت رأسي وبلعت الطعام بدون مضغ، قلت له :« ليس بعد، ولكني سأفعل، بمجرد أن نعود. ابتسم «أليكس» وقبلني ثم غير الموضوع، وأحضر لنفسه المزيد من الطعام. بعد العشاء، تكلم معي فيما يريد، وأخذني إلى غرفة النوم، قفلنا الباب وراءنا. في وقت متأخر من هذه الليلة، استيقظت، وكان جسدي يؤلمني لدرجة إنني لم أستطع النوم، كل أعصابي وعضلاتي تؤلمني.

رأيت «أليكس» يحمل «سميلا» و يضعها في الغرفة المجاورة لنا، وعلى الرغم من أنني كنت مستيقظة و مدركة، إلا أنني لم أنهض وأذهب إليهم، وعندما تسلل عائدا إلى السرير تظاهرت أنني نائمة، ولكن في ذلك الوقت كنت قد اتخذت قراري بالفعل.

لمست بشرتي بحذر، ثم دفنت وجهي بين يدي وانحنيت إلى الأمام، بعد فترة تركت يدي تقع حيثما شئت، ونظرت على الحافة العليا من جانب المركب وأمعنت النظر إلى ماء البحيرة الملتف حول جانب القارب، في ظلام البحيرة الذي لا يمكن اختراقه، حتى هنا بالقرب من الشاطئ لا يمكن أن أرى القاع .

إن التحديق في بحيرة الخبث يشبه الانجرار إلى ثقب أسود، دوامة كبيرة، تحركت عبر النفق إلى أن وجدت ضوءًا دائريًا عند الطرف الآخر، وهناك في وسط الضوء، تظهر ملامح وجه رجل، خرج من بين شففتي اسم «أليكس».



أميل إلى الأمام، أقرب إلي الماء، أقرب إلى الصورة، إلى أن أدركت أنه ليس نفقا، و لكنه بئر ومن أعماقه أحدق في «أليكس» الذي ينظر إلى إلحافه وراءه، ألمح ظلا لشخص ما يتسلل وراءه، الشخص الذي سوف يختفي قريبا، يدان ترتفعان، وراحتي اليد تندفع في الهواء وتضرب «أليكس» بنصل في الكتف.

بدلا من أن يستدير ويرى من يهاجمه، انغمس في الحافة وهبط عموديا نحو قاع البئر ونحوي أنا؟.

أنا لم أعد هناك، أنا الآن بالأعلى، أقف في نفس المكان الذي كان يقف عليه «أليكس» أميل إلى الأمام، أملت رأسي في اتجاه واحد، أغمضت عيني نصف إغماضة، كما لو كنت أبحث عن شخص قد اختفى، بعدها تأملت يداي، أزيح خيط من سترة «أليكس» تعلق على وجهي، وشعرت بألم طفيف في راحة يدي في نفس المكان، شعرت أن جسدي ثقيل و متذبذب، وأنا أهرب من القارب. إنها تهتز بشكل تحت قدمي بشكل مرعب، ولكنني أقف مرة أخرى على الرصيف. بينما أذهب إلى الشاطئ، أبقيت عيني ثابتة للأمام، لا تتزعزع، لم

أسمح لنظري أن ينتقل حتى ولو لثانية واحدة نحو
تموجات الماء، أخشى أن أفقد نفسي مرة أخرى في
عمق ظلام بحيرة الخبث، لا أستطيع التعامل مع أي
رؤيا مشوهة. بينما أتعثر على الطريق المؤدي إلى
الكابينة، كنت ممتلئة بنظرة تشائمية.

ما هي تلك الصور التي استحضرتها دماغي؟ يدي تدفع
«أليكس»، تدفعه إلى البئر بقوة.

إنها مجرد تخيلات بالطبع، وسواس قهري، ومع ذلك
يبدو كل شيء وكأنه حقيقي، مثل ذكريات مكبوتة.
رجعت إلى الورااء عندما كنت أنظر إلى «أليكس و
سميلا» كانا يلعبان على الجزيرة، هل فقدت الإحساس
بالوقت، كم دقيقة مرت إلى أن استعدت حواسي؟ هل
كانت دقائق أم أكثر بكثير؟ وما الذي حدث أثناء هذا
الوقت؟ لم تكن تلك التفاصيل محددة من قبل، و لكن
الآن أشعر بالبرد، شاهدت الكابينة وبدأت أركض
نحوها، جسدي يشتهي من التعب والضعف و الإرهاق،
ولكنني أتجاهل كل ذلك و استمر في الركض، أجري
لأتجنب التفكير في الواقع الذي أنا فيه الآن.

أنا أعرف أن «أليكس وسميلا» قد ذهبا، بدون حتى أن
أضطر إلى البحث عنهم، عندما وصلت إلى الباب
أحسست بطعم الدم في فمي، أنا بالفعل أعرف.
ولكن..كيف حدث هذا؟.

(21)

فتحت عيني، لازال ذلك الحلم يراودني، حلمت بشجيرة وتبرز من تحتها ساق باردة وشاحبة، كانت لفتاة في الرابعة من عمرها، لكنها كانت ساقا جافة ويابسة ولا تنبض بحياة، ساق لن تجري وتلعب كما كانت بعد الآن، أتلمس شيئا على الطاولة، وجدت فنجان قهوة فارغا، ألقيت فيه ما بداخلي، أنا لست محتاجة إلى حاوية كبيرة والفنجان قام بواجبه، وجهي كان مبلا عندما تدحرجت على الفراش، هذه المرة لن أنزعج أن أمدد يدي لأتني أعرف تماما، أنه لا يوجد أحد بجاني.

الأرقام على المنبه توهج على نحو ضعيف، إنه منتصف الليل، الغرفة مظلمة من جميع الجوانب، ظلام يواجهني في كل شيء، أمسح خدي بجزء من اللحاف، وأدير لساني على أسناني الأمامية، ألاحظ طعم الحموضة في فمي، استلقيت لفترة من الوقت، أهدق في السقف، بعض الأفكار التافهة تتدفق في عقلي، الواحدة تلو الأخرى، واحدة منها ظلت لمدة أطول من



الآخرين، أنا وحيدة، أنا وحيدة بشكل رهيب وقاسي.
خلعت قميص نومي ووضعتة جانباً، لأضع يدي على
جلد بطني العارية، شيء يزعجني لكني أدركت أنه
ليس الجنين الذي يتحرك .

مجرد مغص عادي من أثر الجوع، لا أستطيع أن أتذكر
آخر مرة أكلت فيها كثيراً، مددت يدي لتشغيل نور
السريـر، عندما تكيفت عيناـي على الرؤية، رأيت
الخطوط السوداء على حافة اللحاف الذي اعتدت أن
أمسح فيه دموعي، لمست رموشي الصناعية، وهي
التي أكدت شكوكي، ماذا فعلت الليلة الماضية؟ يبدو
أنها لم تتضمن الأكل أو الغسيل، على ما يبدو.

عبثاً حاولت التذكر، ولكن دون جدوى. آخر شيء
أتذكره هو الخروج إلى الجزيرة، رؤية الأطفال،
والرجوع مرة أخرى إلى الكابينة. كل شيء بعد ذلك
يشبه الضباب. جلست على فراشي بجهد، وأحسست
بحرقـة، «أسبوعك التاسع»، سمعتها من الطبيب، «أنتِ
في الأسبوع التاسع»، هل فعلاً؟ ليس لدي أي فكرة.

نمت كثيراً، وأرهقت بالفعل، نعم ربما دخلت لأنام بسبب كلام الطبيب عن الإرهاق والارتياح، لقد فككت رموز هذا اللغز، يجب علي أن أنم مرة أخرى، ولكنني أخاف الكابوس، سيأتي مرة أخرى، وبدلاً من ذلك قمت إلى المطبخ لتناول كوباً من الماء، ثم إلى الحمام لأتبول، رششت الماء على عيني وخدي، ورحت أمعن النظر في المرأة، كنت كأنما سبقت عمري بكثير، وكأنني أنظر إلى أمي، رجعت إلى الورا، ولاحظت تلك الطبقة الداكنة على رقبتني. وضعت يدي عليها، وابتعدت، لأريد النظر مرة أخرى، كم نحن متشابهين أنا وأمي؟ يمكن أن يكون الوجه هذا لها، وليس لي، ماذا كانت ستفعل أمي إن حدث معها هذا، جلست على غطاء المرحاض، أمي.. اتصلت أكثر من مرة ولكن عندما رأيت رقماً يضيء على الشاشة لم أرد. ما الذي سنقوله لبعضنا، لا شيء، ربما شعرت أمي بما أحس به في يوم من الأيام.

لم تترك والدتي أي رسائل، بغض النظر عن مكالماتها المتقطعة، إلا أنني لم أتلّق منها أي اتصالات خلال

الأيام الماضية، أميل إلى الأمام، ألف ذراعي حول نفسي، وحيدة دائماً، أجبرت نفسي على رفع ذقني، لماذا يتصل بي أحد بعد كل هذا؟ أنا في أجازة والمفترض أن يسأل عليّ أحدهم.

أنا لم أطلب ذلك من أي شخص باستثناء «أليكس»، على الرغم من أنني قلت لنفسي مراراً وتكراراً أنه لا جدوى من الاتصال به، ولكنني أظل أحاول. ولا أتوقع منه رد. لقد قبلت بشكل أو بآخر حقيقة أنه لن يرد على مكالماتي أبداً. إن هاتفه في مكان لا يمكن لأحد سماعه.

تركت الحمام ومشيت على أطراف أصابعي في الظلام، وكأنني لص، أنا لا أنتمي إلى هنا، كما لو أن الجدران دبّت فيها الحياة ومالت على قلق، قلق أو بشكل آخر.. عدائية.

اقتربت من غرفة المعيشة، تبدو مختلقة في الضوء الخافت مع شيء من ظلال، وكأنها تترصدني الأشكال المظلمة تتجمع في الأركان، بسرعة أذهب إلى مفتاح

النور، و الغرفة سبحت في بحر من نور، الظلال تأخذ شكل الأثاث، نفس الأريكة المترهلة، طاولة القهوة المنخفضة، و الكراسي غير المتشابهة كالمعتاد.

أرى صورة غرفتي منعكسة على زجاج النوافذ الكبيرة المواجهة للرصيف، يمكنني عمل لوحات تجريدية في السقف وفي وسط الغرفة. أرى نفسي، صورة ضبابية ترتدي ثوب النوم الأبيض، وبقعتان مظلمتان يفترض أن يكونا عيني.

أستطيع أن أقول إنها امرأة، لكنها أكثر نحافة مني، ورغم أنني أقف في النور إلا أنها مغلقة بالظلام. أصدق في وجهها لأدرك من هي، أنها أنا، نسخة بريئة أصغر مني، إنها الفتاة التي جلست في القارب بينما اختفى «أليكس»، المرأة الشابة التي كانت قبل «أليكس».

وعندها استيقظ ذهني، وقال لي انظري حولك. الأثاث، اللوحات، والحجرة كلها مضاءة. و أنا أيضا. ولكن المرأة الأخرى كانت في هيئة مظلمة، ربما لأنها لا تقف

تحت الضوء، إنها ليست موجودة في غرفة المعيشة،
إنها تقف في الخارج على الرصيف و تنظر إلى.

(22)

كنت دائما في موقف المتفرج، الشخص الذي يقف خارجا وينظر إلي، الذي يتصنت على ماما وهي تصرخ لـ«روث» في الهاتف، الذي استمع في خلسة لماما وبابا وهما يتشاجران. و لكن في الليلة الماضية أصبحت من المشاركين، بدلا من العودة إلى غرفتي الخاصة، ذهبت إلى غرفة والدي، كنت مُساقة بواسطة قوة أكبر من أي خبرة اكتسبتها في حياتي.

أنا أعرف ما فعلته لـ«جريت» . تضرب ابنتك؟ كيف تستطيع فعل ذلك؟ حملني الاتهام الذي ألقته أُمي إلى الحدث الذي حاولت جاهدة وأده. لقد قيل للي لا تتحدثي في هذا الأمر، الآن أصبحت سلاحا في المعركة بين أبي وأُمي، «مولى» كانت ملقاة على الأرض، كانا لا يزالان يتجادلان، المعركة الآن تدور حول شيء آخر شخص آخر، هناك سرعة تحول في أبي وأُمي، السخيف أنهما تركا أُمي وصدمتي.

بينما أقف في الردهة استولت العاطفي على أنحائي، لا توجد سوى كلمة واحدة لذلك. كنت غاضبة، استغرق الأمر بعض الوقت إلى أن لاحظاني، أو بالأحرى عندما لاحظاني كان قد فات الآوان بالفعل، كان بابا مشغولا للغاية في قول الحقائق في وجه ماما، إلى أن ابتعدت أُمي جزئياً، رأيت وجهها المتحجر يذوب حتى لم يتبقى منه سوى فم مفتوح وعينان خائبة الأمل. استمر أبي يقذف المزيد من كلامه المسموم. وقفت هناك، أهدق النظر فيهم، وفي تلك اللحظة، شيء ما حدث، شيء غيّر من نظرتي للعالم، الرجل الذي كان يجلب لي هدايا ويلعب معي، الذي قال لي عندما كان يتناول إفطاره في المطبخ أنني كنت حلوة. كان هذا الأب ما يزال هناك في مكان ما تحت أكوام من الحقارة و الكذب و الخيانة، الرجل الذي كان يجلس على حافة النافذة كان شخص آخر، رجل قاس، رجل يعذب أُمي، جعل من حياتها جحيم، وعندما فكرت في تلك الصفعة، كان لدي شعورا داخلياً مختلفاً، تقدمت خطوة إلى الأمام و شاركت أُمي و أُمي لعبتهم، من الذي قام بالخطوة الأولى؟ من فعل ماذا، بعد ذلك

جلست في حجرتي، وانتظرت، وكأنني كنت مخدرة من الصدمة والخجل.

جاء المسعفين وذهبوا، وقبل مغادرتهم، سمعتهم يقولون لماما أنه سيكون من الجيد إذا طلبت من شخص ما أن يجيء ويظل معها، وأنهم على استعداد و بكل سرور أن يطلبوا هذا الشخص. لم أكن في حاجة لسماع رد أمي لأعرف ما ستقوله.

لا يوجد أحد للاتصال به، لا أحد. أغلق رجال الشرطة الباب خلفهم، و تركوني أنا وأمي وحدنا، وبعدها لم تعد والدتي تبكي ولكن ظلت في غرفتها، ربما ظنوا أنها ستعتني بي عندما يرحلون، ولكنها لم تفعل، جلست وحدي. دام الظلام طويلاً، في الخارج إضاءة ثم ظلام مرة ثانية و فجأة، كانت «روث» واقفة على عتبة الباب قالت لي بضع كلمات، لا أستطيع أن أتذكرها بالضبط. ثم ذهبت لتقف أمام الباب المغلق للحجرة حيث تجلس أمي.

رأيتها ترجع إلى الوراء وتأخذ نفسًا عميقًا، ثم دقت على الباب، لم أستطع سماع ما قالوه لبعضهن البعض، ولكن بعد فترة، عادت «روث» شاحبة الوجه مثل شبح، ركضت من أمام غرفتي، ونظرت إلي نظرة مخيفة، واختفت. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي أراها، بعد فترة وجيزة ظهرت أمي تتكئ على الباب، أخيراً. إنها معي مرة أخرى تتحرك بتصلب، اقتربت أكثر واحتضنتني، أغمضت عيني. كنا نتحدث مع بعضنا البعض عن الشعور بالذنب والندم، عن المسؤولية والمصالحة. حول العدالة وعن العقاب.

كنت خائفة وأبكي، وفي نفس الوقت فهمت أنه لا شيء يمكن تجنبه. لم يكن هناك طريقة أخرى. «لقد انتهى كل شيء» سوف نترك هذا المكان، كلانا. و سوف نكون معا يمكنك الاعتماد علي.

هكذا همست أمي لي. انتظرت، ثم رفعت رأسي ونظرت في عيني أمي. كانت تعبيراتها غريبة، كانت كئيبة جداً، ولم تقل شيئاً آخر، ولم تنتظر مني رداً، ما حدث سوف يكون سر يخصها و يخصني. لن يكون

هناك أي طلب للغفران، بهدوء رفعت أُمي يدها وطوقت عنقي. حدثت فيها، إنها مليئة بالعواطف المعكوسة، عرفت هذا منذ زمن، كنت في الثامنة من عمري، أصغر من أن يكون لدي أي خيار. ومع ذلك اخترت. وضعت يدي في يد أُمي منذ هذه اللحظة، أصبحنا فقط نحن الاثنان ويجب علينا أن نتحمل معا كما تقول أُمي. مهما كان الثمن سوف نتحمل معا.

(23)

الشمس تغطيها غلالة ناعمة من سحب، وضباب خفيف يحوم حول «مارهم»، ألقى نظرة جيدة قبل الخروج إلى الساحة. العشب رطب جداً. من المؤكد أنها أمطرت ليلاً. من غير المجدي البحث عن أثر، و لكن هذا ما كنت أفعله كل مرة، أمضغ بعض رقائق البسكويت القديمة لأمنع القيء، بينما أتحرك حول المباني، عيني تبحث في العشب الأخضر، ويبدو الأمر كما لو كنت أشاهد نفسي، أدهشني أنني أستطيع التصرف بهدوء، مع كل الأشياء التي حدثت خلال الأيام القليلة الماضية.

جزء مني يعتقد أن عقلي المتوتر يمكن أن يكون قد أساء تفسير ما رأيته الليلة الماضية، تحدث هذه الأشياء عندما يكون الشخص تحت ضغط، وما رأيته خارج نافذه غرفة المعيشة، ربما يكون غزالا أو حتى ظل شجرة، لكن جزءاً آخر من عقلي يعرف تحديدا ما رأيته. أو من رأيته. وهذا ما يجعلني أشعر بالارتياح بدل الخوف.



أقوم بإعادة ترتيب مكياجى، أضع الكثير من البودرة على الجزء الداكن في رقبتى، وأهم بأكل نصف طبق زبادي. قطعت ورقة وكتبت قائمة بما أحجاجة من البقال. الحليب والفاكهة والخبز. وضعت القلم جانباً وبدأت في النظر في الكلمات التافهة على الصفحة. إذا كنت أخطط لشراء الطعام، إذا فأنا أنوي أن أظل هنا .

كل شيء على مايرام، أعتقد فعلاً أن كل شيء على ما يرام، أشعر بشيء يتحرك بداخلي. شيء على وشك الحدوث، وينتابني إحساس بأنني أريد حك جسدي، حكة حتى أزيل تلك القشرة القديمة وانسلخ منها، لكنني أبعدت هذا التفكير عن رأسي، انتقلت نظراتي إلى عرائس «سميلا» الباربي التي لاتزال ملقاة على أرضية المطبخ، لاحظت أن إحدى العرائس الشقراء ملقاة على وجه الدمية «كين»، تغطي أنفه و فمه بجسمها. ذراعيه ممدودة كما لو أنهما يطيران في الهواء، أغمضت عيني للحظة أخذت نفساً عميقاً، وفكرت في «سميلا» ورجع إليّ ذلك الشعور بالذنب مرة أخرى، لا أستطيع التخلص منه بسهولة، أحاول أن

استجمع قواي، وقفت وألقيت نظرة أخرى على عرائس «سميلا»، و ببطء ذهبت إلى غرفة المعيشة، ومن خلال النافذة المواجهة للفناء وقفت، اقتربت جدا حتى أن أنفي لامس جزء من النافذة، لفترة طويلة ظللت واقفة أنظر في المكان الذي تقف فيه الشخصية المظلمة، رنوت إلى أن أصبحت رؤيتي مشوشة، مثل اليوم الآخر عندما وقفت أمام مرآة القاعة، فجأة رأيت وجهها آخر، وجه ينظر إلى، عينا في عيناه، وكلانا يحدق في الآخر، في هذا الظلام الذي نتقاسمه، إنها أنا.

قبل أن أترك الكابينة، وذهبت لإعادة ملء وعاء القط ولكنني توقفت. أين «تيريث»؟

إنه لم ينم معي في الفراش الليلة الماضية. في الحقيقة لم أراه منذ الصباح، لم أسمع صوته المؤنس كالمعتاد، نظرت في غرفة المعيشة ولكنني لم أرى كرة الفرو المجدد الملفوف على الأريكة، وتذكرت أنني وضعتها له في الخارج. متى كان ذلك؟



لم أستطيع تذكر الوقت بالضبط من اليوم، الساعات مبعثرة، كلما ضغطت على نفسي أكثر لترتيبهم كلما أصبحوا أكثر غموضا.

من المستحيل في ذلك الوقت العثور على أي آثار أو علامات على الطريق الخارجي، والأمطار تكفلت بتمويهها، ويأخذني التخيل في أن أحدهم قد صنع بأصابعه لوحة على السماء، أتمنى لو أستطيع أخذ السيارة، ولكن هذا مستحيل.

إلى أين أنا ذاهبة. طريق الغابة حول البحيرة ضيق جدا في بعض الأماكن، إلى جانب كونه شديد الوعرة. وظهري ورجلي يؤلماني، لذلك المشي لن يكون حلا أيضا. هناك كوخ متهدم وراء الكابينة. رجعت إليها، ووجدت أشياء كان من المفترض أن يتخلص منها "أليكس"، رشاش للحديقة، إطار من البلاستيك ينتفخ ليصبح مسبحا للأطفال، وقد بهت من الشمس، مجداف وحيد، دراجة قديمة مائلة على الجدار، انحنيت لأختبر إطاراتها، يبدو أن بها ما يكفي من الهواء، لذا دفعتها للخارج، ركبتها وبدأت أبذل، مررت

من أمام نفس الكبائن المهجورة، نفس أثاث الفناء المهمل الذي رأيته بالأمس، الدراجة تصرصر كلما أوشكت على بلوغ هدفي ارتجف، في الواقع أنا لا أعرف ماذا سوف يحدث، و لكن عندما وصلت إلى المكان حيث التقيت هؤلاء الأطفال، لم يكن هناك أحد، أنا ببساطة أقف مكتوفة الأيدي، أفكر ماذا سأفعل بعد ذلك. كل حواسي في حالة استعداد، ولكن الشيء الوحيد الذي أسمعته هو هدير على الجانب الآخر من الأشجار الطويلة الممتلئة التي تحيط بالبحيرة، حيث يوجد الطريق السريع المؤدي إلى المدينة. يكاد يكون من المستحيل تصديق هذا الموقع، الذي يبدو بعيداً جداً عن كل ما يسمى بالحضارة.

ركنت الدراجة على جذع شجرة و بحذر اتجهت إلى الحفرة حيث رأيت الفتاة أمس، وعلى الرغم من كوني حذرة، إلا أن الرطوبة تسربت بسرعة من خلال حذائي الرياضي. مازالت أحذيتي وصنادلي في الكابينة.

التي شيرت الذي أرتديه قديم و باهت، «مارهم» تنهكنى ببطء، تجردني من كل شيء، بعد وقت قريب

لن يكون هناك ما أفعله سوى أن أحضر المساحيق وأضعها على وجهي بشكل روتيني، العادات ستتغير الطقوس ستتبدل، كل شيء.

وأخيراً وصلت إلى البحيرة، هذا هو المكان الذي كان يقف فيه الصبية قبل أن ألاحظ الفتاة، قبل أن يسرعوا ويحيطون بي على الطريق. أنا أرتجف، ولكن بعد ذلك نظفت ذاكرتي، لن أسمح لتلك الذاكرة أن توقفني، وعلى بعد مسافة صغيرة، على حافة المياه، كان هناك قارين للتجديف، هل كانت راسية منذ الأمس، في الوقت الذي اعتاد الأطفال فيه على التجديف وتركها هناك؟ رأيت شيئاً يتحرك، ألقيت نظرة في محاولة لتبين ذلك الذي غاب بين الأشجار، أغمضت عيني وفتحتها مرة أخرى. كان قد اختفى.

صدري مكتوم، لا يجب أن أكون هنا حقيقة. ومع ذلك أرفض المغادرة. أقترّب أكثر حتى أكون بجانب القوارب، أحدهما زورق خشبي قديم مسطح القاع و الثاني جديد مصنوع من البلاستيك و الـ«فيبرجلاس»، لا بد أنها كانت بيضاء وتحولت مقدمة القارب إلى

الرمادي القذر، الخطوط المخدوشة المرسومة على الجوانب تبدو وكأنها كانت في الأصل زرقاء داكنة. شيء ما يسحبني أكثر، دققت النظر في الحافة العليا من جانب القارب. الجزء السفلي منه مملوء بالماء، ربما من هطول الأمطار ليلة أمس، لكن الماء غير واضح. لكن من أين أتى هذا اللون الأحمر؟. أسفل المقعد في المؤخرة كانت هناك كتلة متجلطة وملطخة باللون الأحمر الداكن، كما لو أنه جنين مجهض، تراجعت إلى الوراء و اصطدمت بشجرة، إلا أنها ليست شجرة، إنه شخص استدرت، وهنا وجها لوجه وقفنا متواجهين.

«كان لدي شعور أنك سوف تأتين مرة أخرى». و لكن كان يجب أن تكون هذه آخر مرة

(24)

غمرني شعور بالارتياح، نفس الشعور الذي شعرت به عندما رأيت الصورة المظلمة على العشب خارج الكابينة الليلة الماضية. أنتِ على قيد الحياة. لم تكن أنت الشخص الذي كان يصرخ على الجزيرة أمس، لم تكن الشخص الذي أصابوه بعد ذلك. أعطتني دفعة في صدري وتعثرت إلى الوراء، دققت النظر فيها، إلى قبضاتها المضمومة والأشجار التي خلفها، هل كانت الفتاة تقرأ ما في عقلي حين قالت: «أنا وحدي، لكنك لن تكوني محظوظة في المرة القادمة. لو أنك تتمتعين بقدر من الذكاء، سوف تبعدين عن هنا، لا تعودي مرة ثانية، اتركيها وشأننا .

هناك شيء في صوتها لا يجعل تهديدها حقيقيا، كما لو أنها تريد حمايتي فقط، بدأت نبضات قلبي في الانخفاض ببطء، لدي سبب لوجودي هنا. و لكن أولا أريد ان أكسب ثقتها، أظهر لها إنني أخذها بمحمل الجد. ما الذي تحاولين تحذيري منه؟ ماذا يمكن أن يحدث؟

قالت بصوت متذمر» أنتِ لا تريدين العبث مع «جورما». كان عليكِ أن تدركِ هذا، أزحت بعض خصلات الشعر المبعثرة على وجهي، وتأملتُها بعناية أكثر، وتساءلت كم يكون عمرها يا ترى. تحت ملبس الرجل الذي ترتديه، لا أستطيع أن أرى حتى انتفاخاً طفيفاً للتدينين.

ولكن هذا لا يدعو للاستغراب، بالنظر إلى كم هي نحيفة.

«جورما» هل هذا اسم حبيبك؟ كانت خدودها ملطخة بأحمر خدود.

إنه ليس..... ليس بالتحديد ..

أتساءل كيف لو يعاشرون بعضهم البعض، بعدها أومات برأسي، بالطبع هم يقومون بذلك. أسمع صوت يأتي من بين الأشجار، أكاد أن أتجمد، ولكن لم يأت «جورما» نحونا، ليس بعد، أبتلع ريقى بصعوبة، أتوقع أن «جورما» أو أحد الأطفال سيظهر، أتعجل شرح

سبب مجيئي هنا الآن، « لا يجب أن تقحمي نفسك في هذا. كلامي جعلها تشعر بالاندهاش، شاهدتها عينيها تبرقان، قالت: «ماذا.... ماذا تعني؟» تظاهرت أنها لم تفهمني، تفتح عينيها اتساعا، ورحت أنا أيضا أحرق في عينيها، ربما لا يمكنها المساعدة، لكنني أرى إجابتها. أرى الحقيقة، خطوت نحوها لأكون أقرب إليها، و أهملت رغبة في الوصول إليها تماما، وإمساك يديها.

ما اسمك؟ قالت في النهاية.

«جريت» واستجمعت شجاعتي وتابعت الكلام .

استمعي لي الآن، «جريت» إذا كان يعاملك معاملة سيئة لا تدعيه يفلت بفعلته، عليك أن تنتقمي وتحري نفسك.

ورأيت القلق واضحا في عينيها على إثر كلامي، وكادت أن تبدأ وتقول أنا لست كذلك، ولكنني كنت غير صبورة لدرجة أنني لم أدعها تنهي ما بدأت تقوله.

ليس لدي وقت لأعذار، يمكنك أن تقولي ما تشاءين، ولكن في داخل قلبك أنت تعرفين أنك تبحثين عن مخرج. أنت تبحثين عن شخص يستطيع مساعدتك، لذلك أنت جئتي إلى كابينتي، هذا هو السبب في أنك وقفتي في الفناء خارج النافذة الليلة الماضية. لأنك تعرفين أنني مثلك.

لاحظت على الفور أنني ارتكبت خطأ، لقد ذهبت بعيدا جدا، حتى الآن، الفتاة تكاد أن تتحرك و هي تستمع، ولكن تلون وجهها، ردت و هي تزمجر «هذا ليس هو السبب». على نحو ما اتخذت الأمور منعطفاً خاطئاً. لقد تكلمت كثيرا أو قلت شيئا خاطئا، لقد تلاشت العلاقة الهشة التي بيننا، ولكنني لا أستطيع أن أوقف نفسي، أنا مازلت مقتنعة بفكرة أن لدينا قواسم مشتركة، وأنها بالفعل تحتاجني.

قلت لها «أنا بجانبك» ألا تدركين ذلك؟ كلنا لدينا الكثير.



«بحق الجحيم من تظنين نفسك، نحن لسنا على نفس الجانب»، صاحت في بصوت عالٍ جدا لدرجة أنني التزمت الصمت و تراجعته خطوة إلى الوراء، للحظة رأيت وجهها متجهما بقوة، و لكن اختفى ذلك التجهم بعد ذلك، واستبدلت صورة وجهها بقناع صعب وقاس لا يمكن اختراقه. هي تبدو بعيدة. ذراعها ينطلق إلى الأمام مستقيم و مشدود، ويبدو عليها الاضطراب وهي تشير إلى شيء خلفي «جورما» «يعرف الآن! يعرف أنك الشخص الذي فعلها!»

استدرت لأرى ما الذي تشير إليه، في اتجاه القوارب. عيناى محدقتان على الكتلة الملطخة و الدم في قاع القارب الجديد، برد ينتشر في أنحاء جسدي، قلت بصوت أجش ماذا فعلت؟

نحن نعرف أنك كنت في الجزيرة، نحن الوحيدين الذين يذهبون إلى هناك. لذلك يجب أن تكوني أنت.

لم أجد ما أقوله لأرد عليها، أنا أقف هناك، وأشعر كيف تتسرب مني قوتي وثقتي بذاتي، وضعت البنت يديها

على وركها.

هل ذهبت إلى هناك بمفردك؟ إلى الجزيرة؟ أعني هل كنت بمفردك؟ أم كان هناك آخرون؟ صوتها الآن به نبرة بوليسية، كما لو أنه استجواب وبطريقة ما، بالفعل هو كذلك، أدركت أن كلامي لن يحدث فارقا، تضايقت جدا، وتراجعت خطوة إلى الوراء.

لا.. ونعم. أنا وزوجي و.....

أكافح لك أكمل الجملة، ولكنني لا أستطيع، أغوص في دوامة تجعل الأرض تدور من تحت قدمي، الأكاذيب تحاوطني من كل اتجاه، وترمي بي في عاصفة تطوحني داخلها، لقد كذبت، منذ أن أتينا إلى «مارهم» على الفتاة وعصابتها، إلى الرجل في البيت البني، إلى الشرطة. حتى أنني ليس لدي أدنى فكرة عن السبب، ولكن هذا لا يهم، الشيء الوحيد هو أنه لن يستطيع أن يستمر، أنا لن أكذب مرة أخرى، «أليكس» ليس زوجي و «سميلا» ليست ابنتي، كان ثلاثتنا قد ذهبوا إلى الجزيرة ولكن الاثنان الآخرين....

لا ليست كذبة أخرى، الفتاة تنتظر، ولكن عندما توقفت عن الكلام نفذ صبرها «ماذا؟ ماذا عن الاثنين الآخرين؟»

كيف لي أن أشرح ؟ إنهم لم يعودوا. لقد اختفوا، ببطء، نعم.. ببطء شديد، أترجع بعيدا عن الماء و الفتاة، أتحرك نحو طريق الغابة والدراجة، تتبعني الفتاة، دفعتني مرة ثانية في صدري «اعترفي! أنا أعرف ماذا فعلتي كلنا نعرف».

استدرت وهربت بأقصى سرعة ممكنة، أمرق من بين الأشجار وأتسلق الحفرة، وأجري في طريق الغابة، أنا أتلوى من الألم والغثيان، ولكن لن أسمح لنفسي بالتوقف أو الراحة، انتزعت الدراجة وركبتها، الفتاة لم تقم بأي محاولة للإمساك بي، بينما أقود الدراجة بعيدا عن هنا أسمع صراخها من خلفي، سيتأكد «جورما» أنك وقع عليك العقاب، في هذه اللحظة عندما سمعت هذه الكلمات، شيء ما ينقر بداخلي شيء مهم يشق طريقه من خلال الضباب الذي يغلف وعيي. انتقام، هذا هو الفكر الذي يدق في رأسي الآن، من أجل

الانتقام. إنه في الطريق، ليتأكد من معاقبتي و لكن
«جورما» ليس هو الذي أفكر فيه.

(25)

لم يكن سرا أن «أليكس» كان متزوجا في وقت مبكر من علاقاتنا، كان صريحا جدا بما يخص أنه كان لديه زوجة وابنة في حياته، لم يكن هذا ليزعجني، على العكس تماما. بالرغم من أنني كنت مترددة في السماح لأي أحد بالاقتراب، إلا أنه بدا وكأنه أمر لا يمكن تصوره أن أتركه عندما دخل «أليكس» حياتي قبل أن أعرف ذلك الأمر، كنت لأخبر أمي و«كاتينكا» عنه، سألتني أمي عدة مرات، وفي عينيها نظرة متفائلة، إذا كان هناك شخص ما في حياتي، لكنها لم تكن راضية عندما أخبرتها عن «أليكس»، هل سمحت لهذا الأمر أن يكون عثرة في حياتي؟ أم أن ماما سألت أسئلة أدت بها إلى هذا الاستنتاج؟ أنا لست متأكدة. كل ما أتذكره هو ردة فعلها.

كيف يمكن لك يا «جريتتا»؟

كنت أعرف ما كانت تفكر فيه، أنني أمشي على خطي أبي، وإنني كنت أتبع كل خطاه المستحقة للوم ولكنني

لم أكن مسؤولة عن خيانة «أليكس» لم أدين بأي شيء لتلك المرأة المجهولة التي تتواجد في مكان ما في انتظاره ليعود إليها، الحق يجب أن يقال، أنا بكامل الاحترام لم أتحدث عنها ببذاءة كما أنني لم أعترض أو أستنكر كلام أُمي.

كانت «كاتينكا» أيضا متشككة، ولكنها وعدتني أنها سوف تشاركني الفرحة، إذا كنت أنا سعيدة.

تذكرت أمسية قديمة، كانت بالضبط بعد شهر من بداية علاقتي مع أليكس، هل أنا سعيدة؟ أدت رأسي لأنظر إليه وهو مستلقٍ بجانبني على المرتبة الناعمة. ألا يجب علينا التحدث أكثر؟ نعرف بعضنا البعض؟ أليس هذا ما يفعله كل الناس؟

ابتسم لي ابتسامة عريضة. وقال «إذا كنتِ تريدين ذلك إذن أخبريني شيئًا عنك بشيء يدعو للخجل».

أغلقت فمي ورددت في نفسي، شيء يدعو إلى الخجل؟ بابا. هذا الموضوع غير قابل للنقاش، لم يكن

أحد قادر على إخراج الحقيقة من داخلي حول ما حدث. كان هو السبب الذي جعلني أمضي كامل حياتي أبتعد عن الناس، عن العلاقات الوطيدة، ولكن الآن، وهنا، أنا كنت مع رجل ادعى أنه رآني، رآني حقا، وفجأة سمعت نفسي أحكي «لأليكس» ما حدث تلك الليلة حول النافذة، حول سقوط بابا. عندما أوشكت على النهاية شيء ما جعلني أقف، وأحتفظ بأهم التفاصيل لنفسى و لكنني أعتقد أنني أخبرته بما يكفي .

«أعتقد إنك مجنونة إلى حد ما يا حبيبي، ليس تحديدا في رأسك».

ضحك «أليكس» بعد عبارته، ولكنني أستطيع أن أرى في عينيه أنه كان جادا جدا، وربما كان على حق، بعد ذلك تخلت تدريجيا عن أي أمل للتقارب العاطفي بيننا، كان لدي شخص بجانبى، كان هذا يكفي، وليس ضروريا أن نعرف بعضنا البعض، ثم جاءت الليلة التي ضغط فيها «أليكس» على جسمي العاري نحو زجاج النافذة، لا تتركينى أبدا، هذا ما كان مكتوبا على

الكارت المرافق لبوكيه الورد الذي أرسله لي في اليوم التالي، ربما كان ذلك عذرا أو أنه يأمرني، لا يهمني ماذا كان. لم أتركه، لم أكن أقدر على تحمل فكرة كوني وحيدة مرة أخرى بعد وجوده في حياتي، على العكس وضعت نفسي مثل خاتم في يد أليكس، سمحت له أن يقودني أبعد و أبعد في الظلام، بدا الألم يتسلل شيئا فشيئا في علاقتنا، لم أغادر واستمررت في التعلق به، «أليكس» يقود وأنا أتبعه، إلى أن أدى الطريق بنا إلى الهاوية.

أسمع صوت ذلك الرنين في جيبتي، أخذت نفسا عميقا، ونظرت حولي في حالة من الدوخة وانعدام الوزن. أين أنا؟ أدركت أنني جالسة في سيارتي في موقف للسيارات خارج محل بقالة صغير. كيف وصلت إلى هنا؟ من المؤكد أنني كنت أقود السيارة، ولكنني لا أتذكر أنني فعلت ذلك. بعدها تذكرت لقائي مع الفتاة، وركوب الدراجة في طريق الغابة والعودة إلى الكابينة. الآن طعم الدم في فمي، الصيحات المميتة عن الانتقام والعقاب المدوية في الغابة تدور في رأسي.

تذكرت الخوف، مازلت أشعر بتنميل في أطراف أصابعي وتموج عنيف في أمعائي، لكن ذلك بسبب الخوف، لكن لسبب أكثر من ذلك، إنه شعور التمرد والرغبة في الوقوف ومواجهة العدو. فجأة هذا الشعور استيقظ بداخلي لذلك أنا هنا لاتخاذ أي إجراء ممكن.

صوت رنين الهاتف في جيبى مرة ثانية أخرجت هاتفي، كان هناك نص رسالة من «كاتينكا» يا رفاق أتمنى أن تكونوا بخير. أفكر فيكم.

جملتين فقط، ولكنهما مشحونتان بعاطفة جميلة، بمرور الوقت وعلاقتي مع «أليكس» تغيرت وكلما تقبلته أكثر طلب المزيد، «كاتينكا» كانت دائما صامته، العيون ثاقبة، عندما بدأت أشعر بالمرض أكثر من المعتاد، كانت تسألني بماذا أشعر؟ في الحقيقة كانت هي الوحيدة التي لاحظت أن هناك شيء غريب في هذا اليوم، أو على الأقل هي الوحيدة التي سألتني بصراحة لماذا تعرجين؟.



«أنا لا أعرج» ربما لا. و لكنك تتحركين بطريقة غريبة وحذرة كما لو أنك مصابة ماذا حدث؟ ثبتت نظراتها عليّ. أشحت بوجهي تجاه الجدار، «كاتينكا» أومأت رأسها. كما لو أنها فهمت شيئاً مهماً. ثم قالت لي أنه يجب على ان أذهب وأتحدث مع شخص ما .

بدأت الكلام و سألتها ماذا تعني. لم ترد عليّ، حتى لم تقل ماذا عرفت، أو ما الذي كانت تقصده؟.

في الحقيقة جزء مني أراد أن يسمعها تقولها بصوت عال، أراد أن يجعلها حقيقة، لم يكن هناك شيء أستطيع التعبير عنه، «أنت -تغيريت في نفسك» قالت لي «كاتنكا. هذه الطريقة التي تعرجين بها، و دائماً متعبة، أنت تحتاجين إلى رؤية شخص ما» .

من ياترى؟ توقعت منها أن تقترح على شخص خبير في العلاج، عندما أغلقت عيني تذكرت ذات الشعر الأشقر، و شعرت بنفس القبضة القوية علي معصمي . الأمور سوف تزداد سوءا بعد سوء بالنسبة لك. و أنتِ تخاطرين بخروجك عن حالة الاتزان، و لكن «كاتينكا»

لم تكن تفكر في معالجة نفسي، ربما كان هناك شيء آخر في عقلها، «ربما يجب عليك أن تذهبي إلى طبيب في العيادة». قلت: حسناً. أنتِ على حق. أنا متعبة سوف أحدد موعداً.

و فعلاً، بعد بضعة أيام ذهبت إلى العيادة، كانت الشمس مشرقة و الجميع يرتدون السراويل القصيرة والملابس الخفيفة. وأنا كنت مرتدية سروال طويل، صورة الطبيبة النفسية الشقراء لمعت في عقلي مرة أخرى، بالأزرار والجاكيت في منتصف الصيف، كنت أجد هذا غريباً. الآن أنا أرتدي نفس ملابسها، وجسدي مغطى بالكامل.

بعد فترة قصيرة، دخلت إلى مكتب امرأة ترتدي معطفاً أبيضاً، جلست على الكرسي أمام مكتبها، استغرق الأمر ثوانٍ قبل أن أقول أي شيء، انتظرت، تركتها لتدرسني في صمت، تمنيت سراً أن تنظر إليّ وتعرف، دون أن أكون مجبرة على قول كلمة واحدة، ولكن تعبيرها كان فضولياً لدرجة أنني أخيراً اضطررت إلى فتح فمي، أخبرتها عن التعب، ثم أجبت عن



أُسئلتها بكل طاعة، على الرغم من مراوغتها. عندما طلبت بعض الاختبارات.

سمحت للممرضة أن تغرز الإبرة في ذراعي لأخذ عينة دم، وتبولث في الحاوية التي منحوها لي، بعد ذلك جلسنا بجانب بعضنا البعض. الطبيبة أمالت رأسها و نظرت إليّ، طلبت أن تنظر إلى فخذي!.

فكرت . أن تقول لي أنه لا بد أن أتركه. و لكنها لم تفعل، عوضا عن ذلك أبلغتني أنني حامل في تسعة أسابيع، هل حقا أنني لم أشك أو أشتبه في ذلك؟ خرجت من السيارة وذهبت إلى متجر البقالة الموجود داخل مبنى منخفض من الطوب، وكان هناك رجل مسن يقف على طاولة الدفع القريبة من الأبواب، كان يمسك بصحيفة ويقرأ منها. عندما اقتربت نظر وقال لي «مرحبا» التقطت سلة وتجولت في الممرات بدون هدف، كنت شاردة الذهن، إنه متجر ريفي هاديء، وبالتالي فإن الاختيار محدود. كنت أستطيع أن أقود إلى أبعد قليلا، إلى المدينة حيث كنت هناك بالأمس، و لكنني لم أجروء على الذهاب إلى هناك، لا أريد أن أذهب

إلى أي مكان بالقرب من قسم الشرطة وأخاطر بأن يتم التعرف عليّ، أشعر بالحرارة تجتاحني كلما تذكرت مكالمة الهاتف مع الشرطة، بالضجة التي يمكن أن أسببها. ومع ذلك يمكن أن تكون أسوأ، أسوأ من ذلك بكثير إذا اكتشفت الشرطة أن اثنين يلعبان بـ «أليكس و سميلا» اختفيا، وهم يعرفون أيضا أنني أكذب بشأن علاقتي بهم.. لن يبدو الأمر جيداً على الإطلاق. في أحد الممرات تواجهت مع سيدتين كبيرتين في السن كانتا متشابهتين بشكل مدهش، ربما كانتا أخوات، النوع الذي لم يتزوج أبداً، منحاني ابتسامة حذرة، كما لو أنك تبتسم لشخص غريب الأطوار أثناء مرورك بجانبه، اجتهد لاسترجاع الابتسامة، إنها ليست غلطتي، أريد أن أصرخ فيهم. «أنا فقط فعلت ما قيل لي. كنت قد سألت «أليكس» كيف كان ينوي تقديمي إذا التقينا أي شخص أثناء وجودنا في (مارهم) والعودة إلى البيت. نحن لن نخرج أبداً، فقط ظللنا في الداخل، في مكاني، لا توجد دور سينما، ولا مطاعم ولا حتى تمشية في المساء. لم نتكلم أبداً عن السبب، ولكن تصورت أنه يمكن أن يكون بسببها. البلدة كانت



صغيرة بالقدر الكافي لدرجة أننا إذا خرجنا قد نتواجه مع أحد ما يعرف «أليكس» أو يعرفني، من هذه النقطة، لم يكن العالم الذي تشاركنا فيه هو أكبر من غرفة نومي.

الآن، نحن نخطو خطوة إلى الأمام، في عالم مجهول، كنا لنذهب بعيدا، لقضاء عطلتنا معا، لم أسأل «أليكس» عما قاله في البيت، ولكنني خمنت أنه استحضر بعض نوعا ما من رحلة عمل، كان مندوب مبيعات دائم الترحال، مما يعني أنها يجب أن تكون قبلت التفسير. إنها زوجته بعد كل شيء، تساءلت كيف كان يخطط لأن يقدمني لها؟ كيف كان يريدني أن أقدم نفسي؟ «أليكس» تجاهل سؤالي، لم يعتقد أن هذا مهم، لأنه لم يكن من المحتمل أن نتواجه مع أي شخص، على الأقل لا أحد كان يعرفه، لكنني أصررت.

و لكن ماذا لو سأل أحدهم؟ ماذا إذا؟ أريد أن أعرف من أنا؟ ما المفترض أن أكون؟ لفت انتباهه، ظل يحدق في لفترة طويلة، وفي عينيه نظرات غير قابلة للفهم وقراءة ما تعبر عنه، وأخيرا قال بحزم: أنت

زوجتي إذا سألك أي شخص، هذا ما يجب أن تخبريهم به، وهذا ما فعلته. الرجل في البيت البني والشرطة، الأطفال- كل هؤلاء الذين سمحت لهم أن يصدقوا أنني كنت المرأة التي تزوجها «أليكس»، ولكنها كانت مختلفة مع «سميلا»، لم يرغبني أحد علي ذلك، أن أطلق عليها ابنتي، ومع ذلك سمحت لها أن تكون جزءًا من هذه التمثيلية، لقد حدث ذلك بشكل طبيعي. وكان سهلا في أغلب الأحيان بشكل طبيعي جدا، «سميلا» الصغيرة التي كانت لديها أحلام الأميرات، «سميلا» التي كانت مرتبطة بي من خلال الطفل الذي يتكون في بطني الآن، أختك أو أخيك، أهمس بهذه الكلمات، و أنا أرتجف أمام مخزن البقالة البارد، لفترة طويلة أهدق النظر في علب اللبن، الزبادي، الزبدة، البيض، ثم أنظر إلى السلة الحمراء التي أمسكها، إنها مازالت فارغة، أنا على يقين أنني قدت السيارة ومجيئي لمتجر البقالة للتسوق ما هو إلا لسبب ما، لكن ما أبحث عنه هو شيء آخر تماما.

ولكن ماذا؟ تقترب السيدتان العجوزتان بسرعة، أخذت إثنين من علب زبادى من علي الرف ووضعتهما في سلتى، اتمنى الآن ان أبدو مثل أى زبون، علي الأقل ظاهرياً. اتحرك ناحيه الجزء الخلفي من المتجر، في محاوله للحفاظ علي تلك الصورة، وضعت بعضاً من الفاكهة في كيس بلاستيك، ووضعت جنباً الى جنب مع رغيف من خبز «الجاودار» الخفيف. فجأة وجدت نفسى أمام رف الحفاضات واغذيه الاطفال، أخذت أدقق النظر إليه مباشرة، كيف كان رد فعل «اليكس» عندما سمع أني حامل، هل قمت بتحديد ميعاده؟ اتذكر أنه بعد ذلك اخذ وقته لإنهاء العشاء، وكان يمضغ الطعام بهدوء، ولكن كان هناك شيء غريب في طريقه فتح فكه وطحنه للطعام للخلف والى الامام، شيء يشير الى غضب مكبوت. ولكن ربما يكون هذا مجرد تفسيرى فيما بعد، وحينها قام أليكس بتنظيف طبقه، ووضعه جانباً وغادر الغرفة ليأخذ شيئاً، عاد وعقد ربطة عنقه من الحرير الأسود وخلع سترته وأعطاهما لي، «ضعي ذلك فوق ملابسك»، لا شيء آخر، وانتظريني في غرفة النوم، محاولة واحدة

أخيرة، فقط مرة أخيرة، ربما هذا ما كنت أفكر فيه،
ربما هذا السبب في أنني قمت بقمع ذاكرة الألم، الألم
الذي تلاشى في النهاية ومع ذلك كان محفوراً بداخلي
ولا يمكن إزالته.

في كل الأحوال فإن آثاره في جسمي فعلت ما كان
يريده أليكس، خلعت ملابسني، لففت رابطة العنق حول
رقبتي، وانتظرت، وبعدها جاء «أليكس» إلى غرفة
النوم، وأغلق الباب في وجه العالم، هذه الليلة
استغرقت وقتاً طويلاً كي أنام، وكان حينها نومي
مضطرباً غير مريح ومتقطع، بعد فترة قصيرة
استيقظت، سواء من الألم أو بسبب الأصوات التي في
الخارج، هدير محرك السيارة، الصراخ بصوت عالٍ،
استلقيت هناك، استمع «لأليكس» وهو يأخذ «سميلاً»
إلى الداخل مع ملاحظة كيف أنه أضاء الأنوار ووضع
«سميلاً» في الفراش داخل الغرفة المواجهة لنا، ومن
خلال الجدار سمعته يكلمها، وكلامه كان هادئاً و
مطمئناً.

أنا لم أتحرك من الفراش، و لكنني كنت مستيقظة، وهذا كان في تلك اللحظة التي اتخذت فيها قراري، في الواقع، كان أكثر من تحقيق عنه قرار، هذا يجب أن يتوقف. كان هناك وضوح في تلك الكلمات، شعور بأنني سأكون في عداد المفقودين لفترة طويلة، يجب أن أفعل ما علي فعله، هذا يجعلني أشعر أنني متخبطة، لم يكن لدي شك في هذا، أمسكت بزجاجة للأطفال، ثم كوب من «سيبي» مع «ويني-بوو». هل هذا ما أبحث عنه؟ هل هذا سبب وجودي هنا؟ لا، خفضت يدي، جسدي يتحرك بعيداً، أنا على مقربة من «الكاشير»، و لكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه. هناك شيء غائب عني، أنا أعرفه ولكن لا أتذكره، وضعت كيس طعام القطط داخل السلة، والآن أنا في قسم لوازم البيت والحديقة. عيني وقعت على فأس متوسط الحجم على أحد الأرفف السفلية، وضعت السلة جانبا و جلست القرفصاء أمام الأدوات المعروضة، أذني ترن وأنا أمسك بالمقبض، ألتقط الفأس، ثقيلة في يدي، إنها متينة على صغر حجمها، لم أمسك فأساً من قبل. ولكن المقبض البلاستيكي

المبطن يبدو مألوفاً وطبيعياً، كيف يمكن أن يكون هذا؟ أميل إلى الأمام واقراً ما تقوله العلامة المثبتة على الرف، «متعدد الوظائف، حديد صلب، ضمان مدى الحياة» أغمضت عيني للحظة، ثم لمست نصل الفأس بأناملي، شعرت أنني رأيت أو ذكرى ما بعيدة تحاول أن تطل داخل عقلي، أنا لا أتذكر، صدى مألوف بدا لي. في أسوأ السيناريوهات هذا النوع من العصف الذهني يمكن أن يكون له عواقب وخيمة، رميت الفأس بعيداً، ما الذي حذرتني منه الطبية النفسية الشقراء؟، ما الذي حدث لي، وصلت الى نقطه لا أستطيع فيها التحكم في نفسي، أو فيما سأفعله؟ أعطى عيناى وأتأرجح في يأس فاقدة الأمل ذهاباً وإياباً وأنا منحنية على أرضية محل البقالة.

ظروف غير متوقعة حدثت وقت مجيئها في الليل، الشخص الذي مكث و الشخص الذي غادر و الآن... ما الذي أحاول أن أقوله لنفسي الآن ؟ هل هذه الظروف الغامضة وراء اختفائها؟ أخذت يدي بعيداً عن عيني و مرة ثانية حدقت النظر في الشيء الذي أمامي، يجب

عليّ أن أكون واقعية مرة أخرى، وصلت إلى الفأس. أنا اقترب من مخرج الطريق السريع لمارهم عندما رن هاتفي فجأة، «كاتينكا»، على ما أعتقد، لم أرد على رسالتها، هي تتصل لمعرفة ما إذا كنت بخير، أتذكر ما قالته أُمي في ذلك اليوم عندما كانوا مفقودين، عندما كنت لا أزال أتلقى مكالماتها. «كاتينكا» قلقة عليك، وتشعر بالتوتر، سحبت هاتفي ولكنه ليس رقم «كاتينكا» الذي على الشاشة، يدي الأخرى تهتز، لدرجة أن السيارة انحرفت عن الممر، صرخت قبل أن أستعيد السيطرة مرة أخرى إلى الأمام، رأيت تحويلة على الطريق، منطقة انتظار الحافلات التي تسافر على الطريق السريع ذهاباً وعودة إلى البلدة، ألقيت نظرة خاطفة في مرآة الرؤية الخلفية.

على مرمى البصر لا توجد حافلة واحدة، أمسك عجلة القيادة بيدي الاثنين، فرملت السيارة بصعوبة بالغة، هاتفي مازال يرن، وأنا أصدق النظر فيه بعين جامحة، أنه ليس رقم «كاتينكا»، لا توجد أرقام على الشاشة مجرد اسم مالوف جداً همست «أليكس»، يداي



التقطت الهاتف، جلد راحة يدي يؤلمني إنه الجرح من ذلك اليوم، الجرح الذي تسبب فيه قرطي، قبل أن أضغط على زر الإجابة نظرت إلى الأكياس البلاستيكية على المقعد الخلفي، الأكياس تحتوي على البقالة التي اشتريتها، الزبادي والفاكهة والخبز والفأس. الآداة متعددة الوظائف ذات النصل الفولاذي ومع ضمان مدى الحياة.

أخذت نفساً عميقاً وأنا أحاول دون جدوى أن أجعل صوتي يبدو طبيعياً. «مرحبا» أليكس أين أنت؟ ما الذي حدث؟

اسمع صوت احتكاك على الطرف الآخر.

صرخت مرة أخرى «مرحبا» بقوة أكبر هذه المرة. هل تسمعني؟

لا يوجد جواب. كل ما أسمعه هو صوت متسرع، ثم صمت تام، أخذت الهاتف من على أذني وحدثت فيه،

حاولت مرة ثانية، وأنا أصرخ باسم «أليكس» أعلى وأعلى، لكنّ الاتصال قطع، لا يوجد هناك أحد.

(26)

الظلام يعم المكان، الجزء الأخير من قوتي تسرب مني؛
 لم يبق هناك شيء، لا يوجد شيء ليرفعني، لا أستطيع
 النهوض، لا أستطيع فعل أي شيء، كل ما أستطيع
 فعله هنا هو أن أظل في الظلام، وإلقاء نظرة من
 حولي، الأمر كله مألوف تماماً، إلا أنه يبدو مختلفاً.

متغير، مدمر. اسمع صوتك، وإذا قمت بجهد بسيط،
 فيمكنني رؤيتك في ذهني صورة وجهك و جسمك و
 لكنني لا أستطيع أن أخترق وعيك، ومعرفة من أنت.

ما الأفكار التي تدور في عقلك الآن؟ هل أنت مشتت،
 وحيد، هل تعتقد أن الأمور سوف تتحسن؟ إن كل
 شيء سوف يكون على ما يرام ويسير بشكل جيد في
 نهاية الأمر؟ هل فكرت في حتى ولو مرة؟ أجب!

كيف لي أن أذهب؟ ما الذي أستطيع فعله؟ بدوني،
 أنت لا شيء. كلمات تعرضني للخطر والإذلال
 وتجعلني أنكمش، أتقلص وأقوي، لكن الآن.. أشعر



بشيء في جسدي، أشعر أنه ينمو ويقترّب، يتهياً
 للاستعداد للخروج، سوف أستيقظ، سأقف منتصبه
 بصرامة، سأترك ما كان، واضع كل شيء خلفي،
 المستقبل ينتظر، إنها تنتظر.

قريباً سوف ينمو الضوء. قريباً سوف أذهب لمقابلتها
 وسوف تترك وحدك في الظل. الظل الذي ربما
 يبتلعك تماماً.

(27)

أين المفتاح. ربما أكون حشرته داخل الحقيبة بالأسفل،
يجب على أن أضع أكياس البقالة لأبحث بشكل
صحيح، الجزء العلوي لوحدة من الأكياس مفتوحاً،
وأرى المقبض الأسود للفأس الذي اشتريته للتو. و
بعدها تذكرت. المفتاح ليس في حقيبتى. أنا فقط كنت
أعتقد إنه كان بداخلها.

هنا في «مارهم» الروتينيات تختلف، عندما أقف مرة
أخرى أمام الباب، مددت يدي إلى أسفل الدواسة
لأحصل على المفتاح من مكانه، شعرت بعدها بحرقان
في ظهري، شعور قوي أشعر به ينتشر في كامل أنحاء
جسدي، هل أنا أتخيل الأشياء فقط؟ أم أن صوت
الأغصان ينقر في مكان ما وراء شجر «الأربوفيتي»،
أمام الكابينة، هل من أحد هنا؟ بدأت في الارتعاش
وسقط المفتاح.

خطوت إلى الورا، وضعت المفتاح في القفل وأدرته،
لكن الباب لم يفتح. حاولت مرتين أخريين، أمسك



مقبض الباب وأسحبه نحوي، لكن لاشيء يحدث.
مازال مغلقاً، على الرغم من أنني فتحتة للتو، أو هل أنا
فعلت؟ بأيدي مرتجفة، أحاول مرة ثانية. وضعت
المفتاح في القفل، وأدرته، ثم ضغطت لأسفل على
المقبض الآن يفتح بسهولة.

بسرعة، أغلقت الباب خلفي، ووقفت في المدخل
لحظة، ملت على الجدار، كنت ألث، هل كان الباب
مغلقاً؟ أم هل نسيت أن أغلقه؟.. أنا لا أعرف، هل
أغلقتة قبل غن أتجه لمخزن البقالة، على الرغم من
عدم وجود ذاكرة واضحة لفعل هذا، ولكن كم مرة
يتذكر أي شخص تلك الأشياء التي يفعلها قليلاً أو
كثيراً بشكل تلقائي؟

كان هناك شخص ما، إذا كان الأمر كذلك، من يمكن أن
يكون؟ هل هو «جورما»؟ مرة أخرى أشعر بأن هناك
غصة في حلقي، ربما لم يكن «جورما» من يتجسس
علي من خلال الشجيرات، ولكن ربما كان بعض أتباعه،
ربما وجدوا الكابينة؟ ربما لم يجدوا شيئاً أفضل من أن
يتجولوا في الخارج، غير مباينين أو حريصين، في



انتظار حدوث شيء ما. احدث في الباب الأمامي المغلق. في هذه الحالة، أعتقد، أنهم سوف يحصلون على ما يتمنوه قريباً، شيء ما على وشك الحدوث. لساني يلتصق بسقف فمي وأنا اتجه إلى المطبخ بأكياس البقالة.

قمت بترتيب كل شيء في الثلاجة والخزائن، باستثناء الفأس التي تركتها في الكيس، أظاهر أنني لم أراها. الخيار الآخر هو أنني تظاهرت بأنها مخصصة لأعمال الفناء. بداخلي أريد التمسك بالاعتقاد بأنني نفس الشخص الذي كان قبل القدوم إلى «مارهم»، شخص لم يفكر طيلة حياته أن يشتري فأساً، ناهيك عن اعتبارها سلاحاً.

إنها فترة ما بعد الظهر بالفعل، شعرت بالجوع، لكن ليس لدي أي شهية، ولا يمكنني أن أتناول الطعام في سلام، لذلك قمت بعمل كوبين من العصير، ورحت أشربه على منضدة المطبخ، شعرت بآلام في ظهري للمرة الثانية، رحت أتحرك ببطء، عندما لاحظتها. الدمية. تم دفع خمسة من كراسي المطبخ الستة تحت

الطاولة، وكان السادس مسحوبا وعليه تجلس دمية «سميلا» الكبيرة بعيونها التي تفتح وتغلق. كانت ذراعيها السمينتان مرفوعتان فوق رأسها، تحقق بعينيها الزرقاوتين في وجهي. وأنا أمسك بالكوب في يدي، وراحت نبضات قلبي تتسارع مرة أخرى.

هل كانت جالسة هنا هذا الصباح؟ أو بالأمس؟ أيقظني رنين هاتف المفاجيء.

ركضت إلى الداخل على أرجل مرتعشة، إلى حيث حقيبتني، وقفت هناك والهاتف في يدي، رحت أحقق النظر إلى الشاشة. نفس الاسم كما كان من قبل، كان الهاتف عليه طبقة ملاء من العرق وأنا أقرب به إلى أذني.

«أليكس» هل هذا أنت؟

و لكن هذه المرة أيضا لا يوجد أحد على الهاتف، على الأقل لا أحد يرد. بعد الصراخ باسم «أليكس» عدة

مرات والاستماع فقط إلى صدى صوتي، أنهيت
المكالمة.

اهتززت، نظرت إلى نفسي مرة أخرى في مرآة القاعة.
يتشتت ذهني، أحاول ألا أنهار، أتذكر صوت الإطارات
والصراخ العالي خارج الكابينة في أول ليلة لنا هنا.
وعند عودتي للكابينة بعد اختفاء «أليكس وسميلا»،
لم أستطع إيجاد هاتفي و كيف ظهر أخيرا مغطى
بدقة على جانب «أليكس» من الفراش، أفكر في
المشكلة التي واجهتها عند فتح الباب الأمامي،
واحتمالية أنه كان مفتوحا طوال اليوم، ثم أفكر في
دمية «سميلا» في المطبخ، وعيونها المفتوحة
المحدقة دائما، فمها الصغير على هيئة صرخة صامتة،
وذراعيها تصل إلى التعبير وكأنها تطلق نداء استغاثة،
أترنح باتجاه الفراش، مدركة أنني في حاجة إلى
الاستلقاء، عندما وصلت إلى باب المدخل وقعت
عيوني على حمالة الصدر الحمراء اللون، والتي لاتزال
معلقة على الكرسي، توقفت.

لقد اشتريت تلك الصدرية عندما طلب مني أليكس ذلك، بما أننا سوف نذهب إلى مارهم معا لأيام قليلة، كانت ملاحظة صغيرة ولكنني تمكنت من الحصول على بضعة أيام.

في وقت الغداء، ركضت لشراء ملابس داخلية جديدة. ليس فقط لأنني أردت ذلك أو كنت أريد شراء شيء جديد، و لكنني أحسست أنه كان يتوقع ذلك مني، أيضا اشتريت رباطة عنق «لأليكس» من الحرير الأسود، أعطيتها له عندما جاء متأخرا تلك الليلة، ظل يحدق النظر فيها لمدة طويلة و تركها بلطف وحنان تنزلق من بين أصابعه، «سأخذها إلى الكابينة»، قالها أخيرا.

تناولنا العشاء، و بعد ذلك داعبني بفتور، ونمنا بشكل عنيف، أرهقني أليكس جدا، كنت أتسائل داخلي: من أنت حقا؟ ثم انتهى الأمر بعد ذلك، كان تنفس «أليكس» حار في أذني عندما همس حول الخط الرفيع بين الألم و المتعة، قال لي أنه يريدنا أن نكتشف ذلك مجددا، بعد بضعة أيام كنت، في العيادة،

أرتدي السراويل الطويلة وأتحدث عن كيف شعرت بتعب لا يمكن تفسيره، بعدها سمعت الأخبار التي غيرت كل شيء، الأسبوع التاسع، هل حقا لا يوجد لديك أي فكرة؟ عالمي انقلب رأسا على عقب، لم أكن أعرف ماذا أفعل، لم أتخذ أي قرارات أو إجراءات، والآن جاء اليوم الذي سنذهب فيه إلى مارهم.

لا أستطيع تمالك نفسي لكي أذهب إلى غرفه النوم، هذه الصدرية الحمقاء قادت أفكاري إلى ربطة العنق السوداء، إلى ما يشبه الإغماء بسبب النفور، أين هي الآن؟ لم أرها منذ ليلتنا الأولى هنا، ولكن يجب أن تكون في مكان ما معلقه او ملفوفه بدقه، احتمال ان تكون في غرفه النوم في خزانة ملابس «أليكس»، تعثرت و تحولت الى غرفه «سميلا»، اللعب مبعثره في كل مكان، كل شئ يذكرني بالفتاه التي نامت ولعبت في هذه الغرفه منذ عهد قريب، ولكن عندما تمددت على سريرها ودفنت رأسي في وسادتها، لم أعد أشم شذى شعرها الجذاب بحلاوته ودفئه.



إنها بعيدة جدا عن هنا الآن، أنا أسفة، أنا أسفة لأن الأمر تطور كذلك. أتذكر صورة الأرجل الشاحبة المخبأة بين الشجيرات، ولكنني أدفعها بعيداً وأحاول تبديلها بصورة مختلفة.

الآن «سميلا» تطفو على سطح عقلي، كانت تطير في المطبخ بين ذراعي «أليكس» القويتان، أجلسها على الكرسي بجواري، وتنظر إليه بكل حب وهو يقوم بإعداد الفطور، إنه أول صباح لنا سوياً، لها ولي، وإن كنت أعرف ذلك مسبقاً، لكنني تصرفت بشكل آخر، أم أن اختار خيارات أخرى، ماذا اعتقدت «سميلا» في وجودي معهم على مائدة الإفطار؟ هل رأت العلامة الحمراء التي ظهرت على رقبتني وتتساءل ما هي؟ أو أنها مازالت صغيرة لتفهم تلك الأشياء؟ وهي أصغر من أن تصل إلى أي استنتاجات عن والدها وهذه المرأة الغريبة التي ترتدي قميص نوم؟ استدرت و نظرت إلى العين الوحيدة الموجودة في دمية الدب الخاصة «بسميلا» المستلقية مقابل الحائط، في الحقيقة، أنني لست متأكدة من أنها رأتنني. أعني، كانت تدرك أنني

كنت أجلس هناك. لكنها لم ترني، ليس حقا، كانت مغطاة بشيء آخر، كل شيء كانت تنطق به في ذلك الصباح كان عن نفسها و«أليكس». «سميلا» و بابا، كان حبها له واضحا وملموسا، بينما كنت أجلس على الجانب الآخر من الطاولة أراها تنظر إليه بتأمل واضح في عيونها، شعرت بالغيرة تنمو بقوة في داخلي. ليس فقط الغيرة ولكن بالتجاهل، وفقدان القيمة أيضا، القرار الذي اتخذته أثناء الليل تدعم تماما، فبمجرد انتهاءنا من تناول الطعام، أخذت «أليكس» جانبا وأخبرته. كنت قد اتخذت قراري، كنت على وشك تركه. ربّت على خدي ولكن ليس بغضب أو بعنف. ولكن بحيرة، «لا، قال. لا لن تفعلي ذلك» ثم تركني هناك، جسدي ثقيل، لأنني فهمت ما تعنيه كلماته. اعتقدت أن الجزء الصعب هو ترك «أليكس»، وبمجرد اتخاذ القرار سيكون الباقي سهلاً تماماً.

ثم أدركت بعدها كيف تمكن أليكس من نسج شباكه حولي ببراعة وإحكام، كنت واقعة في شرك من



الخيوط الملتفة حولي بقوة، وأيقنت أن ما أريده كان مستحيلاً.

لا أستطيع ترك «أليكس». لن يسمح بذلك أبداً، لأنه ببساطة هو الشخص الذي يمسك بمقود وزمام علاقتنا، وإذا حاولت المغادرة سوف يأتي ورائي ويسترجعني. كان يعرف أين أعمل، وأين أسكن، يعرف كل شيء عن حياتي، كان حياتي نفسها، ويجب علي أن أجد وسائل أخرى، طريقة أخرى للخروج . ولكن كيف؟.

استيقظت وفردت اللحاف على فراش «سميلا»، كما لو أن هناك شخصاً سينام على الفراش هذه الليلة، كما لو كنت أملك اليقين بأنها ستعود ثانية، عندما أنظر للأعلى، تنجذب عيناى إلى النافذة، ألمح شيئاً يتحرك على الجانب الآخر من لوح زجاج النافذة، وعندما خطوت قليلاً نحوها وسحبت الستارة، «غزال» أخبرت نفسي هذه المرة لابد أن يكون «غزال».

(28)

كان الجو مظلمًا، عندما أيقظني صوت رنين الهاتف المزعج من نومي، من الذي يتصل بي في منتصف الليل؟ أتساءل بغموض وحيرة.

في اليوم التالي، استيقظت تمامًا، وأمسكت بالهاتف مرة ثانية إنه اسم «أليكس» على الشاشة. ومرة ثانية لا يوجد إلا الصمت على الجانب الآخر. صحت أكثر من «مرحبا» و لكن لا أحد يجيب.

إما أن الشخص الموجود على الهاتف لا يستطيع أن يتكلم أو أن المكالمة لا تهدف إلى نقل رسالة بالكلمات. ربما يكون لها معنى آخر. صرخة استغاثة. أو تهديد. كيف يفترض بي معرفة أيهما؟ شعور خاطف يزداد بداخلي، جنبًا إلى جنب مع شعور آخر قوي ومُلح .

«اذهب إلى الجحيم»! رفعت صوتي في الهاتف قبل أن أقوم بإنهاء المكالمه فجأة. أنا مندهشة من قوة

غضبي وإحباطي و لكن بعد ذلك قلّ غضبي، وحلّ
محله الشعور بالذنب.

مرة ثانية أتصور تلك الساقين الشاحبتين واللتين
تخرجان من الأدغال و أتخيل جسم الفتاة الخالي من
الحياة تحت أوراق الشجر.

هذه المرة ليس من السهل التخلص من صورة
«سميلا». بتلقائية مددت يدي وأدرتها على اللحاف،
لأبحث عن جسد القط «تيريث» الناعم الملمس،
أحتاجه بالقرب مني، أحتاج إلى العزاء الذي لا يمكن
أن يقدمه لي سوى كائن حي آخر، و لكن لا يوجد قط
مستلق على الفراش.

سرعان ما دفعتني خيبة أمني إلى شيء آخر، شيء
أكثر سوادا، متى كانت آخر مرة رأيت فيها «تيريث»؟،
عادت بي ذاكرتي إلى اللحظة التي دخلت فيها بعد
الزيارة الفاشلة لقسم الشرطة.



أتصور «تيريث» وهو يلحق جرح كف يدي، ثم... ثم رميته خارجا. كان فعلا عنيفا، ناتج عن كره مفاجيء لهذا الاسم . أنا لم أره منذ ذلك الحين. كنت مشغولة بأشياء أخرى، بالكاد كنت أعطى «تيريث» اهتمام. وهو يتجول في الخارج، وحيداً في مواجهة المخاطر التي تحيط بمارهم.

قفزت من الفراش بعد مهاجمة نوبة الغثيان لي مثل حيوان غاضب، قذفت ما في بطني بالحمام في الوقت المناسب، مائلة على حوض المرحاض، طردت القليل مما تبقى في بطني، أنا لم أكل أي شيء على مدار الأيام القليلة الماضية، فقط القليل من الزبادي و الخبز المحمص، الحرقان في صدري يزداد، أضع يدي على معدتي و أضغط برفق.

«علينا أن نذهب و نبحث عن قط أختك»، نعم أحتاج للعثور على «تيريث» حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله.

ارتديت سترة وسروالا واسع، هواء الليل بارد. ومن يدري كم من الوقت سأكون في الخارج ؟ أنا لا أنوى

أن أستسلم حتى أعثر على صديقي القط صاحب اللونين الأبيض والأسود، لن أعود حتى يكون بين ذراعي في أمان.

في خزانة القاعة عثرت على معطف من المشمع إنه رمادي بخطوط طولية بالوردي، وضعته على رأسي، أحاول ألا أفكر من هو صاحبه؟ الحقيقة ربما يخصها. أقف هناك في الضوء الخافت، أصدق النظر لأرى إنعكاس هيئتي في المرآة. كنت شاحبة وبدون مكياج. أرتدي ملابس عادية وبعيدة كل البعد أن تكون جذابة.

امرأة مختلفة تماما عن التي حضرت منذ يومين. ولكن هذا هو كل ما تبقى، هذا هو الشخص الذي أصبحت عليه.

هناك خط مستمر يمر عبر الزمن، منذ تلك الليلة عندما سقط والدي من النافذة في الطابق التاسع حتى اللحظة، إلى أن اختفى «أليكس و سميلا» على الجزيرة.

إنه ليس خطأ مستقيماً إنه يلتوي ويدور إلى أن اتخذ شكل الدائرة، وأنا أقف في المكان حيث تلتقي فيه كل الأطراف، الشخص الذي كلمته، الشخص الذي خرج من الظلال، والذي عاد إلى الظلال. كنت في منتصف الطريق خارج الباب عندما أدركت أنني أفتقد شيئاً ما، بدون أن أخلع حذائي دخلت إلى المطبخ والتقطت الكيس البلاستيكي من على الأرض، الفأس تبرز من خارج الكيس، أمسكت بالمقبض الأسود بكلتا يدي ورفعتها أمام جسدي. وأثناء مروري من خلال المدخل مرة أخرى، رميت نظرة أخرى في المرأة، لم أكن على استعداد أن أرى نفسي، أبدو خرقاء، و لكن لدي قبضة ثابتة على الفأس. أمسكها بعزيمة كبيرة بدا لي منها أنني فعلت ذلك من قبل .

خرجت من البيت ولا أعرف إلى أين اتجه. أمشي بدون أن أفكر في المكان الذي أضع فيه قدمي أو ما حولي إلا عندما ارتطمت الأغصان في وجنتي عندها أدركت أنني في الغابة، وليس بالقرب من البحيرة، ولا على طريق الغابة ولكن في عمق الأشجار، لا تزال

مظلمة هنا على الرغم من أن السماء ممزوجة باللون
الوردي والأصفر، استمع صوت في مكان ما خلفي،
التفت و دورت حوله «تيريث» .

و لكنني لم أسمع أي مواء، ولا يوجد أي شيء أبيض
وأسود يتقدم نحوي بين الأشجار. على مستوى واحد،
أدركت أنه من الخطأ أن أكون هنا، لن أجد قطا في
وسط الغابة، في الوقت نفسه، كل ما يمكنني التفكير
به هو الشعور بالذنب تجاه «سميلا» حول ما تعرضت
له بسببي، كيف أصبحت ضحية بريئة بسببي. الغثيان
يتماوج في أمعائي مرة أخرى مثل قبضة مشدودة،
لكنني أرفض الإستسلام، العثور على «تيريث» هو أقل
ما يمكنني القيام به.

«هنا كيتي كيتي تيريث»!

ذهبت إلى مكان ثم إلى آخر - أولا إلى الأمام، ثم
العودة إلى الوراء ومحافظة على عيوني ثابتة على
الأرض. أين يمكن أن يكون؟ أين يمكن للقط أن



يذهب؟ هزرت رأسي ماذا لو كان «أليكس» سمح لي بالرحيل بحرية مطلقة؟.

هل كل شيء اتضح وانكشف بشكل مختلف؟ هذا شيء لن أفعله أبدا؟ فرع شجرة كبير اهتز إلى الورااء وصفعني مباشرة على وجهي، الألم أرسل شرارت متطايرة إلى عقلي، عندما وضحت الرؤية، كان الفأس ملقى على الأرض، ملت إلى أسفل و التقطه، وجنتي تلسعني، وأنا أزيل شيء لزج جعل راحة يدي حمراء، نفس اليد التي طُعت بالقرط قبل ذلك.

نظرت باندهاش إلى البشرة الرقيقة ذات اللون الوردي الفاتح التي لصقت علي، لا يوجد دم، هل هو تعافي؟ منذ متى كان بالفعل مقطوع؟ يبدو أنه حدث الآن، و لكن هل كان هذا بالأمس؟ أو حتي باليوم السابق؟ هل كان قبل أو بعد البئر؟ البئر؟ نعم، البئر خارج الجزيرة، لا يوجد بئر على الجزيرة. ثم ما الذي تصور لي عندما حدقت في مياه بحيرة الخبث؟ لا، لم يتكيء على أي بئر. هل أنا أصبت نفسي بالقرط قبل أو بعد أن دفعته من كتفه بيدي؟



في كل مرة فكرة واضحة تكون على وشك التشكل في ذهني ولكن تتبخر تماماً في مكان ما بداخلي، صوت يصيح كما لو كان في احتجاج، و لكنه بعيد جداً ولا أستطيع أن أقول إن كان حقيقياً أم خيالياً. أنا أتحمس كما لو كنت عمياء، سواء هنا بين الأشجار أو داخل وعيي، الشيء الوحيد المتبقي هو الإحساس بأنني أبحث عن شيء ما . أحتاج للعثور عليه. شيئاً ما أو شخص ما.

أركض خلال الأشجار، أدفع جسدي إلى الحد الأقصى للجري، أمسك بالفأس وكأنه درع لي للاحتجاج ضد الشر. الصوت الوحيد الذي أسمعه الآن هو خشخشة المعطف المشمعي الذي أرتديه، و تنفسي الخشن، لا أعرف ما المدة التي قضيتها هنا، أو ما هو الاتجاه الذي أسلكه، ربما أذهب في دوائر. أخيراً، أرى ضوءاً بين جذوع الأشجار، والوحش السائر بداخلي يهدأ تدريجياً، توقفت لالتقاط أنفاسي، العالم يبدو واضحاً الآن فيما يتعلق بالتفاصيل الملموسة، ليس هناك ما يشير إلى «تيريث». ولا «أليكس وسميلا» بالطبع.

ينعكس الضوء على النصل مثل قشور السمك تحت الماء. ولكن كل مرة أمدُّ يدي ينزلق من قبضتي كما تنزلق السمكة.

لا أسمح لنفسي أن استريح دون إتمام تجوالي. كان الهدف منه هو العثور على سميلًا، أن أعثر على أليكس.

فقط إذا تمكنت من العثور عليه، سوف ينتهي الأمر في النهاية. يتقطر العرق أسفل وجهي وظهري. ولكن الشعور كونك الشخص الوحيد الذي يبحث، يتم استبداله بشكل متزايد كونك مستهدف، خطوات صامتة تزحف ورائي، شيء ينزلق خلف جزع الشجرة، عندما التفتُّ حوله. ربما يعود «أليكس» للانتقام؟ الثأر؟ من ماذا؟

مرة ثانية الأفكار تدور بطريقة عشوائية في ذهني بدون معنى. أو اتجاه أو هدف. إنها تنكسر. كل الأسباب تتهاوي، أنا أرى ما يحدث، لكنني عاجزة عن التصرف. اهتزاز ضعيف يرعش فخذي يقودني إلى

التوقف بالرغم من ذلك لا أسمع أي صوت، أضع الهاتف في جيب البنطلون، و لكن دون أن أترك الفأس، هاتفي الخلوي، رابطتي الوحيد بالواقع، إلى العالم الخارجي.

كانت هناك رسالة جديدة من «كاتينكا» تكتب أنها في طريقها إلى البيت بعد الحفل وتتساءل لماذا لم أرد على رسالتها الأخيرة. عباراتها المفككة وصياغة الجمل الفوضوية تشير إليّ أنها في حالة سُكرٍ.

يصدر الهاتف صفيرا مرة أخرى، ثم مرة أخرى «كاتينكا » ترسل المزيد من الرسائل واحدة تلو الأخرى، أنا أتصفح بفتور تقاريرها عن رجال لطاف، وألم في القدم، أنا على وشك وضع الهاتف مرة أخرى في جيبتي، عندما وصلتني رسالة من أمي على ما يبدو أن أمي حاولت أن تلتقيني في العمل مرة أخرى على الرغم من أنها تعرف أنني لست هناك .

مضطربة، كانت تريد أن تعرف أين كنت. حاولت أن تجدني، كنت أعلم، هل «كاتينكا» طائشة لدرجة أنني لم أقل لها إلى أين أنا و«أليكس» كنا ذاهبين في تلك



العُطلة، ؟ سألتها أُمي أين أنا ولكنها لم تستطع أن تقول لها لأنها لا تعرف، في الحقيقة ليس لدي فكرة.

لقد فقدت السيطرة على فك رموز تلك الأنواع من الإشارات العادية منذ فترة طويلة، أو ربما لم تكن لدي أبدا، يجب عليك أن ترى شخص ما، ربما يجب عليك رؤية طبيب في العيادة.

لقد حدثت أشياء كثيرة منذ ذلك اليوم عندما لاحظت «كاتينكا» أنني أعاني من مشاكل في المشي بسبب فخذي. هناك الكثير من الأفكار والأفعال بين هذا اليوم وذاك.

لدي رغبة قوية في إرسال رسالة نصية، أخبرها فيها أنني حامل. إنها لا تعرف حتى ذلك، أقف لدقيقة وأصابني تحوم حول لوحة المفاتيح على الشاشة التي أمامي، ولكن لا يوجد أي رد معقول يتبادر إلى ذهني.

عاودت السير مرة أخرى ووضعت هاتفي مرة ثانية في جيبتي، هل يمكن لنا أن نكون أصدقاء حقيقيين،

كاتينكا وأنا ؟، اخترت عدم التفكير في ذلك. حتى الآن، ما الذي حكم علاقتي بـ«كاتينكا» - كما هو الحال مع جميع معارفي قبلها - هي فكرة ماما و أفضل صديقة كانت لديها في وقت ما، لن تكون أبدا مثل ماما و«روث»، لا أستطيع المخاطرة بالاقتراب، أتوقف على حافة منخفض في الأرض، أدور حولها وأكمل سيري، يستحضر ذهني أحداثا وقعت من فترة طويلة، أتذكر كيف تلاعبت الأمور وكيف سارت خلال الفترة الدرامية الأخيرة بين ماما و «روث». بدأت الحادثة برحلة فاشلة لرؤية جدة أُمي وانتهت بسقوط بابا من نافذة غرفة النوم. على الرغم من أن الرحلة انتهت بالفعل قبل عدة شهور، بصفعة.

أنا مستغرقة في افكاري لدرجة إنني في البداية كنت لا أرى شيء تحت قدمي، ثم ينتقل نظري إلى أسفل، مثبتا على شيء شائك ذو لون بني .

تم تثبيت اثنان من العصي معاً على هيئة رمز قديم، حددت النظر في الرمز للحظة قبل أن أدرك ما يوجد في داخله. صليب، ولكن لماذا ...؟ تراجعت خطوة

للوراء، أحاول تمرير شعاع بصري بصعوبة وجهد، أولاً على الصليب الخشبي الصغير، ثم إلى تلة من الأرض أمامه، تغمرني موجة من الصقيع، تجرف كل شيء آخر. تاركة وراءها المعلومة الوحيدة التي تشير أن هذا ليس مجرد شيء مخبأ، إنه قبر .

سمعت حفيفاً قريباً جداً، وهذه المرة أنا متأكدة تماماً، أنا على يقين أن هناك شخص ما يقف ورائي، استدرت مع الحفاظ على قبضتي محكمة على الفأس.

(29)

قبل أن نغلق الشقة ونلتقط حقائبنا ونغادر إلى بيت الجدة، كان آخر شيء فعلته ماما هو الاتصال بـ «روث»، كانت تجلس في الحجرة التي كانت تتقاسمها مع أبي، ظهرها إلى الباب، كانت على التليفون لفترة طويلة تتكلم بصوت منخفض على الرغم من أنها في الأغلب كانت تستمع، كالعادة. من حين لآخر كانت تهمهم بملاحظات مختصرة، والتي تبدو في الأساس أنها تؤكد على كلمات «روث» الحكيمة. «نعم، أنا حقا بحاجة إلى هذا. لا بد لي من الابتعاد، في محاولة لأرتاح قليلا، الحصول على بعض المسافة من ... حسناً، كم كل شيء»

انتظرت في القاعة الأمامية، نفذ صبري وكنت متلهفة على الذهاب، كانت العطلة الصيفية قد بدأت للتو، و كنت أشتاق لرؤية جدتي وأن أبتعد عن الحياة الخائقة مع والدي ووالدتي. كنت أتطلع إلى لفائف الفانيليا والهدوء في شقتها.



في الآونة الأخيرة كان أبي و أمي يتشاجران أكثر من المعتاد، لقد بدأ يتجادلان بسبب مذكرة سقطت من جيب بنطلون أبي عندما كانت أمي تقوم بالغسيل. أو لأنه عاد إلى المنزل متأخراً، وطلبت أن تعرف أين كان كل هذا الوقت. لم يرد بابا على أسئلتها أو اعتذر عنها، فقط اكتفى بتوجيه بعض التعليقات الساخرة.

هذا ما سيجعل ماما تتعصب وسرعان ما تتطاول الاتهامات، سوف تقذف بأسماء سيدات مختلفة في الهواء، وفي كل مرة يتشاجران، اسمع اسم سيدة جديد يضاف إلى القائمة. إلا أن رد فعل والدي لم يختلف أبداً، وهو أن يسبها.

خلال ثواني تستسلم أمي وتنهزم، لا أستطيع أن أفهم أبدا سبب اختفاء غضبها في تلك اللحظة. لا أستطيع أن أعرف لماذا تستسلم على هذا النحو، و لكن هذا ما حدث. لقد كرست أمي حياتها لخدمة الآخرين، وأغلبهم من النساء، لكي يقفوا على أقدامهم ويواجهون الأزواج المخادعين المضللين، الذين كانوا أحيانا مؤذنين جسديا.

الناس الذين كانوا يعرفون أمي كانوا يصفونها بأنها قوية، ويمكن الاعتماد عليها، لكن أظهرت جانباً مختلفاً تماماً من نفسها في المنزل، لا أحد يعرف ذلك.

ماما تقدمت إلى الأمام و طرقت الباب بقليل من الصبر «ماما، ألسنا ذاهبون؟ هيا!» أخذنا الحافلة إلى المحطة، حيث سنستقل القطار إلى بيت الجدة، جلست ماما صامتة على المقعد المجاور لي، تحقق من نافذة الحافلة إلى المساحات الخضراء المترامية، حاولت التحدث معها في أمور مختلفة مثل آخر جولة لي بالدراجة أو برنامج تليفزيوني شاهدته، ولكنها لم تكن مهتمة فالتزمت الصمت.

في المحطة نظرت أمي وهي عابسة الوجه إلى قائمة الذهاب و العودة على متن اللوحة، تمتعت شيئاً عن التأخير لذا سحبنا حقائبنا إلى مقعد وجلسنا للانتظار. وأمضينا ما تبقى من الظهيرة منتظرين هناك، تم تأجيل قطارنا ثلاث مرات، وفي كل مرة تقف ماما للتعبير عن إحباطها و تعود إلى المقعد، أعتقد أن ذلك كان نفس أسلوبها عندما كانت تتشاجر مع أبي، لكنني

لم أقل ذلك بصوت عال. وأخيرا، تم الإعلان عن: لقد تم إلغاء رحلات جميع القطارات الجنوبية بسبب سقوط خط كهربائي، استرددنا أسعار التذاكر وعرض علينا الحجز على قطار من المغادرين في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

أثناء رجوعنا البيت مرة أخرى كنا صامتين تماما في الحافلة، بحلول الوقت أدخلت ماما المفتاح في القفل وفتحت الباب لشقتنا وبصعوبة قالت لي كلمة، وتساءلت عما إذا كانت تريد أن تأخذني معها لرؤية الجدة، على أي حال ربما فضلت أن تذهب وحدها، هذا ما كنت أفكر فيه ونحن ندخل إلى الصالة الأمامية ولكن بعد ذلك كان لدي أشياء أخرى لأفكر فيها.

لم يكن هناك إضاءة في الشقة، وفكرت في البداية، أن بابا لم يكن في المنزل. ولكن بعد ذلك سمعت صوت همس و ضحك، نظرت إلى أمي، واقفة أمامي، ورأيت جسدها يتصلب لقد سمعت ذلك أيضا .

«مرحبا؟» هل هناك أحد؟



ثم أن ماما فعلت شيئاً بخلاف ذلك، كنت صامتة تماماً كالعادة، أصرت أُمي أن كل شيء لطيف وأنيق، و لكنها الآن تسير دون أن تخلع حذاءها أعرف أن هناك شيء ما خاطيء، وصدى خطواتها يتردد على الأرضية الباركيه .

في الثانية التالية شيء أبيض يرفرف في الطرف الآخر من الشقة، جسد امرأة عاري جاء مسرعا من غرفة المعيشة يتجه إلى غرفة الاستحمام، تمكنت من رؤية خلفية كبيرة كما لو كان القمر مكتملا وأحدهم دخل في إطاره النوراني، قبل أن تختفي مع ماتبقى من المرأة، باب الحمام أغلق بعنف، و سمعته يغلق من الداخل، ماما وازنت كتفيها وتوقفت للحظة، ثم أكملت إلى غرفة المعيشة و بحثت فيها كنت لا أزال واقفة على الممسحة و لم أستطع رؤية ما رآته أُمي، و لكنني سمعت ما قالته. «أيها الوغد!»

أخذتني إلى بيت «روث»، كانت حقائبنا معبأة، سحبتهم أُمي معا عندما خرجنا من الشقة، لم يتبعنا أحد، ولم يتصل بنا أحد، كانت أُمي تجري على الرغم



من أنها تجر كلتا الحقيبتين، لقد تعبت من ركوب الحافلات، ناهيك عن الجلوس في محطة القطار طوال فترة الظهيرة، لذلك كان لدي صعوبة في الاستمرار، إلى جانب ذلك كنت، جائعة، توصلت إليها أن تبطيء عدة مرات، و لكنها لم تفعل.

بمجرد أن فتحت «روث» الباب، انفجرت ماما في البكاء، «روث» طلبت أن ندخل ولم يبد عليها الاندهاش من ردة فعل أمي، ربما مرت بهذا من قبل بمناسبة لم أكن فيها، قادتنا «روث» إلى المطبخ، أخرجت كرسيًا لماما ثم جلست بجوارها، بتردد نظرت في الشقة لأجد شيئًا يشغلني ولكنني لم أر سوى كتب، مفارش المائدة الكروشييه، والزهور المجففة، خطر في بالي أن «روث» تعيش بمفردها، من الواضح أنه لا يوجد لديها زوج أو أطفال يعيشون هنا. فقط «روث» وقطتان، لعبت مع القطط لفترة كافية، ثم عدت إلى المطبخ حيث كانتا أمي و روث يفرغان غسالة الصحون.



قالت ماما في يأس: «مازلت لا أفهم ذلك»، كيف يمكنه
؟ كيف بحق الجحيم؟»

قالتها وأعطت بعض الأطباق لروث التي وضعتها في
خزانة الأطباق، «روث» كانت تبدو صارمة بعض
الشيء، في الأغلب غير راضية، ربما فكرت أنه حان
الوقت لنا أن نتركها وحدها، شعرت فجأة أنني متعبة،
لم يكن جسدي فقط هو الذي كان منهكا، كل شيء كان
بداخلي مجهود بشكل قاس، لقد سئمت من سحبها لي
في كل مكان.

«ماما، أريد أن أعود للبيت»

لم تجب، بل إنها لم تستدر، فقط رفعت يديها وأشارت
لي بعيدا كما لو كانت تضرب حشرة بعنف وكما لو أن
حركتها قادرة على جعلني أضعف وأستسلم تماما،
لكنني لم أفكر بنفس الطريقة التي كنت أعيش بها من
قبل. الأمور تبدو مختلفة الآن.

حدقت النظر في ظهر أمي، إنني طفلتها، وكنت جائعة ومتعبة ولكنها لا تهتم على الإطلاق كررت «أريد أن أذهب إلي البيت الآن» لقد كررت مرارا وتكرارا حتى أصبحت أكثر إلحاحا. لم تستدر أيضا، مجرد أن تنظر من أعلى كتفها وتجعلني أعرف أننا سوف نمكث مدة أطول واستمرت في الكلام مع «روث»، لا أعرف ما الذي يتكلمون عنه، ولكن في هذه اللحظة شعرت بطعنة داخلي، كما لو أن أحدهم طعنني برمح حاد، ذهبت إلى أمي وانتزعت سترتها بعنف وأنا أصيح .

ضغطت «روث» على شفتيها معاً، على نحو محتمل، محاولة أن تبتسم، مع ارتعاش خافت مليء بالاتهامات في زوايا فمها.

«الآن الآن الآن!»

في النهاية نظرت أمي إلى، كان وجهها جامدا كالصخرة، تخلصت من قبضتي، اسمعيني «جريت» نحن سنمكث هنا إلى أن يحين الوقت للرحيل، هل تفهمين؟

ثم أدارت ظهرها لي مرة أخرى، أخرستني .

كان الوضع مألوفاً، ولكن هذه المرة لم يكن لدي النية للامتنال للهدوء، كنت سأجعل أمي تسمع لي.

المرة الأولى خرجت الكلمات خلسة، كانتا هادئتين جداً لدرجة أنني كنت أسمعهم بصعوبة، عندما قلت لهم مرة أخرى أنني بذلت مجهود كبير للتحدث.

كنت أشعر بالكلمات تنقذف إلى فمي فأردها بقوة، وسبتني أمي بشكل قاس.

كل شيء توقف حتى الوقت مع سبابها، وبدأت الكلمات وكأنها مازالت في الغرفة تحوم فوق رأسي، توقفت ماما و «روث» عن الكلام بشكل مفاجيء كما لو أن هناك شخص قد أغلق مفتاح الكهرباء، أو كأنه بالتصوير البطيء، استدارت أمي لي، رأيت يديها ترتفع، رأيتها تأتي نحوي، صفعت خدي فشبت في وجنتي آلاف الحرائق.

كل منا نحن الثلاثة يحدق النظر في الآخر، لا أحد منا قال كلمة . وضعت روث يدها على فمها، أخيرا انهارت أمي، سقطت على ركبتها أمامي، و أخذتني بين ذراعيها، كل هذا لم يأخذ سوى ثانيتين، ولكن بدا وكأنه دهر، قبل أن تبذل مجهودا لتضييق المسافه بيننا. تنبثق الكلمات منها بسرعة لدرجة أنني شعرت بالدوار، وأنا أسمعهم.

«جريت» حبيبتى أنا ذلك... لم أقصد، استدرت فقط ونظرت لها، عليك أن تفهمي أنني لا أقصد!

استمرت في الكلام بدون أن تعطيني فرصة للرد أو الاستجابة. بالطبع لم تقصد أن تضربني كانت مضطربة، وأنا كنت واقفة في طريق يديها.

كل ما في الأمر هو سوء تفاهم مؤسف، كان ذلك كل شيء. وهدأت بعد فترة.

ثم لاحت نظرة مختلفة في عينيها، أيضا نبرة صوتها كانت مختلفة،

«لكنني أعتقد أنه من الأفضل ألا يعلم أحد بما حدث»
كنت أعرف من الذي تقصده ماما . بالتأكيد بابا. وأنا لم
أكن إخباره.

كانت متلهفة إلى أن أقول أي شيء لأظهر لها أنني
فهمت، لذلك وعدتها أنني لن أبوح لأحد بما حدث في
مطبخ روث، استرخت قليلا. ثم تركتني ووقفت،
وابتعدت مرة أخرى.

في هذه اللحظة كان مصير والدي محتوماً، كان يملك
ثلاثة أشهر في حياته .. ثلاثة أشهر فقط.

(30)

الفتاة توقفت في مسارها، عيونها واسعة، وباندهاش حولت نظرتها إلى الفأس، ولكن فقط لثانية ثم تحولت نظراتها، وبدأت في النظر حولها، كما لو كانت تبحث عن شيء ما، إذا كان هناك شيء مازال موجوداً، أشاهدها عن قرب بينما هي تراقب الأرض.

الآن اكتشفت أن الصليب الخشبي الصغير عند قدمي ليس الوحيد من نوعه، على حافة الأرض يوجد الكثير من الصلبان.

وأمام كل واحد منهم تم حفر الأرض والمستنقع، ثم إعادتهم في موضعهم مرة ثانية. أنا في مقبرة الغابة.

يبدو أن الفتاة راضية عن تفتيشها وفحصها، يبدو ذلك من نظرة الارتياح على وجهها.

ثم قالت لي «لم تزعجهم».

أجبتها «المقابر؟» «لماذا يزعجهم؟»

نظرت إلي نظرة طويلة دون أن تجاوبني، أكاد أرى الارتباك في تعبيرها، ثم تغيرت مرة ثانية و ردت «إذن ماذا تفعلين هنا»؟ كانت لهجتها يبدو وكأنها أحد مالكي الأرض الذين يواجهون المعتدى على مملكاتهم.

قلت لها «إنني أبحث عن قطة»، وأنتِ ماذا تفعلين هنا ؟

استنكرت سؤالي، ورفضت أن تنظر في عيني، شعرها الطويل الباهت يرفرف على إثر النسيم، وأرى خصلاته الشقراء تظهر واضحة بين ثنايا الشعر الأسود، حتى في ضوء الفجر أستطيع أن أرى ذلك بدقة.

لا أستطيع التفكير في أنها يمكن أن تستخدم قصة شعر جديدة، بعض الملابس الجديدة، وربما القليل من «الماسكارا» وأيضا أحمر الشفاه اللامع، وهنا تذكرت ملابس الرثة، والطريقة التي كنت أصف بها شعري وأتجاهل غسل وجهي، بدون اهتمام، أشعر إنني عارية، عرضة للخطر، مكشوفة تماما.

من مكان ما في عقلي تتكون عبارة «أفضل دفاع هو هجوم جيد»..

ما الذي دفنتيه هنا تحديداً ؟

رمقتني الفتاة مرة أخرى من تلك النظرات الطويلة، كما لو أنها تقيمني. أعتقد أن رغبتني ستتواجد، ولا أتوقع منها الرد، ولكن هذه المرة فعلت.

«أنا متأكدة أنك تعرفين»

ثم تخطتني، أومضت عيني والتفت من حولي بصمت، أشاهدها تجثم إلى أسفل أمام القبر و تعدل الصليب، مما يجعله أكثر استقامة، كلماتها ترن في أذني. فجأة كل شيء يسقط في مكانه. الفتاة وأصدقائها المخيفين. السكين ذات النصل الملطخ بالدم التي عثرت عليها، المخلوق المشوه الذي كان ملقى بجانبها، و«السنجاب» أي من المقابر يخص السنجاب؟ أو إنك تركتيه على الجزيرة؟



ما تزال الفتاة تميل إلى الأمام و ظهرها لي، ولكن من أعلى كتفها أرى يدها تهز وهي تلمس الصليب، تمتمت لا، «لم أتركه هناك».

نهضت ووقفت وعيناها ثابتة على القبر بدون أن تتكلم، يكاد جسدها كله ينطق و يقول، هنا إذن هذا السنجاب المسكين، هنا في الأرض، أمامنا مباشرة، ابتلعت ريتي بصعوبة، سمحت لعيوني أن تمشط الصفوف الصغيرة من الصلبان .

قبر السنجاب هو الثاني، كانت هناك فكرة تتكون في ذهني، ولكنها تلاشت عندما بدأت الفتاة في التكلم.

«لقد صنعت الصلبان بنفسي، وأحيانا آتي إلى هنا.... أنظر إليهم، ولكن فقط إن لم يرني أحد. يكون غيابك في الغالب قبل بزوغ الفجر، كما هو الوقت الآن. لا أحد يستطيع أن يعرف. ستكون....»

صمتت، وأنا انتظر، كي أعطيها الوقت التي تحتاجه. لا أحد يستطيع أن يعرف. أدركت تلك التعويذة. أعلم أنه

لا أحد في العادة يشير إلى الغرباء، لكن إلى أقرب الناس إليه، أسرة، أصحاب، أحاباب .

«إنها مجرد حيوانات». هذا كل شيء. فقط فراء وأحشاء، لكن لازلت لا أستطيع المساعدة... لا أستطيع تركهم مستلقين هناك بعد ذلك. الموت أهون علي من فعل ذلك»

قالت الكلمات الأخيره بتركيز شديد، صوتها يرتعش ممزوجا بأحاسيس مكبوتة و لاحظت أن قبضاتها مشدودة، جزء مني يريدني أن أمد يدي وأضعها على كتفها، و لكنني لم أفعل. لماذا تفعلون ذلك أيها الفتية؟ ماالذي يجعلكم تعذبون وتقتلون حيوانا بريئا؟

قبل أن تتاح للفتاة فرصة الرد، سرى الضوء في رأسي، تخيلت تعبير «أليكس» الانفعالي، أرى العروق وهي تنتفخ في صدغه وهو يميل فوقي، أنا لا أرتدي شيء سوى ربطة العنق الحريرية ذات اللون الأسود، يميل عليّ ويعاملني بسادية أثناء الممارسة، أعترض كثيرا وأصرخ كثيرا، إلى أن تتوقف اعتراضاتي وشكواي،



حتى تحترق رئتاي ولا أستطع التنفس، ينظر إلى عيني ومن المؤكد أنه يدرك الرعب والهلع التي كنت أشعر به، يبتسم بعدها يسحب رابطة العنق قليلاً، «القوه» قلتها بصوت عالي، الإجابة على سؤالي الخاص، «الأمر كله يتعلق بالقوة».

استدارت الفتاة حولي و نظرت إلى في تعبير جامد الشعور.

ماذا تعرفين عن ذلك؟ ماذا تعرفين عن أي شيء ؟ في البداية، أنا تضايقت لكن غضبي تلاشى، و أدركت كم أنا مرهقة و متعبة و مستنزفة القوة، انزلق الفأس من بين يداي و سقط في المستنقع على قدمي مصدرا صوتا مكتوما.

تسير الفتاة بين القبور، و تقوم بعدل الصلبان و غرسها أكثر في مكانها إذا لزم الأمر، تستخدم أيديها لإزالة الصنوبر والأغصان المتساقطة، تشق طريقها على امتداد صف الصلبان الخشبية إلى أن وصلت في



النهاية عند القبر، الذي إلى جوار مكان الاستراحة النهائي للسنجاب. تقف هناك وتدير ظهرها لي.

سألتها «كيف لك أن تعرفي أين أعيش؟» تجاهلتنى ثم أجابت دون أن تستدير لي «ليس من الصعب معرفة ذلك، إنه من السهل معرفة أي المنازل فارغة وأيهما غير ذلك، وأنتِ قلت لنا أين كانت الكابينة.»

ماذا كنت تفعلين في ساحتي الليلة الأخيرة؟ لو لم تكوني هناك لمساعدتي.

لم تهتم بالرد على افتراضاتي. ولا حتى أن تشرح. خيم الصمت بيننا. ببطء، عاد إلي غضبي وحنقي، «قولي شيئاً! قولي لي لماذا كنت هناك؟»

مازالت لا ترد، هي غاضبة الآن تقدمت خطوتين إلى الأمام وأمسكت بذراعها وأجبرتها على الالتفاف، عندما رأيت وجهها الرقيق يتجدد، ظننت أنها كانت تبكي، ولكنني لم أر أي دموع. قالت بهدوء «أنا آسفة، أرجوك سامحيني» تغير وجهي وهزئت رأسي كتعبير أنني لا

أفهم ما تقصده، ما المفترض أن أسامحها عليه؟ ماذا فعلت؟

مدت يدها وبخفة لمست رأس الصليب الخشبي الذي أمامها، استدارت إلي مرة أخرى، ومنحتني نظرة طويلة، تسرع، اندفاع شديد بدا في أذني، الأرض تميد تحت قدمي، ومن زاوية عيني، انتبهت إلى جزع شجرة ساقط تمايلت فوقه، أمسكت بكلتا الصليب اليدين... القبر الجديد... ما الذي دفتيه هنا بالتحديد؟ أنا متأكدة من أنك تعرفين. نعم، أنا أدرك.

أنا أعلم، وهذا ما يدفعني إلى الصراخ. «سميلا» حبيبتي «سميلا» الصغيرة المحبوبة. أنا آسفة جدا.

(31)

الصراخ لا يكاد يخرج من حنجرتي، لا اتهامات أو رثاء،
ليس هناك صوت على الإطلاق. داخليا أجد صعوبة
في صياغة الملاحظات المناسبة، ولكن دون جدوى.
أخيراً، بعض الكلمات تنزلق من شفتي.

«لقد سألتني ما كنت أفعله هنا...»

أومأت الفتاة بهدوء. تحاول أن تملأ هذا السكون فقط،
تنتظرني أن أكمل .

«أخبرتكَ أنني أبحث عن قِطِّ»

أومأت مرة ثانية.

هل تحاولين أن تقولي لي ذلك.... أنك عثرتي على
القط خارج الكابينة وأخذتيه؟

«نعم فعلاً».

ذهني يبدو صافٍ ومعتَم في نفس الوقت،. «وثم....»

مرة أخرى، ترفض الفتاة أن تنتهي من جملتي.

وهذه المرة أتركها، رأيته تبسط يدها إلى أحدث صليب في الأرض، شاهدها تلمس الجزء العلوي من العصا. ثم انتقلت عيني إلى الأرض حيث تقف، وأتخيل جثة القط الأبيض في الأسود المدفونة تحت قدميها، تخيلت ما قد عاناه القط وتحمله .

قبل أن أنتهي هنا. أريد أن أنسى ما حدث، أريد أن أغلق عيني، ولكنني لا أجرو خوفا من مشاهدته الرؤى التي ستواجهني. جثث مذبوحة ترفرف في الريح مثل مراكب بأشرعة دموية، لا. صفعت و جهي بشدة، على الرغم من كل شيء، سقطت، نظرت إلي الفتاة نظرة جريئة يملؤها التحدي، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً.

«أنا لا أصدقك!» لم تتحرك للحظة، ثم أدخلت يديها بصمت في جيب البنطلون وأخرجت شيئاً. و مدت يدها نحوي القابضة على شيء ما نحوي، أخذت يدي ووضعت جسما وردياً رقيقاً ذا لون وردي على راحتي، إنه طوق «تيريث»، غشى بصري، أشعر كما لو أنني



أتقدم إلى الأمام على الرغم من أنني لازلت جالسة، كما لو كنت أسافر عبر ضباب غائم، هل يمكنني التحدث مرة أخرى.

قلت أن اسمه «تيريث»، إنه يخص فتاة تبلغ من العمر أربع سنوات، تحبة كثيراً، يبدو أنه من المهم أن تعرف هذه المراهقة الهزيلة، أن الحيوان الذي أسرته ووضعتة عمداً في أيد خبيثة شريرة، له اسم و هوية، إنه يخص شخصاً سوف ينكسر قلبه لو أدرك أنه لم يعد على قيد الحياة. ولكن يبدو أن هذا النوع من المعلومات لا يهم هنا، وهذا ما أدركته عندما نظرت إلى ملامح الفتاة والتي تشبه قناعاً من صخر، من المحتمل أنه يوجد أشياء مختلفة تزعجها.

أضفت نحن مرتبطين جميعاً بالدم. دمي. أنا لم أشرح ما يخص «تيريث»، والجرح الذي لعقه في يدي، دع هذه الفتاة تعتقد أنني مختلة عقلياً، لو كان هذا ما تفكر فيه، أشاهد نظراتها إلى الأرض الفأس مازالت ملقاة هناك، الآن هي قريبة منها عني، بسرعة، اقحمت ساقها ووضعت قدمها على رأس الفأس، ثم التقطتها

وأدرجت المقبض تحت حزامها، قالت لي وزراعيها متقاطعتين. أنصتي إلى «جورما» هو الذي قال علينا الانتقام بطريقة أو بأخرى.

ضحكة كئيبة تهرب من حنجرتي، أستطيع أن أسمعها بنفسي، تبدو و كأنها ضحكة خبل وجنون ولكنني لا أستطيع أن أوقفها .

الانتقام؟ إن ما تقوله مناف للعقل.

هل هو مجنون؟ هل جميعكم مجانين؟ ما الذي فعلته لك؟ هل تستطيعين أن تقولين لي؟

حركت عيناها كما لو أنها تحذرنني بألا أكون حمقاء، ونظرت بعدها بعيدا، تمضغ على شفيتها «.

اعتقدت أن «جورما» سوف يهدأ عندما نعثر عليها مرة أخرى، حقا لا تقلقي حاولت أن أجعله ينساك و لكن هو ولكنه... عندما يصير في هذه الحالة من الغضب من المستحيل معرفة ما... الأمور التي مثل ذلك لا حدود لها. أحيانا أعتقد حتى ربما يكون....»



توقفت و أعطتني نظرة ماهرة سريعة وغير مريحة
بشكل واضح، كما لو أنها قالت الكثير.

اعتقدت «أنه لو انتقم من قطك فربما يكون ذلك
كافيا»

نظرت إليها، ثم هززت رأسي كنوع من الاستسلام أنا لا
أفهم حقاً، أنا لا أستطيع استيعاب ما تتكلمين عنه.

إنها تتأملني بارتياح كما لو أنني فوّت شيئاً مهماً.

بعد بضعة ثوان بدا أنه فجر جديد وأنا في الحقيقة
أبدو غير قادرة على استيعاب شيء، أخذت نفساً
عميقاً، وزفرت بقوة، خطت ناحية جذع الشجرة
الساقط وجلست بجانبها، حافظت على مساحة صغيرة
بيننا.

على الرغم من أننا في أغسطس إلا أنها كانت ترتدي
حذاء جلد ثقيلاً.

« القارب، إنه عن القارب » .

نظرت إلى لتري أن كنت متابعة أم لا، ولكنني هزرت رأسي، لم أفهم بعد.

فقلت لي « لدينا قوارب، إنه من قواربنا » إنها تتكلم بثقة، مؤكدة كل كلمة. بينما تصورت قارين في ذهني، مركب شراعي صغير وزورق تجديف أبيض قذر. أرى بقع الدم على السطح مثل فقاعة حمراء لنهاية واحدة وحتمية.

الفتاة الجالسة إلى جانبي ماتزال تتكلم، ربما لأنني لم أكل أو أنام بشكل صحيح لعدة أيام، ربما يكون بسبب الحمل وأثاره على جسدي وروحي. أو ربما بسبب أنني لمدة أربع و عشرين ساعة كنت أبحث بيأس عن شخصين ليس لهما أثر.

وبدلاً من أن أبحث عنهم، كنت أتجول أبعد داخل الضباب، أغوص أعمق وأعمق في الكثبان الرملية، قد يكون هذا هو السبب في أنني أجد صعوبة في فهم تفسير الفتاة. وربما يكون نوعاً من آليات الدفاع، طريقة لمقاومة فكرة تنمو وتتزايد.

لا يمكن أن... أسمع فقط أجزاء مما تقوله. آخر مرة.
على اليسار هناك. اختفاء. عثور.

على الجانب الآخر من البحيرة. «جورما». لقد كنت
أنت. الانتقام.

من بعيد، أسمع صوتًا صاخبًا، كان الصوت شديدا
لدرجة أنني وضعت يدي على أذني، ولكنه لم يتوقف،
العالم من حولي يهتز. الصوت مازال مستمرا حتى
أنني اضطررت أخيرا إلى الصراخ. شخص ما يسحب
يدي بعيدا و يحركهم جانبي بحرص.

إلى جانبي شخص ما يمسك وجوههم بالقرب من
وجهي، ويتكلم معي، أنا لا أستطيع نطق كلمة و لكن
الصوت على عكس ما أتوقع كان لطيفا، ورقيقا، أخيرا
أدركت أنها الفتاة، إنها ترنم بعض الكلمات المريحة في
أذني، وهي تلمس ظهري، و مازال تفعل إلى أن
هدأت.

إلى أن تلاشى الصوت، إن صراخي ترك حنجرتي ممزقة و جسدي منهك، بعد ذلك ساد الصمت بيننا لفترة، نجلس بالقرب من بعضنا البعض، ثم إنني استدرت لأواجهها وهي أيضا استدارت لتواجهني وعندما تقابلت أعيننا بدأت بالكلام، في الوقت الذي انتهيت فيه بعد أن خرج كل شيء مني.

وصلت الشمس إلى قمم الأشجار، والجو أصبح أكثر سخونة، خلعت عني المعطف ومسحت العرق من على جبيني، سحبت «جريتتا» مقبض الفأس من حزامها وأعادته إليّ، قالت لي «أشعر بالأسف من أجلك» أتمنى أن لو كان هناك شيء يمكنني القيام به. قلت لها يوجد. اتركه. الآن قبل فوات الأوان.

أعطتني ابتسامة باهتة

«سوف تكونين أما صالحة»

ثم سمعت رنيناً في أحد جيوب المعطف المشمع ذو القبة الذي أرتديه، إلى ما يبدو كما لو أنها المرة الألف

على نفس المنوال.

أدرت يدي على نسيج القماش من الداخل والخارج
أنزع الأضرار والسحابة بعنف، للحصول على الموبايل،
ولكن هذه المرة يبدو أن الأمر مختلف. بسبب أنني
أعرف. فعلا، كان عليّ أعرف طوال الوقت .

وضعت الهاتف على أذني هذه المرة، ما أسمعه ليس
مجرد صمت على الجانب الآخر من الهاتف، صوت
رجل واثق من نفسه.

مرحبا «جريت»

إنه «أليكس»

هل افتقدتني؟

(32)

في ذلك المساء عندما مشينا سويا إلى القارب، كنت ورائهم، أتابعهم، وعيني كانتا مثبتتان على أرجل «سميلا» الرقيقتين البارزتين، التي تخرج من تحت ثوبها القطني، أرجل تنبع بالحياة، تحتوي على كثير من الطاقة لدرجة أنه كان عليها أن تقفز، حيث أن المشي العادي لم يكن كافيا. شيء ما في تلك الساقين جعلني أفكر في الفيلم الذي اختاره لنا «أليكس» لمشاهدته قبل بضعة أيام، كان الفيلم يحكي قصة شاذ جنسيا، كان يستخدم الأطفال، دراما مظلمة محبطة لا ترحم. عندما كبرت الكاميرا أرجل الفتاة الشاحبة، والساقان التي لا حياة فيهما، تبدو وكأنها خرجت من الأحراش. لم يعد باستطاعتي كبت تنهداتي، ركضت إلى الحمام وتقيأت، مرة ثانية.

«أليكس» كان مازال مستغرقا في مشاهدة الفيلم، وبالكاد نظر عندما عدت.

(32)

في ذلك المساء عندما مشينا سويا إلى القارب، كنت ورائهم، أتابعهم، وعيني كانتا مثبتتان على أرجل «سميلا» الرقيقتين البارزتين، التي تخرج من تحت ثوبها القطني، أرجل تنبع بالحياة، تحتوي على كثير من الطاقة لدرجة أنه كان عليها أن تقفز، حيث أن المشي العادي لم يكن كافيا. شيء ما في تلك الساقين جعلني أفكر في الفيلم الذي اختاره لنا «أليكس» لمشاهدته قبل بضعة أيام، كان الفيلم يحكي قصة شاذ جنسيا، كان يستخدم الأطفال، دراما مظلمة محبطة لا ترحم. عندما كبرت الكاميرا أرجل الفتاة الشاحبة، والساقان التي لا حياة فيهما، تبدو وكأنها خرجت من الأحراش. لم يعد باستطاعتي كبت تنهداتي، ركضت إلى الحمام وتقيأت، مرة ثانية.

«أليكس» كان مازال مستغرقا في مشاهدة الفيلم، وبالكاد نظر عندما عدت.

جلست بجانبه وأنا متصلة على حافة الأريكة. لم أكن قد أخبرته عن الطفل. لكن جزء مني كان قد كبر ومن المفترض أنه سيلاحظ أنني أتقيا باستمرار، ويفهم وحده ولكن ذلك لم يحدث، لم يكتشف إلا بعد أن وصلنا إلى مارهم، و حتى قبل ذلك الحين كنت على استعداد لأن أخبره، كان ذلك قبل مجيء «سميلا» بساعات قليلة، كنت مستلقية مستيقظة و قررت أن أبقى على الطفل. وأترك «أليكس».

في صباح اليوم التالي، أخبرته، ولكنه لم يأخذ الموضوع بجدية تامة، هل كنت أحاول تجنب ثورة غضبه أمام «سميلا»، أو ببساطة تفاجأت برد فعل «أليكس» واحتجت بعض الوقت لتجميع نفسي؟

بعد العشاء تبعتهم إلى البحيرة، إلى خارج الرصيف استدار يواجهني، شمس المساء شكلت هالة شديدة الحمرة حول رأسه، ابتسم.

«جميل أن أراك قد عدلت عن قرارك»

كنت ممتلئة بشعور واضح مثل شمس، كان هناك رد واحد فقط. على ما أذكر، لم أكن مضطرة حتى إلى محاولة تغليف نفسي بقوة زائفة في مواجهته قبل أن أنطق الكلمات .

«لم أعدل عن قراري» .

وصلنا إلى القارب و خرجنا إلى الجزيرة، حيث اختفي بدون أثر، ذهب تحت الأرض، كنت أبحث عنه لعدة أيام، أحاول أن أتصل به، ولكن دون جدوى. وفجأة عاد «أليكس» إن تنفسه في أذني يبدو هادئاً ومطمئناً، أضغط على الهاتف أكثر على أذني حتى لا أسقطه، أعرف أنه في انتظار أن أقول له شيئاً ما، ولكنني لا أستطيع قول كلمة واحدة. صمت واضح من الشوق واللهفه قالها أخيراً.

هل مازلت في مارهم؟

هممت بإيجاب، كنت على وشك أن أسأله أين هو، و لكن بعد ذلك أدركت أن هناك شيئاً يجب أن أعرفه أولاً

«كيف حال «سميلا» إنها لم تتأذى، أليس كذلك؟ أنت لم تفعل.»

لم أستطع إكمال الجملة، لقد أصابني الخوف والشك منذ اختفائهما، الخوف لا يمكن تخيله أو تصديقه، لا يمكن حتى وصفه، حتى على الرغم من كل ذلك لا يوجد سبب حقيقي لهذا الحد الكبير من القلق، على الأقل ليست مرتكزة على القليل من تفاعلهم الذي سبق وأن رأيته، ومع ذلك، كنت أخشى أن «أليكس» قد يضر «سميلا» وهذا، ربما ينفس عن إحباطه، يمثل عليها بميوله الانحرافية، لا أستطيع أن أقنع نفسي بالتلفظ بهذه المخاوف والشكوك بصوت عال.

حتى إنني لا أستطيع تحمل التفكير نيابة عنهم، ولكن هذا السبب جعلني أمكث في مارهم بعد اختفاؤهم، كنت أشعر بتلك المسؤولية الملقاة على عاتقي، حمل ثقيل لن يرحل عن كتفي إلا بعد أن أعرف أن «سميلا» بخير.



تذكرت الرجل المسن في البيت البني، والذي قال لي أنه كان قد رأى «أليكس وسميلا»، تذكرت الكلمات التي كان يصف بها «أليكس». غاضبا أو مذعورا من الصعب أن أقول لك كيف كان، على الرغم من أنني لم أكن أعرف هل من الممكن أن يكون كلامه في محمل الجدية؟.

كلماته الأخيرة هي التي دفعتني إلى الذهاب للشرطة، من أجل سلامة «سميلا» لم أر أبدا «أليكس» خائفا، حتى أنني لا يمكن أن أتخيله وهو مذعور أو مرعوب، ولكنني على معرفة بسريره وأنا أعلم جيدا ما الأشياء التي يفعلها عندما يكون غاضبا.

أخذ الهاتف من على أذنيه و تكلم مع شخص قريب منه.

«أنت بخير، أليس كذلك؟ هل يمكنك أن تقولي أنك بخير؟ في الخلفية، سمعت صوت «سميلا» يرد باندعاش طفولي، رددت الكلمات «أنا بخير» أغلقت

عيني، و صورة سيقان الفتاة العارية تحت الشجيرات
يتلاشى، وتركتني أخيراً في سلام.

«مع من تتكلم يا بابا»

سميلا لديها أربع سنوات فقط، ولكن يمكن أن أسمع
بوضوح حذر معين في صوتها. بينما أستمع إلى شرح
«أليكس»، شيء يخص صديق طفولة قديم، الشعور
بالذنب يعود من جديد، الشعور بالذنب على دوري في
حياة هذه الطفلة، دخولي في عالمها، تخيلت وجهها
الصغير المتحدي عندما وصلنا إلى الجزيرة،
و«أليكس» يحاول إقناعي للذهاب إلى الشاطئ
معهم، النظرة في عينيها عندما قال «أليكس» بتهكم
وسخرية لا بد أن فاتتها بالكامل أن هذه نزهة عائلية،
حبيبتي.

كانت تريد والدها كله لنفسها، لا أن تشاركه مع امرأة
غريبة عادية، تطلعت من أعلى كتفي و رأيت أن
«جريت» الصغيرة المكسوة بالأسود قد تركت الأرض
المقطوعة الأشجار. وأصبحت وحدي مرة أخرى، في



منتصف الغابة، في مقبرة بدائية للحيوانات، مع فأس هو رفيقي الوحيد وعلى الطرف الآخر تبدو «سميلا» غير راغبة في أن تترك أباهما في سلام.

الآن بعد أن علمت أنه يتحدث إلى شخص ما على الهاتف. «بابا سوف يتحدث لفترة قليلة أطول يمكنك الذهاب واستخدام تابلت بابا إذا كنت تريدين. لماذا لا تلعبين اللعبة التي تحبينها كثيرا؟ نعم، «الفتاة التي تستطيع التنكر في ملابس مختلفة».

أخيرا أسمع صوت طقطقة، ربما يكون الباب قد قفل، وهناك صمت في الخلفية، لم أعد أسمع صوت «سميلا» من قريب، تحرس والدها بغيرة شديدة، لمست الفأس، وأخذت نفسا عميقا.

قل لي ماذا حدث في تلك الليلة في الجزيرة. و فعلا قال لي: «بدأت سميلا تتعب من الرحلة الاستكشافية عندما قدمنا على نوع من أماكن التخيم على الجانب الآخر من الجزيرة، كان هناك قارب مقيد و به بقع دم في القاع، رفضت «سميلا» أن تستقله لذا اضطررت

إلى رفعها على متنه، شرح لي أنهم كانوا في طريقهم للعب لعبة، ومفاجأتي، ويجب عليها أن تلتزم الصمت وأن لا تصرخ أو تهتاج، وبعدها جرفوا بعيدا عن الجزيرة.

أنا أرتجف، على الرغم من شدة الحرارة تخيلت قارب التجديف الأبيض. اسمع صوت «جورما» العدائي يدوي في رأسي، لقد أخذت شيئا يخصنا، أليس كذلك؟ وبعدها صوته تغير. إنه لم يعد «جورما»، إنها الشابه «جريت» أظن أنه سيهدأ عندما نجده مرة ثانية. لا تقلقي. فأكملت.

ثم ماذا ؟

«حسنا إذا...» بعد ذلك ساروا بين الأدغال متجهين نحو أصوات حركة المرور من الطريق السريع و عندما وصلوا أخيرا إلى هناك، كانوا محظوظين بما فيه الكفاية لأن واحدة من حافلات المدينة تأخرت خمسة عشر دقيقة. في الواقع كان توقيتنا مدهشا نامت

«سميلا» معظم الطريق إلى البيت، استقل سيارة تاكسي من محطة الحافلات، وكان هذا كل شيء. لم يكن هناك شيء ليضاف .

أمرر أصابعي المرتعشة على المعطف الذي علقتة على جذع الشجرة الساقطة، إنهم عادوا إلى البيت، لقد كانوا هناك منذ تلك الليلة، في حين أن الهاوية تفتح على مصراعيها تحت قدمي، وتهددني بابتلاعي بالكامل، كان «أليكس وسميلا» آمنين وسالمين.

كان يمزح معي طول الوقت، رأسي تهتز ببطء من جانب إلى جانب آخر. كنت أعلم بطريقة ما. كنت أعلم، ولكن العلم بالشيء ليس كفهمه، سألته بصوت ضعيف «كيف لك أن تفعل هذا؟»

كان ردة مثل جلدة بسوط قديم

أحقا لا تعرفي؟

هزرت رأسي في صمت، على الرغم من أنه لا يراني،
يبدو أنه خمن إجابتي.

أردت أن أرى كيف تتصرفين. أو إذا كنت ستغادرين
على الفور أو ستبقى هنا وتنتظري وتحاولي العثور
علينا.

جذع الشجرة جامد ومبلل من تحتي، كياني كله يهتز،
يدي ترتعش، ضغطت الهاتف بشدة على أذني حتى لا
يسقط مني، هاتفي. الشيء الذي وجدته على فراش
«أليكس» بعد أن اختفوا هل انتهى به الأمر إلى هنا، أو
ربما وضعه «أليكس» متعمدا عندما كان يرتب
الفراش؟ متى قرر أن يختفي مع «سميلا»، وجعل من
المستحيل على أن أصل إليه، يمكن أن يكون هذا
حقيقة واقعية؟ نجحت في أن أقول له لقد أقفلت
هاتفك لا يوجد الكثير من التحدي إذا كنتي اتصلتي
بي. صحيح؟ عاصفة بدأت بداخلي، أكان هذا السبب
في أنه قام بالاتصال بي، ولكن بدون أن يقول لي أي
شيء ليضاعف من توترتي.

سألته عن المكالمات المتكررة، السكون على الجانب الآخر، و لكن «أليكس» رفض أن يكون مدان، وبكل صرامة و حزم، أكد أنه لم يتصل ،عندما أصررت، انزعج و تضايق.

«من بحق اللعنة يهتم ؟ هذا ليس مهما ،المهم في الأمر أنك لم تهربي، لقد بقيتي و هذا يعني أنك نجحتي في الاختبار.»

دوخة تجتاح جسمي شيئا فشيئا، تجعل ساقي تعرجان، أنا لم يغم عليّ، و لكن مما فهمته هذا ما أشعر به في العادة قبل حدوث هذه الفوضى في كل من الداخل و الخارج، هذا الظلام المعتم يمتصني رويدا رويدا، هل كان كل هذا حقا؟ لعبة؟ اختبار؟

ألا تفهمي أنه كان من أجل مصلحتك؟ كل تلك الأشياء التافهة التي قلتها.... أردت أن أمنحك الفرصة لأن ترجعي إلى صوابك.



الأمر بهذه السهولة، أريدك أن تدرك أنك لا تستطيعين العيش بدوني.

تخيلت ربطة العنق من الحرير الأسود، أرى يد «أليكس» تسحب العقدة لتضييق وتضييق حول رقبتني، بينما أنا موثوقة الأيدي، أقوس ظهري في محاولة للابتعاد، تكاد عيني أن تتحول إلى زجاج أملس، ورئتاي تحترق، في الحقيقة أنا مقتنعة أنه كان يخطط لخنقي، بكل صدق في ذلك الحين في اللحظة الأخيرة سمح لي أن أستريح من هذه المعاناة، تركني أتنفس مرة ثانية.

تدركين أنك لا تستطيعين العيش بدوني، كل شيء يسقط بعيدا، يترك وراءه الحقيقة فقط، صعبة و غير مريحة كالشجرة التي أجلس عليها بإخضاعى لهذا العذاب و البلاء .

انتزع «أليكس» عن قصد ما تبقى من قوامي الهزيل، إنه كان من أجل مصلحتك، نسيم الصباح يتخلل



الأشجار، تداعب حنجرتي بصفعاتها الثلجية من بين كل الأشياء الذي ابتلاني بها، هذا أسوأ اعتداء علي .

بطريقة أو بأخرى نهضت من على جزع الشجرة والتقطت الفأس، ولكنني تركت المعطف حيث هو، كل شيء برق أمام عيني وأنا في طريق عودتي مرة أخرى من خلال الغابة. لا أستطيع النظر لأكثر من قدم أو قدمين إلى الأمام، فروع الأشجار تخدش وجهي، ولكن الألم يبدو أنه يأتي من مكان ما بعيد، كما لو أنه ليس جزءًا مني، سمعت نفسي أسأل، والطفل؟ أي طفل؟ «الطفل الذي أنا عليه...»

«لا يوجد طفل تعرفين ذلك جريتا».

كانت كلماته مشحونة بالمعاني. ما الذي يقوله، ما الذي يتوقعه، سوف نكون نحن الاثنان فقط حتى في المرة القادمة، قرر أن يلعب بحياتي، لأن ذلك سوف يحدث مرة ثانية، لا شك في ذلك ربما سوف يستخدم ربطة العنق مرة أخرى، وربما يكون شيئًا مختلفًا تمامًا، الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنه سوف يتقدم خطوة

إلى حد أبعد ثم خطوة أخرى، لن يهدأ حتى أستسلم
ربما قبل هذا بكثير .

«أليكس» يتحدث عن جميع الملابس والعرائس التي
تركها ورائه في الكابينة، والأشياء التي تحتاج إلى
الإصلاح .

هو متأكد أنني أدركت أنه ربما لا يستطيع أن يهرب
الآن، لذا هو يريد مني أن أحزم أكبر عدد ممكن من
أغراضه وأحضرهم معي إلى السيارة. سوف يأتي إلى
الشقة بمجرد أنه....

أنا قلت: «لا»

« لا »؟

« لا »

أفكر في البئر الذي رأيته عندما كنت أحرق أسفل مياه
بحيرة الخبث، لو كان فعلا موجودا، كان بإمكانني
دفعك فيه. هذا ما علمتني إياه في هذه الأيام. إذ

أُتيحت لي الفرصة، لكنك قد فعلت ذلك. أي شخص
إما أن يستسلم أو أن يحارب، و أنا ابنة أمي.
فليساعدي الله.

أنا أعرف ذلك الآن : أنا سأتركك «أليكس»، لقد اتخذت
قراري، وأنا متأكدة من قراري أكثر من أي وقت مضى،
اقترب مني مرة ثانية، أقسم أنني سأقتلك».

لم ينطق بكلمة، غالبا أكثر من ثلاثين ثانية مرت قبل
أن يتكلم.

« كما قتلتني أبالك؟ »

« بالضبط ».

أسمع تلميحا لشيء في صوته، وأرتجف.

هل حقا فعلت ذلك؟

تركت الصمت يتكلم نيابة عني. جعلته يكون ردي
الوحيد. و بعدها أنهيت المكالمة.

أمسكت الهاتف بيدي والفأس بالأخرى، شققت طريقي
عبر جذوع الأشجار فيما يبدو أن «أليكس» لم يفهم
شيء عمن أكون. أنا لاشيء البتة.

(33)

عانيت من مشقة الطريق عبر الغابة. لا يوجد أسلوب آخر لوصف تقديمي، الفروع الجافة تخدش وجهي، رؤيتي أصبحت أكثر تشويشا بدلاً من أن تكون أكثر وضوحاً. يزداد التوهج أمام عيني، عندما خرجت أخيراً من بين الأشجار وعدت إلى طريق الغابة، بدأ جسدي بأكمله متأرجحاً، كما لو أنني في وسط محيط شاسع ممتليء بالعواصف والرياح العاتية. حملتني ساقي إلى الأمام، وسمحت لها بأن تختار وجهتها، دون معرفة ما إذا كنت أسير في الاتجاه الصحيح أم لا، هناك شيء قادم نحوي على الطريق. أهو شيء أو شخص ما.

إن يدي مشدودة بشكل مؤلم، وعلى الرغم من أنني لا أستطيع رؤية الأشياء التي أحملها حقاً، فأنا أعلم أنها موجودة، فكلاهما يشبه امتداد جسدي. الهاتف الخلوي والفأس. في هذه اللحظة، أصبحت واحدة معهم، ممسكة بهم بإحكام، أخذت على نفسي عهداً بعدم السماح لهم بالرحيل، بغض النظر عما يحدث.

الوحش القادم نحوي مظلم و كثيف الشعر، إنه يتحرك بسرعة، بشكل ساطع، توقفت واعتقدت أن هذا ليس حقيقياً. أن ترى شيئاً ليس له وجود من الأساس، أو ربما هي عدم قدرة على استيعاب ما هو موجود بالفعل- ربما تكون الحالتان وجهان لعملة واحدة.

لماذا أنا غير قادرة على تفسير ما أراه بشكل صحيح؟ الوحش قريب مني الآن، يأتي إلى بطريقة مباشرة، أشعر بشيء ناعم و بارد على ظهر يدي، كمادة كلب، وتنحت الضبابية جانبا، و فجأة رأيتة بوضوح، لم أكن أنظر نحو الخارج بل إلى الداخل، هي ليست مسألة ضعف ذاكرة أو تجارب مشوهة. ما أفقده هو الإرادة للاعتراف بما حدث لأبي. من، ومعرفة ما الذي حدث؟.

قلت «أنا أسفة». وانهمرت عيني بالدموع.

يبدو لي أن الكلب قد أخذ خطوة للوراء وهو يلحق فمه الآن. ثم نبح بصوت عال لا ينم عن غضبه، لكنه مرتبك. ينادي للشخص القادم من بعيد.



إنه الرجل من البيت البني، قال لي «مرحباً» مرة ثانية.

شرح «أليكس» كيف غادر هو وسميلا عبر الغابة، أصدائها تتكرر في ذهني، أنقل نظري من المخلوق الأشعث عند قدمي إلى الرجل المسن. رنوت إلى وجهه، «يجب أن تكون قد شاهدتهم عندما كنت في الخارج تتنزه مع كلبك» أتمتم، مما دفعني إلى قول كلماتي. «هل رأيتم حقا».

شيء ما في مذهري يبدو أنه يبقيه. نادى على الكلب. انتابتنى نوبة من الغثيان تبعثها انقباضة قوية في بطني. كما لو أن هناك شخص يرشق سكيناً في أحشائي، الألم يتضاعف، أسمع صوت الرجل، ونبرة الشك واضحة في كلماته، قبل أن أتمكن من الإجابة، عاودني لك الألم العنيف، يطعنني، طعنا، حتى أنني سقطت على ركبتي، خطرت فكرة في ذهني، الطفل، لا أستطيع أن أفقد الطفل. ليس هذا أيضاً. تحاملت على نفسي بأن جعلت جسدي يستقيم وأنا أسير إلى الأمام، و لكن الرجل في طريقه، ملامحه غامضة، تعبيره غير قابل للفهم أو القراءة، ولكن صوته بدا عليه القلق



للفتاة، شيء ما هبط على كتفي، ضغط بشدة، هل هذه يده؟ هل يحاول منعي؟ يحاول أن يبقيني هنا؟ الذعر يزحف نحو، يمدني بقوة جديدة عليّ، يجعلني غاضبة، ترتفع الصرخات العالية عبر الطريق، تنتشر حتى تصل إلى الغابة المجاورة، حلقي لاذع، ويحترق وأدرك أن الذي يصرخ هو أنا.

يده تريد أن توقفني في مكاني، ملت و سحبت نفسي من تحت يده، وأنا أرفع الفأس. هدأت الرياح، و كل شيء كما هو، الصوت الوحيد الذي أسمعه هو عواء الكلب البائس، وقف الرجل جانبا، واستدار على كعبيه ورحل، ربما كان يركض.

عندما هم الرجل و الكلب في الرحيل، أدركت أن الرجل لم يمسكني بيده في استعراض للقوة ولكن دفاعاً عن النفس. لم يكن ينوي الإمساك بي هناك، ولكن لإبقائي بعيدة بطريقة ما، رجعت إلى الكابينة، على طول الطريق حالي كانت تزداد سوءاً بعد سوء، بدأت تقلصات بطني في الإنخفاض، ولكن الألم استقر في جزء صغير من ظهري. ألم موجع مع وخز، صدرى

مقبوض تماما، لدرجة أنني أتنفس بصعوبة، ترنحت على السيارة المتوقفة خارج الكابينة، واثكأت عليها، السيارة غير مغلقة، لذلك فتحت الباب وجلست على مقعد السائق. رأسي بدت و كأنها مشتعلة، حتى أنني لم أر إلا ومضات خاطفة من الضوء، في هذه الحالة، لن أتمكن من القيادة أكثر من مائة قدم. سوف ينتهي بي المطاف في حفرة. أو التحطم في سفح الجبل. كل ما أحтаجه هو أن أصل إلى الطريق السريع، وأستقل أحد الحافلات التي تمر عبر مارهم كما فعل «أليكس و سميلا»، فركت جبهتي بقوة، ما زلت لا أستطيع فعل ذلك. يبطء، رجعت لألقي نظرة على الكابينة، أرتب في ذهني كيف سأقوم بجرد الحقائق والملابس والاحتياجات الداخلية، كل شيء يخصني، كل شيء سوف أححتاجه، مجرد التفكير في ذلك كان يتطلب جهدا هائلا.

الآن أنا مرهقة لدرجة أنني لا أستطيع تخيل الخروج من هذه السيارة، ليس لدي طاقة تساعدني لهذا، أدوخ مرة أخرى، العالم أمامي يتأرجح ويفقد المتزن. لن

أستطيع معالجة هذا أبدا. يجب أن تبقى متعلقاتي هنا، لا يوجد خيار آخر، ولكن القط . يجب عليّ على الأقل أن أحضر «تيريث» معي.

أنا.... صورة لصليب صغير مصنوع من الخشب تقطع حبل أفكاري على نحو قاس، طوق وردي هزيل .

مرة ثانية أشعر بوقع تأثير اعترافات الفتاة ذات الملابس السوداء، تذكرت أن «تيريث» لا ينتظرني في الكابينة.

انه لن يعود ابداً، شخص ما يجب أن يخبر «سميلا»، هذه البنت التي تفوح منها رائحة التفاح و الفانيلا، البنت التي تحب الأميرات و دُمى باربي، البنت التي تعشق والدها.

سقط وجهي رغما عني على عجلة القيادة، ضغطت دون أن أدرك على آلة التنبيه بها، وراح صوت صفير حاد ينطلق في الفضاء، هناك شيء مقبض بشكل كبير بشأن هذا الصوت، أن من يسمع صوت التنبيه سيعرف

تماما أنه صوت تنبيه، ولكن أنا الشخص الوحيد الذي
أسمعه خارج السياق. يفقد الصوت كل المعاني، يصبح
بلا جدوى، تماما مثلي، أو بالأدق مثل حياتي.

عدت إلى ذلك المساء، إلى مشهد «سميلا وأليكس»
وهما ممسكان أيدي بعضهما في طريقهما على
الرصيف، الغيرة والشوق اللذان شعرت بهما في هذه
اللحظة مازالا متواجدان معي، أيمكن أن أكون قد
فعلت نفس الشيء مع والدي منذ سنوات؟، شخص
يحبني ويسير بجانبي، لا بد أنني أمازح نفسي، هل
أسمح لي أن أعمي بسبب هذا الحنين القديم من أجل
القرب؟ الميراث الذي أحمله، الميراث الذي سوف
يحملة طفلي؟، ماما، أخبريني إذا كان الأمر يسحق
ذلك، هل ستقومين بنفس الاختيار مرة أخرى؟

في تلك اللحظة، اتصلت بي، حدثت النظر في الهاتف
الذي كنت قد وضعت على مقعد الراكب بجانبي مع
الفأس. كانت ماما.

آخر مرة تكلمنا فيها أنهيت معها المكالمة، لم أتلق
 مكالمة ثانية منذ ما يقرب من يومين، أيمكن أنني لم
 أتحدث معها لمدة عشرين سنة؟ ليس حقيقيا، ألتقط
 الهاتف الصغير اللامع بدون تفكير؟ و قلت «لا أريد أن
 أكون وحدي بعد الآن».

(34)

أنا مازلت في «مارهم»، لا زلت في الكابينة، مستلقية على السرير بملابسي، والغطاء مسحوب إلى ذقني، في الحقيقة لقد سحبت لحاف من الجانب الآخر من السرير ووضعتة فوقني .

من جانبه، الرجل الذي لن ينام بجاني مرة أخرى، إذا اقتربت مني مرة أخرى، أقسم أنني سأقتلك، أنا أرتجف وأسناني تصطدم ببعضها، ولكن بإيماءة قاطعة، أنا حقا لا أقصد ذلك، لدي هذا اليقين بداخلي أثناء كل هذه السنوات، وأنا أتصدى لهذا الفكر، لقد حاولت إقناع نفسي أنني لست كذلك. ولكن دون جدوي. الآن أنا أعلم.

جسدي يرتعد من البرد علي الرغم من طبقتي البطاطين، ألم الصداع الشرس يجعل ضوء النهار يؤلم عيني، علي أن أنهض، وأسدل الستائر، لا أستطيع حشد الطاقة، ماما، أسرع، علي ما أظن أن أمي كانت تتفاعل بهدوء كلما ابتعدت عن الهاتف، سألتني أين

كنتِ؟ بعد أن شرحت لها وأعطيتها اتجاهات واضحة،
قالت: لي «ابقي مكانك سوف أحضر وأخذك»

«لا تفعلي ذلك. لقد انتظرت طويلا ولكن أنت.... لم
تأتي أبدا»

تمتزج الأفكار والذكريات معا، في حالي المهتاجة
الثائرة وجدت نفسي جالسة على الأرض في غرفتي،
أرى ضباطا بالزي الرسمي يأتون و يذهبون، وأيضا
«روث» تأتي وتذهب، ورأيت الباب الذي كان يخص
غرفة نوم أبي وأمي، الباب الذي ظل مغلقا لفترة
طويلة. صمتت أمي ثانية أكثر من اللازم، هناك شيء
مختلف في صوتها، كما لو أنه لا يمت إليها، هذه المرة
أنا قادمة حالا. أعدك» وأنا أعلم أنها تعني ما قالتة.

السرعة في اتخاذ القرار وتنفيذه هو موطن قوة أمي،
لم يكن هناك لدي شك في هذا. كان جفناي يرتعشان،
وعندها أدركت أنني يجب أن أنام قليلا، مفاصلي
تؤلمني وهناك سخونة في جسدي، مازلت في مارهم،
مريضة و بائسة، «تيريث» مات. لقد انتهى البحث عن

«أليكس و سميلا». لا يوجد سبب واحد يجعلني مستيقظة وممتلئة بالشوق والحنين، وصلت إلى المعرفة بأن النوم قادم، سمحت لنفسي بأن يتم جرفي مرة ثانية، انزلت في مكان ضبابي تدفعني الرياح إلى الداخل و الخارج، حلمت أنني أعطيت أُمي اتجاهات خاطئة، وأنها تقود هنا و هناك دون الوصول، دون أن تجدني.

خبطات الباب أيقظتني، في بادئ الأمر ظننت أنه جزء من الحلم، لكنني أدركت أنها حقيقية، أنا مستيقظة تماما، أُمي.

إنها هنا، كل شيء سيكون على ما يرام. ما أزال ضعيفة، ولكن على الأقل جسدي يطاوعني عندما أتحامل عليه وأذهب صوب القاعة الأمامية، ليس لدي خيار، ماما ليس لديها مفتاح و بالرغم من حالتي البائسة، فقد كنت شديدة الحذر في التعامل مع قفل الباب عندما دخلت. أتذكر أنني تلقيت تهديدا قريبا، بينما أنا أمشي يغلبني النعاس، تعجبت ما نوع التهديد الذي تلقيته؟ من أين؟ من مَن؟ لا أستطيع أن أتذكر؟

هربت الأفكار مني. أنا عند الباب، وصلت إلى القفل،
أتخيل الشخص الواقف في الخارج، يدي ترتعش لماذا
؟ لماذا أرتعش من الخوف.

لأنني مريضة، لأنني مصابة بالحمى. ماذا أيضا؟ فتحت
قفل الباب بحذر.

«أمي» أكاد لا أصدق عيني، إنها ليست أمي.

إنها طبيبتي النفسية الشقراء، المرأة التي تركت مكتبها
منذ سنوات مضت، المرأة التي رنت كلماتها المشؤومة
في أذني خلال الأيام القليلة الماضية، لقد غيرت من
قصة شعرها، كانت تلبس بشكل مختلف عما أعرفه،
لكنني تذكرتها على الفور. وأدركت أنني لا بد في حلم،
لا يمكن لهذه المرأة أن تقف هنا، على الدرجات المؤدية
لكابينة «أليكس». ليس حقيقي في واقع الأمر،
المجداف الذي تحمله يجعل الأمر بأكمله غريبا وأقرب
إلى الخيال .

كنت في حالة ذهول، اعتقدت أنه يوجد سبب لبحثها عني، لابد أنها تحمل رسالة لي، أخشى أن أستيقظ قبل أن يأتي الوقت، وأن يقول لي نص الحلم الخاص بالطبيبة النفسية ما تحتاج أن تقوله لي.

«كنت محقة» بتمتمة غير واضحة، كل شيء أخبرتني به كان صحيحا، ولكن ماذا الآن ؟ ما المفترض أن أفعله؟ كانت ترنو إلى وجهي وهي تضيق عينيها.

إذن أنت كذلك؟ إنه أنت؟

ثم رفعت المجداف، ربما لم يكن هذا حلم، أعتقد أنه هذيان. ثم إن الطبيبة النفسية صرخت بقوة.. وكانت صرختها مدوية .

تراجعت.لأنني أعرف هذا الصوت، هذا الصراخ. في لحظة وضوح غير متوقعة، رجعت بذهن] إلى ليلة وصولنا إلى مارهم، السيارة بالخارج، الشخص الذي رحل والشخص الذي بقى، «سميلا»، والمرأة صاحبة الصرخة، «سميلا» وأمها، «سميلا» وزوجة «أليكس».



رجعت خطوة للوراء، بينما كان هناك شيء مظلم
يصدر صفيرا في الهواء، هذا الشيء ضرب كتفي
وجانب رأسي، ارتيمت بقوة في مواجهة الحائط،
شعرت بجسدي يتعثر على الأرض بعدها أسود كل
شيء في عيني.

(35)

لقد ابتدأت وانتهت مع أمي، لكي تفهميني وتفهمي قصتي، يجب عليك أولاً أن تفهمي ذلك في البداية، كانت أمي كل شيء، وكنت أنا أيضاً، كنت نور حياتها، هذا ما كانت تقوله دائماً. كان صوتها ناعماً، اعتادت أن تأخذني بين ذراعيها، تضميني بقرب إلى جسدها الدافئ تجعلني أفهم أنني سأظل دائماً في أمان معها، يفوح من جسدها عطر «الخزامي» عندما كانت تداعب شعري، كانت تستيقظ معي وتحضر لي الإفطار، تغطيني في الليل، كل صباح وكل ليلة لا تسمح لعملها، أو لصديقاتها، أو لأي شيء أن يلهيها عني أو يأخذها مني، لا أتذكر لحظة واحدة لم تكن فيها متواجدة عندما كنت أحتاج إليها، كل شيء فعلته كان من أجلي، لا يوجد شخص أحبني كما أحبتي هي.

عندما اتصلت المستشفى لتقول أنها كانت في حادث سيارة، كنت في البيت بمفردي مع «سميلا»، «أليكس»



كان قد ذهب إلى «مارهم» لينهي مشروعاً كبيراً، على الأقل هذا ما قاله لي.

قالت الممرضة أن الأمر خطير، في هذه اللحظة، وكأنما انفتحت الأرض تحت قدمي، وكأنما هناك فجوة في صدري، كانت تلك السنوات الأولى بعد أن انتقلت من المنزل وتركت حضن أمي الآمن، في الحقيقة كنت ضائعة.

اكتشفت أن العالم كان مكان مخيفاً بشعاً، تدربت على أن أكون معالجة نفسية، معتقدة أن هذا سيساعدني، لا أعرف لماذا أشعر وكأنني قط محبوب في الصيف، مهمل في الخريف، و لكن بعد ولادة «سميلا»، تناثر كل شيء، كان لدي مهمة كبيرة ملقاة على عاتقي، الأمومة أصبحت مهنتي، ووالدتي أصبحت أكثر من ملاذي الآمن، كانت نموذج حقيقي لي أتبع خطاه، كانت نورا يرشدني وسط ظلمتي.

أمسكت بالهاتف، كنت خائفة حتى أن أسأل.

«ما مدى الخطورة؟»

«تعالى بأسرع ما يمكنك».

«سميلا» لم ترد الذهاب لأي مكان بدون «تيريث» وعرائسها، لذا أخرجت لها حامل القط و حقيبتنا الكبيرة، تركتها تحزم ما تحب. كانت تلك الأمسية من شهر أغسطس مظلمة تماما، ونحن متجهين صوب مارهم، كنت مرتبكة، أقود السيارة بسرعة هائلة طوال الطريق، أرى بصعوبة بسبب الدموع التي أغرقت وجهي، أثار أقدام أُمي على وشك أن تغسل تماما من على وجه الأرض، كان مثالها الذي حاولت دون جدوي أن أحاكيه، ولكن بدون نجاح، على وشك التلاشي، كيف لي أن أكون قادرة على المضي قدما أو تحمل ما سألاقيه في الحياة بدونها؟ .

توقفت السيارة أمام كابينة تخص امرأة أخرى، أدركت هذا في الحال، على الرغم من أنني نظرت إلى الجانب الآخر، لم أستطع فعل هذا بعد الآن، لم أبلغ «أليكس» بميعاد وصولنا، لم أطلبه على الهاتف إلا بعد أن كنا

واقفين في الخارج على الطريق، ربما كنت أريد بطريقة لا شعورية أن أفاجئه.

عندما خرج، صرخت بأقصى قدرة سمحت بها رثتي، صرخت كما لو كنت على حافة الجنون، أو كما لو كان هذا حدث. بدون أدنى شك هذا ما سيقوله «أليكس» بالتأكيد.

لم يكن لي أن أتصرف بهذه الطريقة. على الإطلاق، كالمرأة التي كان يتمناها الرجل، الذي يعرف معنى التنازل يقبل، ينظر في الاتجاه الآخر.

لا أتذكر بماذا صرخت؛ ربما لم تكن هناك كلمات أو عبارات حقيقية، ربما كانت صرخة أولية طويلة، منبثقة من خوفي، من أن أُمي على وشك أن تأخذ مني المرأة الأخرى

— أنت؟ لم تكوني مهمة في الحقيقة.

حينذاك لا.



تسلل الحقد بداخلي لاحقا، داخل المستشفى لمدة يومين وليلتين، ظللت أنظر إلى جانب فراش أمي، ممسكة بيديها، أتواصل مع القوى العليا، لو تم لها السماح بالعيش، سأفعل....ماذا؟ ليس لدي شيء لأقدمه في المقابل.

تساءلت ماذا ستطلب مني أمي، ما هي التوضيحية الملائمة والتي تليق بها، الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير به هو «سميلا»، الشيء الوحيد الذي كان يعني أي شيء، الذي كان قد أخذته بعين الاعتبار، كشيء ذو معنى، وهو أنني أعتني بابتني.

، كان هذا من أجل «سميلا» وكنت على الاستعداد للتوضيحية بكل شيء.

فكرت مرة أخرى في تلك اللحظة عندما وصلنا فيها إلى مارهم، عندما اندفعت «سميلا» بسرعة من السيارة لترتمي في أحضان «أليكس»، كيف غمرت رأسها في صدره، عندما رفعها إلى أعلى كما لو أنها



كانت تبحث عن ملجأ، كما لو كان أليكس هو الشخص الوحيد الذي يقدر على منحها ما تحب .

«أليكس» والمرأة ينتظران داخل الكابينة، كبيتتنا، والحقد يملؤني بالكامل، بكل معنى الكلمة، يغلي ويتصاعد داخلي، لم أكن أعرف ما يجب القيام به مع كل هذا الحقد الذي يجتاحني، لم أدر أين أو إلى من سوف سأواجه كل تلك المشاعر. ثم توفت أمي.

هناك لحظات من العذاب القاسي عندما أعتقد أنها لم تتوف بسبب جروحها، بل الحقد الذي قتلها، الحقد والكراهية اللذان انتشرا في جسمي مثل كالسم، لا بد وأنه تسرب من جسدي، لا بد وأنه تسرب من جلدي إليها، حين أمسكت بيديها عندما رجعت إلى البيت من المستشفى، كان «أليكس و سميلا» هناك، تكلمنا قليلا مع بعضنا البعض، لا تسعفني ذاكرتي لاستعادة أي شيء ما تحدثنا فيه، كل شيء كان مبهما.

مكثت في غرفة النوم والستائر منسدلة، تركتني أمي ولم تعلمني كيف أواجه الحياة ف يغير وجودها،



استلقيت ببساطة كما لو أنني مخدرة، «أليكس» تركني وحدي في مرحلة ما، غفوت وحلمت أنه أتى إليّ حاملاً صينية عليها سندويشات وكوبا من الشاي، بينما جلس على حافة السرير، ووضع يديه حولي، كنوع من المواساة ولكنني عندما استيقظت كانت الغرفة فارغة.

عندما وضحت رؤيتي، لاحظت شيئاً على منضدة «أليكس»، كان هاتفه الجوال. لفترة طويلة كان هنا بلا حراك، جلست ورحت أبحث في قائمة المكالمات الأخيرة، وجدت ما كنت أفترضته أن يكون اسمها ورقمها، واتصلت بها، عندما فتحت الخط، أنهيت المكالمة. فعلت ذلك كثيراً في سرية بدون أن يلاحظ «أليكس»، اتصلت مرة ثانية، لم أقل كلمة واحدة، مجرد أن استمعت إلى صوتها على الطرف الآخر، أغلقت عيني و تخيلتها في ذهني، أحاول أن أتخيل كيف يمكن أن تكون، وما هي أهدافها، ونواياها، ولكن حدث شيء غير متوقع، لقد بدأت تصرخ، تسبني، أغلقت الهاتف وخلدت إلى النوم، عندما استيقظت

كنت وحيدة في غرفة النوم، وهاتف «أليكس» اختفى، عندها قررت أنني نلت ما فيه الكفاية. نهضت، وخلعت رداء الحمام، وارتديت ملابس لي ثم ذهبت إلى غرفة ابنتي، كنا نجلس على أرضية غرفة نومها، عندما شعرت بعينه تتبعني، توترت يدي قليلا، ولكنني استمررت في مداعبة شعر «سميلا»، لم أستدر، إن كان هناك أو حتى ما كان تعبيره، كان متكئا على طرف الباب شابكا كفيه .

حسنا، هل استجمعت نفسك؟ ثم قال: هل من الممكن الذهاب الآن؟

أعرف أنه لا يتكلم عن أمي، لم يكن محبا أبداً لها. أومات ببطء. وقلت له: «مررت بهذا من قبل».

تكلمت بهدوء و طاعة، بالطريقة التي كان يريد لها، لم أكن أنظر إلى عينيه، واستمررت في الصدود عنه، ربما كان نوعا من الاحتجاج، لو كنت أنا هذا النوع من النساء. أطبقت فمي، جاء ثم عاد مرة ثانية، كان هذا ما أردت أن أقوله لنفسي.

لقد ترك مارهم، وها هو هنا، يجب أن يعني هذا شيئاً،
لم أستطع التخلص من الشعور بأن شيئاً ما على وشك
التراجع والانهيـار.

«سميلاً» كانت تجلس في أحضاني تلعب بـ«التابـلت»،
كانت منغمسة في لعبة الأميرة، حاضرة الذهن فيما
تفعله، حتى أنها لم تشعر بوجود «أليكس»، بخلاف
ذلك لكانت قفزت وارتمت في أحضانه، مما دفعني إلى
عدم الشعور بالغيرة.

قلت لنفسـي، من أجلها، يجب أن تفعلـي كل شيء من
أجل ابنتك، هذا لزاماً عليك.

قلتُ بصوت عالٍ: «الأطفال» عندما يكون هناك أطفال
في الكادر، يجب عليك أن ترعاهم، لا شيء آخر يهـم.

لا أعرف ما الذي جعلني أشعر بالشك. أكانت حركة
مفاجئة؟ ورائي؟ هل أبدل «أليكس» مكانه عند
المدخل؟ هل كان يرسل نظرات تعني عدم الرضا؟
ربما كان سكوته هو الذي جعلني استدير، «أليكس»

الذي لم يكن أبداً صامتا . نظرنا إلى بعضنا البعض، وما رأيته في عينيه جعلني أترك «سميلا» بعناية وأنهض، عندما يكون هناك أطفال في الكادر.

وكانما غمرتني موجة من صقيع، أخذت خطوتين إلي الأمام، انحنيت أمامه متوسلة إليه «قل لي إنه ليس صحيحاً». قل لي «أنها ليست حامل»

لسبب ما، لاحظت أن «أليكس» كان يحمل هاتفه، قبل بضعة دقائق، قبل أن أشعر بوجوده ورأي في غرفة «سميلا»، كنت قد سمعت بابا المكتب وهو يفتح، ألم يغلق الباب منذ فترة طويلة؟ ما الذي كان يقوم به «أليكس» هناك؟ التحدث في الهاتف؟ مع من كان يتكلم ؟ كانت الإجابة واضحة، ولكنني رفضت نطقها، ببطء انتقلت بنظري إلى الوجه الخاص بالرجل الذي وعدته ذات مرة أن أحبه، في المرض و الصحة. كان يتسم لي، أحد جفنيه بدأ في الإرتعاش، غريب. ممكن أن تفسر هذه الحركات الصغيرة السريعة بأنها ناتجة عن الخوف والاضطراب، لكنني عرفت ذلك، كان هناك شيء آخر مختلف تماما . إنه انفعال.



سألني بهدوء «أريد أن أعرف» إلى أي مدى كنت على استعداد في الاستمرار، أمن أجل مصلحتي، أم من أجل مصلحة العائلة؟

عندما تزوجت «أليكس» أُجبرت على الانتقال بعيدا عن أمي، عندما أنجبت «سميلا» خفضت ساعات عملي إلى النصف تدريجيا، ثم توقفت عن العمل بالكامل. لم أر أي من زملائي السابقين. لم أقم بصداقات جديدة. و لم أتحداه أبدا، لقد تعلمت ألا أفعل ذلك بعد تجارب عديدة أثناء تلك السنوات مع «أليكس»، وذلك كلفني كثيرا، حياتي الاجتماعية، عملي، استقلالي - والاستسلام هو ما فعلته، استسلام دون قيد أو شرط.

ما الذي تبقى، لاشيء؛ حتى أمي لم تعد موجودة في حياتي. ومع ذلك سألني «أليكس» ذلك السؤال، موضحا أنه كان يتوقع أكثر من ذلك، بينما هو.. مرة أخرى.. مع بعض النساء، في مارهم، في الكابينة، لا أعرف كيف حدث هذا، لكنني فجأة، وجدت نفسي في طريقي تجاه الصالة والباب الأمامي، ثم يتبعني «أليكس». عندما توقفت لأخذ مفاتيح السيارة من



خزانة الملابس، أمسك بيدي، وراح يطوحها يمينا وشمالا، ثم ضم جسدي إلى جسده، ضغط ب صدره عليّ، أقفل عيناه على شفتي، كما لو أنه يريد أن يقبلني، ثم قال لي «من دوني أنتِ لاشيء» .

هذه الكلمات... كم مرة قالها في وجهي، لا أعرف العدد الحقيقي، قالها كثيرا بنفس الطريقة، ولكن كان هذه المرة مختلفا على حد ما.

ابتعدت وركضت خارج الباب. لم أطلب الإذن. لم أقل إلى أين أنا ذاهبة، أو متى أخطط للعودة، توقف عقلي تماما عن التفكير. توقف الوقت عن الدوران.

السيارة تقود نفسها، فقط عندما رأيت إشارة الخروج من مارهم، عندها أدركت أن هذا هو المكان الذي كنت فيه. كنت أتجه إليه طوال الوقت. كانت هناك سيارة تقف خارج الكابينة، نفس السيارة التي كانت من قبل، وقفت وراءها، خرجت من السيارة، ووقفت لبرهة من الوقت خلف الأشجار، على مدار بضعة أيام فقط، كل شيء تم أخذه مني، ليس فقط أمي، وأيضا عائلتي،

حياتي المنظمة، بارتعاش حدقت في جدران الألواح الخشبية المرئية من خلال السياج، معتقدة إنك كنت في الداخل، الشخص الذي رفض أن يسمح لي أن يكون لدي ركن صغير لأعيش فيه بسلام، الشخص الذي اقتحم حياتي وحطمها بالكامل، بدون أدنى تردد، الشعور بأن شيء ما على وشك المجيء عاود التراجع مرة أخرى.

في السيارة اتصلت بالمنزل «سميلا» أجابت، ماما، أين أنت؟ متى ستعودين إلى البيت؟

أستطيع ملاحظة نبرة صوتها و أنها بحاجة إلى، مشتاقة لي، لأمها. ما أجبرت «سميلا» أن تتحمله طيلة الأيام القليلة الماضية. كل ما لم أتمكن من حمايتها منها.... هناك شيء كنت في حاجة لتعويضها عنه

لا أعرف كيف أو لماذا. أنا أعرف فقط أنني شعرت كما لو أنني لا أمشي على الأرض، كما لو أنني مثل عنقاء تنهض من الأنقاض، انفض الغبار عني، أقوى من أي

وقت مضى، لقد ضاع الكثير، لكن ليس كل شيء.
سأقاتل من أجل ما تبقى، أكافح من أجل ما تركته، من
أجل ما كان لي.

أخبرت سميلاً أنني أحبها، بأنها النور الذي يرسم
حياتي. شرحت لها أن والدتها كان عليها أن تفرغ من
شيء ما، وعندما ينتهي ذلك الشيء، سوف أعود مرة
أخرى. ووعدها هي و بابا أننا سوف نعيش حياة
سعيدة . وبعدها طلبت التحدث إلى «أليكس». بمجرد
أن سمعت صوته على الهاتف، أخبرته أين أتواجد.

«الإجابة على سؤالك» وأضفت، هذا ماكنت أنوي فعله
مهما كلفني الأمر.

أن أذهب بقدر ما هو ضروري. لقد استمعت إلى نفسي
أتحدث بريادة جأش لم أعهد لها من قبل، وبعدها
انتظرت، استغرق الأمر دقيقة قبل أن يقول «أليكس»
أي شيء، سمعت طقطقة وكحة، كما لو كان يوازن
الكلام بصمت، بينما كان يملس بأطراف أصابعه على

الهاتف، رد و قال «الكابينة مؤمنة» إذا حدث أي شيء،
إذا حدث على سبيل المثالحريق

سنحصل على الكثير من المال، قد يكون هذا شيئاً
يجب تذكره»

شعرت بصلابة في رقبتى واستدرت إلى الوراء للنظر
إلى الكابينة، لقد أدركت فجأة، أن الفجوة التي
أصبحت في صدري عندما ماتت أمي تم فتحها مرة
أخرى، وامتلاأت بالكراهية، وعرفت أخيراً أين أوجه
تلك الكراهية. هذا المشروع الذي ذهبت إلى مارهم من
أجله، لإنهائه، قلت «ربما أستطيع مساعدتك في ذلك»

هل هذا ما تريده؟

«إذا فعلت» هل ستفعل هذا من أجلي؟من أجلنا
جميعاً؟

أنهيت المكالمة و خرجت من السيارة مجدداً، مشيت
إلى الكابينة وحاولت فتح الباب، كان مغلقا، نظرت
أسفل العتبة و لكنني لم أجد المفتاح، لا مجال

للتراجع. لا أستطيع أن أفقد شجاعتي الآن. بدون
«أليكس».

و سميلا، بدونهم أنا ميتة أنا لاشيء، ولا أملك شيء،
عيوني تلسعني ربما بسبب الدموع و لكنني استجمعت
قواي مرة أخرى، البكاء ليس هو ما أريده، ما أريده
بالفعل هو كسر رقبتها.

لم أفكر أبداً أنه كان لي، أنا حقا لم أفعل. و لكن الآن...
لا شيء كما كان، حتى أنا و بالأخص أنا، من يعرف ماذا
أفعل، أفكر في قتل شخص ما، لا أعتقد أنني قادرة
على ذلك، ولكن ربما كنت مخطئة، كان يوجد وراء
السقيفة مجداف قديم، ذهبت والتقطته ثم طرقت
الباب.

(36)

عندما أتيت، استلقيت على الأرض الصلبة، رأسي تؤلمني، ولكن بطريقة مختلفة عن ذي قبل، كان الألم أكثر حدة، متمركزا في جهة واحدة، أريد بالفطرة الغريزية أن أحك فورة رأسي، و لكن لا أستطيع، أيدي مكتوفة موضوعة على صدري، حاولت مرة أخرى، هذه الحركة ترسل موجة كبيرة من الألم إلى كتفي، كما لو كان يتم تقطيعي بواسطة عشرات السكاكين الحادة. إنها تؤلمني بشدة، وأنا لا حول لي و لا قوة، أسمع ضوضاء حفر بالقرب مني، ظل يتحرك من أمامي، يصدر صوتا خفيضا، الكادر يتشوش وقبل أن يصبح العالم أسود يرجع مرة أخرى، المرأة بالخارج، صرخاتها، المجداف في يدها، مرة أخرى قمت بتحرير معصمي، ولكن هذه المرة بعناية أكبر.

أستطيع أن أشعر بأن الحبال توثقهم، رؤيتي مهتزة، وأوجه صعوبة بالغة في التحرك أو تبديل الحركة بمجهود هائل، مما يؤدي إلى المزيد من الألم، أدت رأسي حتى أتمكن من رؤية باقي الغرفة . أين أنا ؟

سرعان ما ربطت السطح الصلب بأقرب الأشياء على مرمى بصري، الجزء السفلي من الأريكة، طاولة القهوة، مازلنا في الكابينة، أنا مستلقية على السجادة في غرفة المعيشة، يجب أنها سحبتني هنا عندما مررت.

نعومه فروة رأسي جعلتني أعتقد أنها جرجرتني من شعري. وبسرعة، قمت بتحريك قدمي، ولم أتفاجأ عندما وجدتهما مقيدتان. أغلقت عيني مجددا، أشعر بالألم يدق في رأسي وكتفي .

حالة من خمول وألم تجتاحني، استسلام ينتشر في أنحائي، حتى لو لم أكن مقيدة، لن أستطيع الحركة أيضا، على الأقل كنت سأحاول أن أنهض وأهرب، لا يوجد شيء أستطيع فعله، لا شيء سوى الانتظار، صوت الخزائن التي تفتح و تغلق في المطبخ يصل إلى أذني، ضوضاء هسهسة، ثم خشخشة ما، و بعد ذلك صوت سائل ينسكب، عندها سمعت صوت خطوات ثابتة تقترب مني، تقول بصوت قاسي و شديد، «اشربي هذا» أجبر عيناى أن تفتح، في البداية وجدت صعوبة فى الرؤية و التركيز، و لاحظت كوبا



زجاجيا يقدم إلى، اليد الممسكة بالكوب الزجاجي شاحبة ورقيقة، نفس اليد التي أمسكتني من معصمي، المرة القادمة التي تواجهين فيها موقف ساحق أو مفاجيء فإن الأسلوب النمطي سوف يكرر نفسه، الأمور سوف تزداد سوءا بالنسبة لك، و سوف تغامرین بفقدان السيطرة والتوازن، في أسوأ السيناريوهات، هذا النوع من الحالة الذهنية يمكن أن يكون له عواقب وخيمة لك أو للمقربين لك.

طبيبتى النفسية السابقة و ووالدة «سميلا»، إنهم نفس الشخص، الزوجة مجهولة الهوية التي لم تبد لي حقيقية أكثر من صورة كرتونية، إنها هنا طول الوقت، لا يبدو ذلك ممكنا، هذا جنون، حتى لو كنت أرغب في أخذ الكوب الزجاجي، فلن أستطع، زمجرت المرأة بعدم صبر، كما لو كان خطئي إنني مقيدة، وضعت الكوب جانبا، يبدو أنها أدركت أنني في حاجة للمساعدة كي أشرب، أمسكتني من تحت ذراعي، وسحبتني بقسوة لوضع الجلوس، صرخت من الألم في كتفي و لكنها لم تبالي.

أجلستني بجوار الأريكة، تدفعني بكوعها إلى أن أكتسب جسدي بعض التوازن كما لو أنني جوال من البطاطس، أو أنني شيء غير حي، وعندها حملت الكأس إلى شفتي.

«هيا اشربي هذا». حنجرتي ظمآنة من شدة العطش، أطعتها وأخذت جرعة كبيرة. أحسست بحرقان في حلقي، و على الفور أدركت خطئي، لماذا أعطتني شراب كحولي؟ قمت بتدوير رأسي بعيداً عن الزجاج وبصقت بقرف، محاولة أن أتخلص من آخر قطرة بداخل فمي .

ماذا... لماذا؟ لساني جاف ومتورم، ولا أستطيع السيطرة عليه، و لكن الكلمات المفككة التي أبدو في تفسيرها.

أنا أعرف كل شيء عنكما، لقد قال لي «أليكس». «أنا أعرف حتي عن الطفل. الرضيع. أنت تتوقعين طفلة، يجب أن تعلمي أنه شيء ببساطة لا يمكنني قبوله.»



اقتربت أكثر وشممت رائحة شامبو، حلوة، رائحة عطرة زهرية، إنها تشبه تماما رائحة «سميلا».

حسنا. «اشربي الآن الباقي»

كلماتها تتردد، وهي تعطيني الكوب الزجاجي، نظرت لعينيها، لونهما أزرق فاتح، أذكر أنها جلست إلى جانبي على كرسيها ذو الذراعين، تستمع بصبر إلى أخباري المراوغة فيما يزعجني حقا، كل سؤال طرحته يتم الإجابة عليه بسؤال آخر، لم تسرد شيء عن نفسها، الآن هي تجلس أمامي، نفس المرأة، و مع ذلك فهي مختلفة عن المرأة التي عرفتها من قبل، أنت تتوقعين طفلة، أنا ببساطة لا أقبل ذلك، إنها تخطط لشيء آخر، نحن نحدق في بعضنا البعض، الكراهية التي تشع منها كانت واضحة، هل كانت تمتلك هذه الكراهية في ذلك الوقت ؟ الكراهية المخفية خلف قناع وجهها زائف.

«أنت....، بصوت أجش. «أنتِ قلتي...»



كل شيء يعتمد على الاعتراف الشخصي، على الرغم من حالتي غير المتزنة أدركت أنه يجب عليّ بطريقة ما إن أذكرها بي لتراني، ليس كامرأة ارتكب زوجها الزنا، ولكن كمريضة سابقة.

شخص ما كانت لديها علاقة مهنية به، أو حتى مسؤولية، إذا كنت فقط أستطيع جعلها تدرك من أكون، لن تكون قادرة على إيذائي. أو إيذاء الطفل بداخلي. أتنفس، وأحاول البحث عن صوتي الضائع، «طبيب نفسي، أنتِ طبيبة نفسية».

لا يزال وجهها صامتاً. إنها حتى لا ترمش.

«هل تتذكريني؟ أنا كنت-»

ردت، «أغلق فمك وأشربي».

أدركت أنها تعلم من أنا، لقد تعرفت إلى، و لكن هذا لا يهم، إنها مجرد مصادفة غير سعيدة، و لن تؤثر إطلاقاً على خططها، أراجع، أشعر بأن جزء من جسدي يسقط على الأرض، لا أريد شيئاً أكثر من محو من ذاكرتي،



كل شيء قاله وفعله «أليكس» معي، كل ما حدث بيننا وأريد أن أفعل ذلك الآن، لا مجال للصبر لدي، أريد أن أقلعه من جلدي كمثّل ضمادة قديمة، لا يهمني إذا كان خلعها مؤلم، أنا أبتلع بصعوبة.

ما تركه داخل جسمي- لو سمحت له بالنمو والعيش- سوف يذكرني به إلى الأبد.

ببطء شديد، أحرك رأسي من الشمال إلى اليمين، لا، لن أفعل ذلك.

أصابع صلبة تنزعني من ذقني و تجبرني على فتح فمي، قبل أن أفهم ما يحدث، كان هناك سائل يتدفق داخل حنجرتي، لا أستطيع التنفس، ولا البلع، لكّ أحصل على الهواء عيناى ممتلئتان، بالدموع من الألم والهلع، أفكارى تدور فى دوامة لا نهائية.

لا أستطيع أن أتركها تؤذى الحياة التى تنمو بداخلى، دفعت رأسى بقوة حتى أن ذقنى ضرب حافة الكوب الزجاجى، وتسبب هذا فى وقوع الكوب من يديها، كل



شيء حدث في وقت واحد، حركتي المباغتة جعلت كتفي يؤلمني مرة أخرى، وما تبقى داخل الكوب سقط على صدري، بلل قميصي، جلدي يمتص الكحول أثناء مروره عليه، في نفس الوقت يد ضربت خدي بصفعة مدوية، جعلت رأسي على وشك الانفجار.

قالت حسنا، علينا بتكرار المحاولة بطريقة أخرى، ثم أمسكتني ثانية أقل أو أكثر، ثم رمتني فارتطم ظهري على الأرض، هبط جزعي بخبطة عنيفة، سهام الألم العنيفة تخترق رأسي و كتفي، تشرق رؤيتي إلى عشرات من المناشير الزجاجية المتلألأة، ثم تظلم الدنيا ببطء، بطريقة أو بأخرى لا بد لي من البقاء واعية، لا يمكن أن أستسلم للإغماء، هذا كل ما أفكر فيه. أشعر أنها تبتعد عني، متجهة إلى الباب الأمامي.

وفجأة، خطرت في بالي فكرة جديدة، الفأس ماذا لو وجدت الفأس، كل شيء سينتهي، بطريقة ما أحتاج أن أنهض وأدافع عن نفسي، أقاتل من أجل حياتي، لا أستطيع أن أقف، لا يمكن أن أتدحرج على جانبي، لذا دعنا ننهي الأمر، على ما أعتقد أنها دفعت الباب بقوة



خلفها، لم أسمع صوت مفتاح يدور في القفل، و لكن هذا لايهم، أنا لن أستطيع النهوض من هذه الأرضية، والظلام يزحف ببطء، ببطء، نظرت على السقف مرة أخرى، لكنه غاب أيضا في الظلام.

(37)

خطوات بطيئة وثقيلة، شخص ما يتمم بكلام يخص البنزين، أنا متأكدة أنه يوجد صفيحة من البنزين في السقيفة، سمعت صوت أمي، كانت مندهشة و حذرة في البداية، وبعد ذلك قلقة ومضطربة فجأة توقفت العبارات، الدقائق تمر، مرة ثانية افتقدت الإحساس بالوقت، أجفاني ترفرف، مفتوحة، ملامح مألوفة تنظر لي، تجلس على بعد مسافة مني، ساكنة .

ماما !وجدتني، لقد أتيتي!

كان هذا ما أريد أن أصرخ به، ولكن فمي رفض أن يطيع ،بطريقة ما، تمكنت من التحرك بما يكفي لجذب انتباه أمي، تبكي، تميل إلى الأمام، القلق يملؤها، قالت

«جريت» أنا هنا الآن. هل أنت بخير؟ هل هي مربوطة بإحكام ؟هل هذا هو سبب عدم اندفاعها نحوي؟ شفتاي تشكل كلمات، و لكن لا شيء يخرج.

أمي تتوسل «من فضلك» وتحول رأسها، «دعيني
أذهب إلى ابنتي وأرى كيف هي»

إذن هي ابنتك؟ أصوب نظري في الاتجاه التي تنظر
إليه أمي لأراها، إنها تتكئ على الحائط ليس أكثر من
بضعة أقدام من الكرسي حيث تجلس أمي، شعر
طويل أشقر يسقط على وجهها.

فستان صيفي أزرق مزهر، و سترة من الصوف
المشغول، عادية ومنتشرة، كانت ستبدو كأي امرأة
أخرى، إذا لم يكن معها هذا الشيء الطويل في يديها،
بمجرد أن أدركت ماهية هذا الشيء حتى انهارت
معنوياتي ولكنها عادت لترتفع في وجود أمي، مرة
أخرى وجدت الفأس الذي أحضرته للدفاع عن نفسي
،لذلك من السهل معرفة لماذا لم تجرؤ والدتي على
التحرك بدون إذن. «دعيني أذهب إليها»

مسدت الطبية النفسية شعرها بانفعال شديد، إلى أن
تشبك أصابعها في عقدة، تحاول انتزاع يدها عدة
مرات، على أن حررتها في النهاية.



تحركاتها غير منتظمة، يبدو أنها مشوشة وغير مؤكدة.
لم تكن هي عندما كنا نحن الاثنين معا، فقط لماذا أنا؟

عندما حضرت إلى الكابينة كنت وحدي، كما كنت متوقعة لوصول أُمي، أخذتها المفاجأة.

هل لديك أطفال؟ سألتها أُمي بدون الارتعاش الخفيف في صوتها، إذا كان لديك أعرف أنك فهمت.

صمت للحظة، يبدو أن الطيبة المعالجة تفكر مع نفسها، وأخيرا، لوحت بالفأس في وجه أُمي. حسنا، لكن تذكري، لقد حصلت على هذا، لو حاولت فعل أي شيء لن أتردد في استخدامه، ماما كانت راحة إلى جانبي، حبيبتى ما هذا التي أقحمتي نفسك فيه؟ بلطف لمست وجهي بيديها، تحرك أصابعها الباردة على وجهي ورقبتي، أفكر إنها يجب أن ترى العلامة، علامة رباط عنق «أليكس»، أجبت على سؤالها، ثم تذكرت فروع الشجر التي احتكت بي في الغابة، والجرح أعلى عيني، المجداف الذي صفعني على جانب رأسي وكتفي، أفكر في المشروب الكحولي الذي سال على

صدري، نعومة فروة رأسي، ويدي وساقاي الموثوقين،
كدمة عمرها ثلاثة أيام، من المحتمل أن يكون شيء
آخر مزعج عن مذهري في الوقت الحالي.

مالت أُمي أكثر كما لو أنها تريد أن تقبلني، بدلا من
ذلك، سمعتها تهمس في أذني.

«لم أكن أعلم أنها كانت هنا، لقد هاجمتني، أخذت
حقيبتني وهاتفني في اللحظة الأولى...»

خطوات سريعة تقترب، تم طرد ماما، عندما كان
تقودها للخارج، سمعتها تتوسل لها، «من أم إلى
أخرى».

كل هذه الكدمات و الجروح.... ابنتي حقاً بحاجة لي
الآن. ولديها حمى شديدة. على الأقل دعيني أعطيها
بعض الماء. الكلام عن الماء يجعلني أشعر بألم في
حلقي. رأسي تبدو و كأنها مشتعلة، أحتاج أن أشرب
أي شيء، الآن فعلت ذلك حقاً. ولكن صبر الطيبة



النفسية علي ما يبدو قد نفذ، مع عدم تأكدها بشأن اتخاذ قرار ما.

بفضاظة، رجعت أُمي إلى الكرسي حيث كانت تجلس من قبل.

وقالت ببرود « لست ملزمة أن أفعل أي شيء » الشيء الوحيد الذي أحجاجة الآن هو أن أنهي هذا. مالت على أُمي لتفعل شيء، ولكن لا أعرف ما هو، لست في حاجة إلى ربطتي «قالت ماما بهدوء.حتى لو تمكنت من فك «جريتنا»، فهي ليست في وضعية تسمح لها بأن تذهب إلى أي مكان. و أنا لن أحاول الفرار.أنا لن أغادر هذه الكابينة بدون ابنتي.

توقفت الطيبة النفسية للحظة، أكاد أرى من ظهرها أنها مترددة، ثم إنها استنكرت وتوقفت عما كانت تفعله، تمت «لم يكن عليك المجيء إلي هنا» لست أخطط أن أترك أي شهود، رعشة ترج جسدي كله، بقلق أحاول أن أتحرك، أشعر بالرباط يأكل معصمي. ماالذي تنوين فعله بالضبط ؟ سؤال أُمي لم يتم الرد عليه،



تتمتع الطبية النفسية بلغة جسدية قاسية، تمسك
 الفأس بكلتا يديها، نظراتي مثبتة على وجه أمي، على
 شفتها العليا تكون القليل من العرق، لفترة طويلة لا
 أحد يتكلم، ثم إن أمي مدت يديها نحو الفأس، وقالت
 لها «إعطه لي» أعطني الفأس، حتى لا تفعلين شيئاً
 تندمين عليه.

إنها نبرة الصوت المتسلطة المسيطرة عليها، والتي
 أعلمها علم اليقين. أشعر بوخز تحت ثنايا جلدي كلما
 سمعته، لا يا أمي لا تفعلي، لا تفعلي ذلك.

تستمر أمي بتملقها وملاطفتها «أنت لا تريدين فعل
 هذا»

خطت الطبية النفسية إلى الجانب واعتضت رؤيتي،
 لا أستطيع أن أرى وجه أمي بعد الآن. لا أستطيع سماع
 صوتها، «أشعر أن بداخلك امرأة ذكية وراشدة، أنت
 غاضبة أشد الغضب، الآن أنت تعرفين أنك لا
 تستطيعين إيذاء «جريت» تعرفين أن هذا لن يكون
 جيداً».

الفرع يتزايد على شكل نحيب بداخلي، تتقلص عضلات وجه الطيبة، ألا ترينها يا أمي؟» ألا تفهمي؟ ابق صامته»، ولكن أمي لم تفعل ما قالت، نهضت وواجهت المرأة وجها لوجه، كلا منهم نفس الطول، «دعيني أخبرك عن ابنتي»

«أنا أحذرك لأنك لو تعرفين «جريت» كما أعرف، لو تعرفين كيف تبدو لن تكوني قادرة على إيذاؤها».

شيء من كلام أمي أثر فيّ، لمسني، وطمأنني بعض الشيء.

ولكن هذا امتد لدقائق، و بعدها رفعت الطيبة النفسية صوتها، ودفعت أمي بكوعها على الأرض، وصرخت بصوت عال رن في أذني.

-«أنا أعرف. أنا أعرف بالضبط من تكون ابنتك. إنها عاهرة وسفاحة»

تدور حولنا، تتحرك بسرعه كبيرة؛ حتى إن شعرها الأشقر يشق اهلاء فيصدر أصواتا مثل صفير سياط،

ثبتت نظراتها نحوِي. رفعت الفأس. واندفعت إلى
الأمام.

(38)

كان لزاما على أن أغلق عيني، لأنه للحظة أصبح العالم كله أسود، سمعت صراخ، فتحت عيني، وعلى بعد عدة أقدام قليلة، كانت والدتي ملقاة على الأرض، وإحدى ذراعيها ممدودة نحوي، بينا طاولة القهوة، تقف الطبية النفسية، يدها ترتفع، ثم تنزل بالفأس، والذي شق أهلاء بقوة، وضرب هدفه، قسمه إلى نصفين، الطاولة احتجت بصري مدو عندما انشطرت إلى نصفين، ضربتها مرارا وتكرارا بطريقة غريزية، استدرت لأحمي وجهي وجسدي، عيناى لا تكاد ترى، نظرت أسفل الأريكة أستمع لذبح الطاولة المستمر وراء ظهري .

شيء أصاب رجلي، بلاطة جافة هبطت على وجهي المملوء بالعرق البارد، لم أسمع صوت الفأس يدور في الهواء، أو تحطم الخشب إلى أشلاء، لبضع لحظات طويلة لم أجرو أن ألتفت ورائي، خوفا مما سوف أراه، ولكن أخيرا تدرجت بحذر لأرى الحجرة، الشيء

الذي أصابني سقط على الأرض وتدحرج، كانت قدم من أقدام الطاولة.

ما تبقى من حطام طاولة القهوة انتشر في جميع أنحاء غرفة المعيشة، قطع كبيرة وصغيرة.

ماما مازالت مطروحة على السجادة واضعة يديها على أذنيها، تئن بهدوء، اختفى التعبير الفضولي ونبرة الصوت. كما لو تم تجرديها من دروعها الواقية والآن هي ببساطة نفسها.

ببساطة أمي.

ركعت الطبية النفسية على ركبتَيها أمامها، وسحبت يدا أمي بعيدا عن أذنيها، «الآن جاء دورك للاستماع، وأنا أسرد لك قليل عن ابنتك المحبوبة» ألا تعرفي أنها أغوت رجلا متزوجا، رب أسرة، زوجي، والد «سميلا».

أمعنت والدتي النظر إليّ، أعرف أن عيناها مليئتان بالأسئلة الموجهة، كما لو أنها ستتنطق بهم بصوت عالٍ.

«لذلك هذه هي المرأة التي....؟ إنه زوجك...؟ والطفل الذي تحمله»، حيث الألم و الإنهاك سيطروا عليّ مرة أخرى، الطبيبة النفسية جلست مربعة الأرجل على السجادة، تجمع الأجزاء التي طارت من الطاولة المحطمة، تتحرك بطريقة ميكانيكية، شعرها مطو خلف أذنيها، تاركا وجهها واضح، أصبحت رؤيتي أكثر حدة، الآن أستطيع أن أراها بوضوح. ألاحظ الملامح المتوترة، والبقع السوداء تحت عينيها، هل قال لها نفس الأشياء؟.

«الجزء الخاص بزواجك»... صوت أمي ضعيف وتركت الجملة دون أن تكملها، عوضا عن ذلك بدأت من زاوية مختلفة.

و لكن السفاح....

أنا لا أفهم لماذا قلت هذا؟ ماذا تعنين؟ الطبيبة النفسية لا يبدو عليها أدنى خوف أو ارتباك، وعلى الرغم مما حدث للتو، لا يبدو أن المرأة أعادت النظر في قرارها بعدم ربط أمي، فجأة أدركت السبب.



كانت تعرف أنها تمتلك الورقة الرابعة بمجرد أنها سترد الضربة النهائية، مما يجعل أُمي لا حول لها ولا قوة .

«قبل عدة سنوات، وقبل كل هذا، كانت ابنتك واحدة مع عملائي، لقد أتت فقط عدة مرات، لكنها أخبرتني.... حسناً، اسمحي لي أن أضع الموضوع على هذا النحو: أنا أعرف سرك الصغير القذر. «إن ابنتك دفعت بوالدها الذي هو زوجك من خارج النافذة، هي التي قتلتته».

خيم السكون على الغرفة مثل غطاء معتم، لفترة طويلة، لم أتمالك نفسي، وكنت أنظر إلى أُمي، و لكن في النهاية كان عليّ أن أفعل هذا، بالطبع هي مستلقية على جانبها محدقه النظر إلى سقف الغرفة، وشفتها مشققة، لا أستطيع النظر إليها، بدت كما لو أنها تم تحطيمها إلى قطيعات صغيرة، وبدا أن شخص وضع الأجزاء في أماكنها الخاطئة.

لم أرَ هذا التعبير منذ سنوات، ليس منذ تلك الليلة، نظراتها تنزلق من السقف على الحوائط وتتركز على عيني.

أنتِ اخترتها؟ أعتقد أننا تعاهدنا ألا نخبري أحدا بما حدث.

لأول مرة في عمري أرى شيئا مثيرا للشفقة في عينيها.

«ماما. أرجوك. كنت في الثامنة من عمري»

ربما قلت ذلك بصوت عال، ربما فكرت فقط في الكلام، أنا لست متأكدة، ربما بسبب الألم و القشعريرة التي تضربني، غيوم أُمي تتحول إلي الداخل، إنها تنزلق بعيدا عني، داخل نفسها. «نعم، بالطبع». على الأقل سمعت ما اعتقدت أنها كان تهمس به .

نعم بالطبع، استمرت الطيبة النفسية في العمل بتركيز كبير، تتحرك بسرعة، وبعد فترة انتقلت إلى رف المجلات، إلى حزمة مربوطة من الصحف، مزقتهم



بنفس الشراسة التي هاجمت بها طاولة القهوة، ثم وضعت بعض من الصفحات الممزقة أسفل قطع الخشب الكثيرة، والبعض الآخر على القمة. تحتضن الفأس، بينما هي جالسة مربعة الأرجل، في وضعية استعداد وتأهب، أدركت أنها في طريقها إلى صنع حريق كبير.

دوامة صغيرة من الغثيان تزداد بداخلي، هذه هي خطتها، أن توقد نار هنا على الأرض، أن نندفع بمجرد أن تشتعل النيران وتحاصرنا، ربما أغلقت جميع النوافذ عندما كنت فاقدة الوعي، لم أكن قادرة على الخروج عندما بدأت النيران في الاشتعال، حتى لو تمكنت من النهوض والترنح إلى الباب؛ فلن تسمح لي المرأة بالهروب من النيران، سوف يكون بإمكانها فعل أي شيء لتتأكد من بقائي في الكابينة، حتى تجتاحها النيران تماما. بحلول ذلك الوقت، سوف ينتهي الأمر، بالطبع. كم من الوقت يستغرق ملء حجرة بالدخان؟ لاستنفاد كمية الأوكسجين الموجودة، ليس أكثر من بضع دقائق.

أدّرت رأسي إلى الجانب الآخر، فتحت فمي، و تركت
القيء ينسكب، أشعر أنني أسقط، أغرق، لا أمل في
الخلاص.

لو استطاعت أُمي فقط الهروب. حقا ما كان عليها أن
تكون هنا، ليس لها علاقة بأي من هذا.

أراها تسند نفسها ببطء على كوعها، وتتحرك لوضعية
الجلوس على الرغم من أننا في نفس الغرفة، صوتها
يبدو بعيدا، كما لو أنه يأتي من مسافة بعيدة .

«أنا أعلم جيدا كيف تشعرين».

أنا لست الشخص الذي تتحدث إليه، الطيبة النفسية
توقفت واستدارت لترى عبر أُمي، شيء ما يشتعل
على وجهها، شيء صغير من الحيرة والتردد، عاودت
مرة أخرى ما كانت تفعله، تتأمل الأرفف والطاولات،
وتحاول البحث ربما عن ولاعة. نهضت وأخذتها ثم
اتجهت إلى كومة من الخشب على الأرض.



قالت أمي « في أغلب الأحيان أفترض أن أغلب الناس يكذبون ويحاولون أن يخفوا شوؤنهم، ولكن ليس زوجي، كان يستمتع برميها في وجهي، مستخدماً إياهم كسلاح ضدي عند جدالنا الكثير، الحقيقة البسيطة إنه كان يستمتع بإيذائي .»

تحقق أمي إلى الأمام، شعرها في حالة من الفوضى، وبلوزتها متجعدة، و لكنها لا تعطي أي انتباه لمظهرها، كلماتها تبدو عارية ومكشوفة، لكنها جادة بكل معنى الكلمة.

يدا الطيبة النفسية مازالت تعمل، و لكن هل أنا على حق في الاعتقاد أنها أبطأت؟ كما لو أنها في انتظار شيء ما؟ ماما مستمرة، لا تزال لا تنظر إلى أي منا.

خلال سنواتنا معا، كان يخدعني باستمرار، كان هناك دائما امرأة جديدة، ولطالما حلمت بالأخذ بالثأر، تمزيق وجهه إربا، أمسك بشعر امرأة وأضرب جمجمتها على الأرض، يد الطيبة النفسية ترتعش، تفقد السيطرة على الولاة، لا تقوم بأي محاولة لإشعال الولاة، شعرها

الطويل معلقا على جبهة رأسها، يخفي عينيها، ثوان عديدة مرت، صوت مكتوم «قال ما الذي أدركته؟».

إنني كنت أوجه أوهام الانتقام إلى نحو الاتجاه الخاطيء، إن هؤلاء النسوة، كان ليس لديهن ما يفعلنه، هو الذي اختار أن يحطم الحياة التي تقاسمناها، هو الذي دمر حياتنا، أضغط على أعيني لأقفلها، لدي الرغبة وعدم الرغبة في الاستماع، لو ماما لم تتوقف، لو قالت أي شيء، مرة ثانية إبهام الطيبة يتحرك صعودا و هبوطا، تنقر الولاة ثم تطفؤها فعلت ذلك مرارا وتكرارا .

« هذا ما يريده » .

قالت في النهاية، تقريبا بتحدٍ. «قال لي ذلك».

إن «أليكس» يعرف أنها هنا، يعلم بخطتها، ليس فقط على علم، ولكن ربما أمرها بأن تفعل ذلك، طلب منها أن تتخلص مني، الغرفة تدور، أشعر بيديه على خدي، طبطبته التي أعطاني إياها في الصباح عندما أخبرته

أنني راحلة، لا، لا تفعلي. وسمعت صوته على الهاتف عندما اتصل في النهاية، أريد أن أمنحك فرصة أن ترجعي إلى رشدك. أود أن أجعلك تدركين أنك لا يمكنك العيش بدوني. هذا ما كان يعنيه حرفياً.

أفهم. وهل هو أب جيد؟ هل سيكون قادراً على ذلك على تعويض غيابك بينما «سميلاً» - أليس هذا اسمها، بينما تكبر «سميلاً»؟

صوت أمي كان هادئاً بشكل غير طبيعي، و قالت «ماذا تعني»؟

رويداً رويداً، زحفت أمي إلى الأمام على مقربة أكثر من المرأة الأخرى، بطريقة غير إرادية قبضت يدي، الحبال تقاومني وتحك في جلدي، الفأس، ماما، عليك أن تأخذي الفأس بعيداً عنها.

و لكن أمي توقفت، ويبدو أن سبب تحركها عبر الأرضية كي تتمكن من النظر في عين المرأة. أن تجبرها أن تحول نظرها عن الولادة، القتل أو الحرق.

كلاهما جرائم خطيرة للغاية. سوف تنالين حكم بالسجن لفترة طويلة، ربما حياتك بأكملها، أفترضت أنك فكرتي في ذلك، وهو أيضا، لا بد وأنه أخذ ذلك هذا في الاعتبار وهو يقول لك أن تفعلي هذا .

مرة ثانية خيم السكون . لفترة طويلة. أشعر باحتقان كبير في وجهي، وعندما بحثت ،وجدت أن الطيبة النفسية تنظر إليّ، كانت لاتزال ممسكة بالولاعة بإحكام، أشارت بإصبعها، عيونها الزرقاء أزعجتني، ولكنها وجهت كلامها إلى أمي، «لقد وقفت وشاهدت ابنتك تقتل زوجك. ثم قمت بحمايتها، جعلت الجميع يعتقد أنها كانت حادثة» .

أخذت أمي نفسا عميقا، وأنا أدرك أنها تستجمع قواها، محاولة أن تجعل صوتها أكثر ثباتا.

«هل هذا ما قالته لك «جريت»؟ هل هذا ما قالته لك على أنه حدث؟»



رمت الطيبة النفسية شعرها للوراء، «لا، ليس بكلمات كثيرة لم تقدر على الاعتراف، عندما وصل الأمر إلى ذلك أطلقت ضحكة عديمة الفرح، لا سعادة فيها.

إنها هربت مني، هذا كل ما قالت. إنني أتذكر ذلك جيداً. من الواضح أنها كانت تكذب. أي شخص سيتذكر شيء كهذا

«ماما لم تجب، فقط أومأت برأسها، كما لو كانت تفعلها بنفسها. بعد ذلك نهضت من على الأرض تترنح المسافة المتبقية إلى الطيبة النفسية، ووقفت إلى جوارها.

« ليس صحيحاً. هذا ليس ما حدث».

توقفت للحظة، ثم انحنت إلى أسفل مرة أخرى، تمايلت أكثر بالقرب من المرأة، حتى إن أنفهما كادت أن ترتطم ببعضها البعض،

«اعتقدت أنك تعرفين ما حدث بالفعل. ولماذا كان على الأمور أن تظهر بالطريقة التي كانت بها».

أغلقت عيني، لا يزال الوقت متوقفا، الصمت هو سيد الغرفة، هل ما تزالان تنظران إلى بعضهن البعض، إذا كان الأمر كذلك، فماذا ترين في عيون بعضهن، لساني جاف وأشعر بتورم في فمي أيضا، رأسي وكتفي يخفقان مثل قلبي المتوجع، بعد دقيقة، سمعت خطوات تقترب، أحسست بشخص يجلس القرفصاء إلى جانبي، أصابع محترسة تلمس خدي، وعندما فتحت أعيني و جدت وجه أمي يحوم من فوق.

إنها تبتسم وقالت بصوت ضعيف. «أنتِ شيء مسكين»، كل هذه السنين، و الآن هذا»

بدون تردد مالت للأسفل لتفك الحبل من حول معصمي، توقعت أن الطيبة النفسية ستوقفها، توقعت أنها ستأتي مندفعة ومعها الفأس، تصيح بالتهديد والوعيد، ولكن هذا لم يحدث. بعد أن تمكنت أمي من فك وثاق يدي، حولت انتباهها إلى كاحلي، بينما تسحب أمي الحبل وتفك العقد ألقيت نظرة خاطفة على الطيبة النفسية، كانت تجلس بلا حركة على السجادة أمام كومة الخشب غيرالمشتعلة، عيناها



مثبتة ناحية الولادة، بعد أن فكت وثاقي نهضت أُمي بتأوه مكتوم ووقفت هناك، تنفست بصعوبة قبل أن تستدير مرة أخرى، المرأه كانت في منتصف الغرفة.

« أنا ذاهبة إلى المطبخ لأجلب لابنتي كوبا من الماء، عندما أرجع سوف أخبرك القصة إن أردت، قصة عن الأمهات والبنات وما الذي يمكن أن يحدث للأزواج المخادعين. و لكن عليك أن تضعي ذلك على الأرض».

ثم إنها خرجت من الغرفة، وتركتني وحدي مع الطيبة النفسية، شعرت أن جسمي متصلب، و لكن المرأة الأخرى لم تتحرك. حتى أنها لم تلقِ بنظرها نحوي، مجرد إنها جالسة هناك ممسكة بالولاعة، تقلبها بين الإبهام و السبابة .

اسمع أُمي تتحرك في المطبخ، تفتح صنبور الماء ثم تقفله، عادت حاملة في يدها كوباً كبيراً من الماء، سحبنتني إلى وضع الجلوس، ثم وضعت ذراعها حول ظهري، و ساعدتني أن أشرب، الإحساس بالماء البارد

الذي يسقط في حنجرتي هو شيء رائع، يجعلني أشعر بالدوار، ولدقيقة نسيت كل شيء.

وضعت أُمي الكوب بعد أن فرغ على طرف الطاولة، استدارت إلى الطيبة النفسية، تابعت نظراتها، رأيت أن الطيبة قد ترددت لوقت قصير قبل أن تسقط الولاة جانباً، ثم ذهبت ماما والتقطتها .

والفأس أيضاً، « لا أستطيع أن أتكلم و هذا الشيء في الغرفة » .

التقطت الطيبة الفأس الملقى بجوارها بدون أن تنطق كلمة واحدة، نهضت، أرجحتها في يدها. للحظة، أنها استجابت فعلاً، و لكنها بعد ذلك غيرت رأيها. الفأس سيبقى. رفعت أقرب ركن من السجادة، ووضعت الفأس تحت ثياباتها، ثم جلست على الكرسي ووضعت يدها على جذعها دون أن تنظر إلى أي منا .

ثم قالت : «هيا..أرو قصتك» «وبعدها سوف نرى».



أخذت أمي نفساً عميقاً اضطجعت على الأريكة خلفي
وقالت بعض فترة طويلة، «حسناً سأخبرك ماذا حدث
بالفعل في وقت متأخر من ليلة سبتمبر منذ زمن
بعيد».

لا أستطيع رؤية وجهها من هذه الزاوية، أدرك أن هذه
هي الطريقة التي تريدها أمي.

(39)

على عكس «جريتاً»، أنا أتذكر كل التفاصيل المتعلقة بتلك الليلة، مثل حقيقة أنني كنت أتجمد، ولكني لم أطلب منه أن يغلق النافذة. السيجارة كانت في يده، وهجها يتزايد كلما سحب نفساً منها، أنا حتى أتذكر كيف كانت ورقة السيجارة تتفكك بين يده، وأتذكر ماذا كان يقول، كل كلمة.

ما تبقى من السائل يتحرك ذهاباً وإياباً في الكوب عندما كان يضربني، بالطبع كانت هذه طريقته. أفضل دفاع. كان هذا هو شعاره عندما كنت أواجهه، ما كنت أراه وأسمعه وأدركه كان يتم التعامل معه بنفس الطريقة، لم يعترف أو حتى ينكر، أو حتى يعتذر أو يطلب الغفران. بدلاً من ذلك كان يسخر ويستهزأ، يطلق هجوماً مضاداً على ويجعلني أشعر كم أنا شخصية مثيرة للاشمئزاز كامرأة. من القرف أنني جعلت قضيبه يهن ويضعف، قبيح بما فيه الكفاية، متذمر وكثير الشكوى.

«...أمك»

اعتدت الظن بأنني قوية، إنه يحتاجني حتى لو لم يدرك ذلك، أقنعت نفسي أنني كنت نفس الشخص الذي معه كما كنت في العمل، مع أصدقائي في داخل العالم.

شخص يرفض أن يتعرض للاستفزاز أو الإهانة نسبيا، هذا عمل جيد، عندما ضرب رجلا في عضوه الذكري مرة ثانية وسبه كثيرا، فقط أعرف أنه عندما يقول «...أمك» أفقد كل شيء، كما لو أنه يمزق كل ثيابي ليكشف عُرِّي، كما لو أنه ينزع ضلوعي عن بعضها ويمسكها في قبضته، ويبعثرها، إلى أن وجد الشيء الهلامي الذي هو أنا. حتى أوقف القدر ذلك بيننا، أجبرني على النظر إليه، ثم إنه أجبرني أن أعترف بما أعرفه وما كان يزعمه طوال الوقت، لا يهم مدى صعوبة محاولة خداع نفسي وباقي العالم للتفكير أنني ذكية ومميزة. في أعماقي كنت لا شيء، كنت عديمة الملامح، كتلة صغيرة ترتعش، هذا كل شيء.



ظاهريا فعلت كل ما بوسعي للحفاظ على الواجهة الاجتماعية، ليس لأنني كنت أخشى أن يكتشف الناس الرجل الذي يعجبهم ويحترمونه، الرجل الذي تزوجته. لا بالطبع. كنت أخشى أن يكتشفوني، إنني ضعيفة تحت السطح يظهر أنه متين وقوي.

«روث» المرأة الوحيدة التي كانت تعرف، وكان مسموحا لها أن تعرف، كم كنت هشة قابلة للكسر، قابلتها من خلال عملي، لبعض الوقت، عملنا في نفس القسم، وعندما تمت هيكلة الوكالة التي أعمل بها، بقينا أصدقاء.

في ذلك الوقت، لم تكن «روث» مهمة فقط بالنسبة لي، بل أيضا عنصر أساسي بطبيعتها العقلانية والثابتة، وتفكيرها السليم. كانت بالنسبة لي شريان الحياة، أثق بها على نحو مطلق، و لكن عودة إلى هذه الليلة، عندما اعتقدت أن الجدل انتهى، وكنت على وشك أن أرتدي سترتي وأخرج للتمشية في الحي لأهديء من نفسي، حدث شيء من شأنه أن يغير كل شيء .

قال لي: «أنا أعرف ما فعلتيه لجريتنا. ضربك لطفلتنا؟ كيف يمكنك أن تفعلي هذا؟

كان صوته حادا، وكلماته قاسية وباردة كهواء يندفع من خارج النافذة، نظرنا إلى بعضنا البعض في صمت، ولكنني أجبرت نفسي على التراجع، اضطررت، «ماذا قالت «جريتنا» ؟

أخذ سحبه أخرى من سيجارته، رفع ذقنه ليطير الدخان عاليا في الهواء، وبعد ذلك ضحك. «جريتنا؟ لم تقل أي شيء إنها مريضة، هذه اللعينة موالية لك

ولكن بعد ذلك كيف....؟ من الذي...؟

ما زال الوقت كما هو، وفي نفس الوقت يبدو أنه يمر بسرعة كبيرة، كان يحدق النظر في وجهي لفترة طويلة، ثم ارتفع أحد الحاجبين .

«حسنا. من تعتقدين أن يكون؟»

«هناك شخص واحد يعرف، وأنها لن تفعل ذلك أبداً..»

«روث» لن تخونني أبدا. هذا ما قصدته. على الرغم من أنني لم أكمل الجملة. تجاهل، و مازالت هذه الابتسامة الساخرة على وجهه. أطفأ السيجارة وسحقها بقدمه، ثم اضطجع بشكل أكثر راحة ومدد ساقيه على النافذة، أسقط ما تبقى من مشروبه في كوبه، ولم يقل كلمة واحدة، مكث منتظراً، فكرت في «روث» التعبير على وجهها عندما حاولت أن أشرح لها ما كنت أفعله في مطبخها، عندما استمعت إلى نداءاتي.

روث، هذا يجب أن يبقى بيننا، حسناً؟ أتعرفين ما سوف يحدث إذا تركت العمل. سوف أخرج عن شعوري و أتحول إلى شيء غير جيد. سأكون المرأة التي تضرب طفلتها، ولا أحد على الإطلاق سوف....

صحيح أن الأمور بدت أكثر توترا من المعتاد لنا منذ تلك الليلة ولكن لم يكتشف أحد في العمل هذا، كنت متأكدة من ذلك، كنت قد لاحظت، لم تقل «روث» أي شيء لهم.



فلماذا أخبرت زوجي من بين كل الناس؟، قلقها على جريتنا؟ لأنها تشعر بالقلق أنني قد أضربها مرة أخرى؟ لا، روث تعرفني أحسن من ذلك.

«لكن لماذا؟» لماذا قالت لك عن ذلك؟ ربما في تلك المرحلة، كان جزء مني على علم بالشخصية الصغيرة التي بدأت تتحرك وتقترب. إذا كان الأمر كذلك فإنني لن أشكو حقاً.

لم أعد أتعلم أي تدخل خارجي، كل شيء غرق في الإجابة التي قدمها.

أوه «تعالى، أليس هذا واضحاً؟»

كان عقلي قد كون صورة كاملة حول ما حدث في شقة «روث» هذه الليلة، صورة متزاحمة التفاصيل، الحقيقة أنه عندما فتحت «روث» الباب كان هناك شيء مختلف في طريقة استقبالها لي، التوتر بدا على وجهها، عندما أخبرتها عن المرأة العارية في غرفة معيشتي، والطريقة التي نهضت بها على الفور من

طاولة المطبخ، أدارت لي ظهرها، و بدأت في تفريغ غسالة الأطباق، وقالت لي ربما كان عليك التفكير في ذلك منذ وقت سابق، سألتها ماذا تقصد .

«لديك زوج جذاب للغاية» ،كنت على دراية بما أنت مقدمة عليه عندما تزوجتيه.

ربما كان علي أن أبدي المزيد من الاهتمام لما قالت، كنت على عكس «روث»، ربما كان علي أن يكون لدي رد فعل قوي ومختلف، ولكن في هذه اللحظة جاءت «جريتتا» إلى المطبخ، كانت تريد العودة للمنزل، كل شيء كان فوضوي بداخلي، وهناك إحساس بالإحباط واليأس. وبعدها قالت هذه الكلمة في وجهي، وجدت يدي تطير في الهواء و تهبط على خد ابنتي بسرعة كبيرة، كل شيء حدث بسرعة كبيرة تماماً، تماماً كما فعلت هذه الليلة منذ ثلاثة أشهر مضت. لم أكن أمشي بل اندفعت إليه. أمد كف يدي، دفعته في اتجاه صدره، وجانب جسده بكل ما استطعت من قوة، رأيت الدهشة في عينيه، كيف كان وجهه مذهولاً وهو يهبط عمودياً من خلال النافذة المفتوحة، لم يكن يتوقع

شيء كهذا. أخذته على حين غرة، «جريتنا» كانت هناك، إلى جانبي، وصلت إلى النافذة المفتوحة، ولكن بعد فوات الأوان، لقد ابتلعه الظلام، ربما تلاقت أعينهم للمرة الأخيرة، الأب وابنته. ومن المحتمل أن هذا لم يحدث.

قضيت يوم وليلة مستلقية على السرير وحدي، الباب مغلق، معزولة عن ابنتي، الناس تكلموا معي، و لكن لا أجد إجابة شافية لهم.

في البداية، كل ما كان لدي عبارة عن صرخات ودموع. كنت قد اختزننتها على نحو صارم من قبل. بعد ذلك عندما أفرغ جسدي كل ما بداخله، خيم السكون عليّ، استغرق الوقت مني أربع و عشرين ساعة، إلى أن تمكنت من استعادة قواي لك أنهض من الفراش مرة أخرى، اثنان و عشرون ساعة قبل أن أنظر إلى عيني ابنتي ذات الثمان سنوات، كانت تقترب مني، أخذتها بين أحضاني، أهمس داخل أذنيها، إن كل شيء قد انتهى، وأنا سوف نتحرك الآن، وأنها يمكنها الاعتماد

عليّ، قلت كل هذا ولكنني لم أطلب منها السماح و
الغفران.

بمجرد أن ذهبت إلى غرفتها ونظرت في عينيها وهي
جالسة على الأرض، أدركت أن هذا سيكون مستحيلاً،
لن تسامحني أبداً.

لمدة ثلاثة وعشرين عاماً. لم نتكلم أبداً فيما حدث، لم
أكن في حاجة لأسألها ماذا أخذت منها، أو أي نوع من
الأشخاص أصبحت. لذلك، إنها لن تسامحني حتى
الآن.

(40)

الدموع تنهمر من أعيني المقفلة و تتدفق على وجهي،
ارتفاع في درجة حرارتي مصاحب بحمى، لقد رفضوا
السماح لي أن أرى أبي بعد ذلك.

أنا لست متأكدة أنني أردت رؤيته، ولكنه لم يكن شيئاً
حتى أفكر فيه. ما قيل لي أنه يمكن أن يكون مجروحاً
بطريقة مرعبة، تخيلت جمجمته المتحطمة، عظام
خده، وأنفه المهشمين، لذلك لا يوجد شيء سوى جسداً
مشوهاً.

كان الأمر بشعاً أكثر من اللازم للتفكير به، لذلك قررت
في وقت مبكر أن أفكر فيه بأقل قدر ممكن. وأفضل
ألا يحصل على الإطلاق.

بدلاً من ذلك، خلقت صور أخرى. بنفس الطريقة التي
خلقت بها أيضاً تفسيرات أخرى. ولكنها تهرب مني .

كلمات أُمي أزالَت الغشاوة عن عيني، كشفت ما كنت
أقوم بكبته وإخفاؤه، كشفت الأمر الذي كان حبيس

صدورنا في تلك الليلة، والانقسام الذي نما بيننا على مر السنوات. و لكن اعترافها لم يكن الوحيد الذي أربكني هناك شيء آخر، يد امتدت من الخلف لتمسك كتفي، أردت أن ألمسها ،ولكنني لم أستطع، ألقيت باللوم على التخدر الذي أصاب أطراف أصابعي، ولكنني لست متأكدة أن هذا هو التفسير الوحيد.

أنا آسفه جدا جريتا، لضربي لك في هذا الوقت،وبعد ذلك منعك من الدخول، و تركك بمفردك. كان هذا شيئاً فظيلاً.

كان ذلك شيء لا يغتفر. و لكنني أتمنى أن تكوني قادرة على ذلك.... أنا...آسفه جدا.

لا تزال الدموع تنهمر على وجهي ببطء، بهدوء ،كامرأة كبيرة، المشاعر المتجمدة تتلاشى، وتنحسر بعيدا، دموع من الحزن و الغضب،ولكن أيضا من العار.

لقد افتقدت والدي، حزنت عليه بشدة، جسدي بالكامل يؤلمني، كانت الحياة بعد موته، أكثر هدوء، لا لنوبات

الغضب، لا شجارات ليلية، ماما كانت ألطف و أكثر بهجة، أكثر راحة، وأنا في شدة الخجل من الاعتراف بذلك. أُمي تضغط على كتفي، ثم تُرَبِّت عليّ بحنان، نهضت، وسألت الطبيبة النفسية أين الحمام؟ عندما عادت أدراجها كانت قد ملأت الكوب بالمياه مرة أخرى، وفي يدها الأخرى منشفة رطبة، ركعت إلى أسفل وقامت بتنظيف وجهي بلطف شديد، تجفف الدموع، وتمسح الدم بعيدا، نظرت إلى يدها، تلك الأيدي! الأيدي التي أغمضت عيني، ورأيت يدين تفتحان راحتيهما، ويقذفان في الهواء جسد رجل بقسوة ليسقط، نفس الشيء عندما ركزت نظري على مياه بحيرة الخبث، باستثناء الرجل الذي رأيته لم يسقط في البئر، ولكن من النافذة، والأيدي التي رأيته لم تكن يدي ولكن كانت يد أُمي.

تقول: « في الغالب جروح سطحية، ولكن أنتِ مصابة بالحمى، ولديك كدمة في عنقك وكتفك، هل هذا يؤلمك؟ »



أجفل و أكثر عندما تلمس بيدها المنطقة التي أصابها
المجداف، «أنتِ فعلت الشيء الصحيح . بالطبع الشيء
الصحيح».

الصوت القادم من الغرفة الأخرى يبدو فظا وقاسيا.
يدا أُمي توقفتا عن الحركة، الطيبة النفسية استدارت
لتتحقق في صفوف النوافذ المواجهة للرصيف، أشرت
إلى أنني أريد أن أجلس مرة أخرى، ووالدتي
ساعدتني، وبعدها جاءت مرة أخرى لتغسل وجهي، لم
تتوقف إلا بعد أن أبعدت يدها بلطف مرة ثانية، ذهبت
إلى المطبخ، وعندما عادت أدراجها كان معها كوبا آخر
من الماء، أعطيته للمرأة الشقراء، التي أخذته بدون أن
تتكلم، ربّعت أُمي يدها و تنهدت بصوت مسموع .

هذه ليست المرة الأولى، هذا الموقف مع «جريتّا»،
أليس كذلك؟

شربت الطيبة النفسية الماء في جرعة واحدة.

«لا. لكنها المرة الأولى التي تصبح حاملا بحسب معرفتي. لذلك «أليكس» كان لديه عشيقات قبلي أو ربما في نفس الوقت من يدري»

بحثت داخل نفسي لرد فعل ما على هذه الحقيقة لكن لم أجد.

كان هذا عندما كانت أُمي في المستشفى، عندما اكتشفت شيئا عن هذه العلاقة، سمعت عن الطفل لاحقا، بعد والدتي.... بعد أن ماتت.

«ذهبت أُمي إلى الأريكة و جلست على إحدى طرفيها.

« أنا آسفه» تقوم الطيبة النفسية بتدوير الكوب في يدها، تحقق النظر كما لو أن الكوب يحتوي على إجابات.

لم يكن مثيرا للشفقة، مشاهدة الناس الآخرين يعانون، يصيبهم بالأذى، هذا هو نسمة الحياة بالنسبة لـ«أليكس»، إنه بارع في هذا، ويفعل هذا بكل طريقة ممكنة، بكلماته، بحركاته، بيديه .

هذا هو زوجها التي تتكلم عنه، صديقي السابق.

كلماتها استحضرت الصور في ذهني، ترسل الرعشة من خلال جسدي، إذن أنا لست وحدي في تجربة تلك النوبات المتكررة من الألم والإذلال والإهانة..

ما الذي أخضعها له هذه المرأة التي عاشت معه مدة طويلة؟ فكرت في الصوف المشغول و السترات التي كانت تعتاد على ارتدائها عندما كنت أذهب إلى مكتبها. من النادر أن يكون جسدها عارٍ، على الرغم من كوننا في الصيف، فهمت.

بعض الأفكار تداهمني وتتسابق في عقلي. ومع ذلك أنتِ تزوجتيه وعشتِ معه، وبقيتِ معه. لماذا؟

في اللحظة التالية تصورت فتاة ذات شعر أشقر، ولها غمازة في ذقنها، وعرفت لماذا كان هذا، على نحو أسوأ في البداية، قبل أن أفهم الرموز وأتعلم، في وقتنا الحاضر بالكاد.....

الطبيبة النفسية، رفعت يدها وبعد ذلك وخفضتها
ووضعتها على فمها

«يمسك بي....»

متى أدركت أنك في حاجة لأن تخضعي له ؟ متى
بدأت تعتقدين أن هناك شيء غير صحيح بك؟ وأنت
تتحملين اللوم على الطريقة التي يعاملك بها؟.

في البداية اعتقدت أنني أسأت فهمها. بالطبع لم تكن
أمي هي الأولى التي تقول مثل هذا الكلام، استدرت
لأنظر إليها، ولكنها لم تكن تنظر لي، يبدو أنها كانت
تهندم ملابسها بهدوء، تصقل تجاعيدها الوهمية. اليد
الموضوعة على فمها تسقط على حضنها، تحقق في
والدتي لفترة طويلة، بدت السحابة التي على عينها
ووجهها تلين، قالت:

« أنا أعلم بالضبط » إنها المرة الأولى التي قالها

توقفت، ووضعت يديها على حلقها، رأيت الخاتم
الذهبي في يدها اليسرى، أرى كم هي مرتبكة، انحنيت

أمي إلى الأمام وأمالت رأسها إلى جانب واحد، كان صوتها رقيقا.

«ماذا قال؟»

أنت مريضة في عقلك، مرض سخي، أنا لا أتذكر بالتحديد أين ومتى و ما الذي فعلته لإزعاجه في هذا الوقت، ولكنني أتذكر إحساسي عندما قال ذلك. الكلمات التي أطلقت عليّ أسكتتني، كنت أسير طوال اليوم وأنا في حالة من دهشة وذهول، كل شخص قابلته، المرأة التي تقف أمامي في متجر البقالة، الأب الذي التقط طفلة في نفس الوقت الذي كنت أفعله في الحضانة... اليوم قال زوجي أنني مريضة عقلية.

ما رأيك في ذلك؟

هذا ما أردت أن أسأله، لكن بالطبع، لم أفعل.

أرى وجه «أليكس» المبتسم أمامي، أسمع الكلمات التي تحدث بها.

أعتقد أنك مجنونة قليلا ليس بالضبط في العقل.

تسند نفسها على ذراع الكرسي، الطبية النفسية تحاول الوقوف على قدميها ببطء، في تلك الليلة عندما وضعت رأسي على الوسادة، فهمت أخيرا، لماذا كانت هذه الكلمات الاستثنائية تضايقني بشدة، لماذا كنت أصمت بدلا من أن أدافع عن نفسي، ما قاله.... لم يكن هذا الاتهام قد انتشر من فراغ، ليست مجرد إهانة غبية، لم أكن أبدا.... لقد شعرت تماما...»

تقف هناك، تهدف إلى ركل كومة أخرى من الصحف وقطع من الخشب، تبعثرهم على السجادة، وبعدها خلعت سترتها البيضاء و مرت يديها الشاحبتين صعودا وهبوطا .

«من داخل أعماقي، كنت أعلم أنه على حق، ما قاله صحيح».

غيرت من وضعها، أبقت وزنها على رجل واحدة. النسيج الأزرق من ثوبها يلتصق بجسدها، ويكشف عن



نتوء عظام الورك. على الرغم من الحرارة فإنها مغطاة بالشعر الأشقر، لا تضع مكياج، لا يمكن أن نكون مختلفتان أو متشابهتان، «كنت أعلم أنه لا يوجد أحد آخر سيقف معي. ومنذ ذلك الحين، بذل قصارى جهده أن يذكرني أنني بدونه لا شيء، وأنا.... حسناً، لقد فعلت ما بوسعي.... لأتعاون».

الطبيبة النفسية استدارت إلى حيث تضيء الشمس المتدفقة من النافذة فوق ذراعها الأيسر وخذها.

وجه أمي عبارة عن قناع معبر عن قرار غاضب، حتى الآن، الطبيبة النفسية استدارت إليها، وبعدها نقلت نظراتها إلى حافة السجادة والبروز على مقبض الفأس.

نظرت إلى أمي مرة ثانية، وقالت بتردد «بالضبط» حتى الآن».

أحسست ببعض الحيرة و الارتباك بها، و تساءلت: ما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك؟ أين يمكن أن

نذهب؟ بعدها لم يكن لدي الوقت للتفكير أو الشعور
لأنه في تلك اللحظة، كان هناك طرق على الباب .

(41)

شخص ما يشهق. أمي و الطيبة النفسية يتبادلان النظرات السريعة لبعضهن، لا أحد يتحرك، طرق آخر على الباب، هذه المرة أقوى وأكثر إلحاحا، كانت أمي في النهاية هي الشخص الذي تحرك بتصلب، وخرجت إلى المدخل.

عندما رجعت كان يرافقها اثنان من ضباط الشرطة، واحد منهم كانت الشرطية التي تكلمت معها ذلك اليوم، نظرت في محيط الغرفة، مشيرة إلى الصحف الممزقة وطاولة القهوة المتحطمة .

تنظر إليّ وأنا ملقاة على الأرض، ثم إلى أمي، و للمرأة الشقراء ذات الفستان الأزرق، وبعد ذلك إليّ.

«ما الذي يحدث هنا؟»

عندما لم أرد عليها، استدارت إلى زميلها، رجل ذو كرش كبير، وضع يديه على وركيه وهو يتقدم إلى الأمام.

تلقينا مكالمة من رجل مسن، شيء بشأن فأس. امرأة هنا في الحي سلوكها يبدو عليه الارتباك و الترويع، هل يمكن أن تخبرونا عن أي شيء بخصوص هذا ؟

شيء عن الفأس. يجب على أن أقوم بمجهود لعدم النظر إلى التتوء في السجادة حيث تختبئ الفأس.

رأيت الطيبة النفسية تتقهقر، تأخذ خطوات صغيرة وتبدو بالكاد إنها تتحرك، تقف على مقربة شديدة من الفأس، هل تحاول أن تستخدم جسدها في إخفاء الانبعاج في السجادة؟، أو أنها تستعد للإمساك بالسلاح الكامن وتهاجمنا به إذا لزم الأمر؟

أجبرت نفسي على ألا أتحرك في اتجاهها، بدلا من ذلك ثبت نظراتي على الشرطية.

الرجل العجوز كان بالخارج يمشي مع كلبه عندما ركض نحو المرأة، وأضافت. «أنه أخبرنا أنها كانت مضطربة، ويبدو أنها متوترة للغاية وكانت تحمل فأس. كما ذكر زميلي للتو، لذا نحن نلقي نظرة حول



الحي، إنه مكان جميل لكنه مهجورا، ونحن نطرق على الأبواب لمعرفة ما إذا كان أي شخص قد رأى أي شيء يدعو إلى الشك».

مرة ثانية نظرت حول الغرفة، ثم إلى كل واحد منا، ولكن لا أحد يجيب. أعين ماما تتنقل وتضيق، كلما فكرت خطر في بالي أنها لاتعرف أنني المرأة التي يتحدث عنها البوليس، إن الفأس في الأصل يخصني، إنها رأتَه فقط في يد المرأه الشقراء، ما الذي يدور في ذهنها الآن؟ هل ستتهم الطيبة النفسية؟ هل تفكر في إخبار الشرطة ما الذي يجري هنا؟ جزء مني يريد أن يصرخ في وجهها ويقول لها افعلي هذا، لتنقذنا نحن الاثنين لو استطاعت، وجزء آخر مني لا يزال يدرك تماما أن الفأس في متناول ذراع الطيبة النفسية، إذا أرادت، ستشطر رأسي إلى نصفين قبل رد فعل الشرطة، لو الأمر أصبح مخيبا للآمال ومحبط بالدرجة الكافية، ماما فتحت فمها لتتكلم، ولكنها قفلته، ومرة أخرى تهز رأسها.

الشرطي مسح جبينه، وصاح بحنجرتة عاليا، حسنا،
أنتم مجموعة مفعمة بالحياة.

ثم قالت زميلته ما الذي حدث هنا بالضبط؟

ألقت نظرة حاسمة على الغرفة قبل أن تقف عيناها
عليّ، اقتربت مني أكثر، مالت رأسها إلى جانب واحد،
وبعدها حولت عيناها إلى أسفل، ونظرت في وجهي،
أحاول أن أغلق عيني وأستدير بعيدا، بدلا من ذلك،
تشجعت، وقابلت نظرات أنا في انتظارها لتتعرف
على، لتتذكر سلوكي اللاعقلاني في آخر مرة تلاقينا
فيها.

ربما بسبب تواجد أشخاص كثيرين في الحجرة، أو
ربما أنها لم تتعرف عليّ لأنني بدون مكياج، و في
حالتي الحالية الشيء الوحيد الذي قالته من أين
أصبتى بهذه الجروح في وجهك؟ وهذه الكدمة؟
تقدمت أُمي إلى الأمام، حيث أنها كانت واقفة بيني
وبينها.

كما ترين ابنتي ليست على مايرام، إنها تخلصت للتو من علاقة مؤذية، ومما زاد الطين بلاء، أنها تعاني من الحمى، تستطيعون أن تتحسسوا جبهتها بأنفسكم إذا أردتم. أنا كنت معها طول اليوم وكانت في حالة سيئة لا تسمح لها بالذهاب لأي مكان.

أقلت، طول اليوم؟

استقامت الشرطية بظهرها، وصوبت نظراتها على أمي، الهواء كثيف مع التوتر، يبدو أن أمي قد تعافت، بنظرة ثابتة واجهت عيون الشرطية، والتي قالت بعد لحظات «بما يبدو أنه نوع من الانسحاب»، وبعدها استدارت إلى زميلها، ورفعت أحد حاجبيها، حسنا من يدري؟

تقول في استهجان «لا يبدو أن أحدا آخر قد رأى المرأة التي تحمل الفأس غير الرجل المسن الذي كان يسير مع كلبه»



رفع يده ليرسم علامات استشهاد في الهواء حول كلمة سيدة الفأس. تشير هذه الإيماءة المتكتلة، بالتوازي مع التعبير على وجهه السمين إلى أنه غير واثق من مدى مصداقية ادعاءات رجل مسن وحيد .

الشرطية ذات الشعر الداكن استدارت إليّ مرة ثانية، وفي هذه المرة أدركت أنها تعرفت عليّ، حدقت بي لفترة طويلة، ثم زمت شفتيها.

«لو أن أحاً قام بإيذائك عليك لأن تقومي بعمل محضر» وقالت أخيراً «هناك مساعدة أكيدة»

وهي تشير إلى الطاولة المحطمة خلفنا. ربما تعتقد أنها نتيجة للعلاقة العنيفة التي أشارت أُمي إليها. وأضافت «عليك الاعتناء بنفسك، حسناً؟»

وبدون انتظار الرد ،استدارت لمواجهة أُمي، التي بدورها أومأت بشكل لافت للنظر.

«سأتأكد من أنها ستحصل على أفضل رعاية ممكنة».

تتنفس الضابطة ارتياحا، العلاقات المؤذية جسديا تبدو وأنها أصبحت سمة أمانا هذه، كان لدينا شكوى في وقت سابق، أم قلقة لأن ابنتها قد هددت بسكين من قبل صديقها .

لا أعتقد أنه لديك نفس التهديد؟

قبل أن تتمكن من تكملة الجملة، أخذ الشرطي الرجل خطوة إلى الأمام، وقال : إنه طفل، لفت نظرنا منذ فترة من الوقت، إنه زعيم لمجموعه من الشباب التي تبدو أنها متخصصة في إساءة معاملة الحيوانات.

إن تلميحا من الإزعاج في عيون الشرطية يكشف أنها تعتقد أنه ليس من الضروري أن يعطي زميلها تفاصيل دقيقة، أشعر بتكوين على شكل عقدة قاسية في معدتي، سوء معاملة الحيوانات، استخدام السكين ببراعة، الفتاة، «جريت» ،أريد أن أصرخ، هل هي بخير؟ لكن الكلمات تفشل أن تخرج، عل الرغم من الماء الذي شربته، يشعر حلقي مرة أخرى بالجفاف.



وضعت أُمي يدها على صدرها، وأخذت نفساً عميقاً.

« يا إلهي، تلك الفتاة المسكينة! وسوء معاملة الحيوانات؟ ماذا يوجد على الأرض؟ هناك خطوط بيضاء وسوداء في ذهني. أستطيع أن أشعر بشيء صغير رشيق يتجعد بجانبني، ثم تذوب الصورة، الشعور بالدفء يتلاشى ويتبخر ليحل محله شيء حاد وبارد، «تيريث» من يعرف؟.

قالها الشرطي الرجل، «ربما يكونون ساديين، أو ربما يشعرون بالملل فقط».

قاطعته الشرطية أطفال هذه الأيام - «على أي حال» نحن لن نقف هنا لتأمل ونخمن، ولكن إذا رأيتم أو سمعتم أي شيء قد يساعدنا في هذه القضية...»

هزت أُمي رأسها، ووجهها شاحب «لا، الحمد لله إنها مجرد مصادفة أننا هنا في زيارة قصيرة، وبالنظر إلى جميع الأشياء الفظيعة التي حدثت حولنا، لا أعتقد أننا

سنرجع مرة أخرى، الخبث أي نوع من الأسماء ليطلق على بحيرة؟

رفعت الشرطة يدها في الهواء ضاربة كفا على كف، إنه ليس الاسم الرسمي. لكني أعتقد أنه بعيد المنال، ليس بالضبط نوع الاسم الذي يجذب السياح. إنه منفر وبغيض بعض الشيء، إنني جديدة هنا، وقبل بضعة أيام فقط سمعت أن هذا ما يطلقه عليها السكان المحليون على البحيرة. بهذا الكلام استدارت ومشت خطوات قليلة إلى الأمام نحو المدخل الأمامي، تساءلت هل سيغادرون؟

وعلى نحو مقلق تحركت من موضع جلوسي غير قادرة على اتخاذ القرار، سواء ما إذا كنت أخشى أكثر من وجود الشرطة هنا أو رؤيتهم يغادرون.

مازلت أفكر في الشيء الأسود الكامن تحت السجادة. الفوضى الكبيرة في الغرفة يجب أن تشتت انتباه أفراد الشرطة عن ملاحظة الانتفاخ المتواجد في السجادة.

خرج الشرطي إلى الخارج، ولكن توقفت الشرطة ولم تتحرك حيث استدارت إلى الطيبة النفسية وإلى زاوية السجادة الأمر الذي جعلني أحبس أنفاسي، وأتابع نظرات الشرطة، رأيت زوجة «أليكس» ووالدة «سميلا» واقفة هناك، مرتدية فستانها الأزرق، تنكئ على الحائط كما لو أنها تتمنى أن ينشق ويبتلعها داخله، سألتها الشرطة وأنت من تكونين؟

ترددت الطيبة النفسية و لم تتكلم. بدا لي أنها انزلت إلى أسفل الجدار، وتخيلت أن يدها المرتعشة لمست أرضية الحجرة، قد يكون هذا حقيقياً، أو قد يكون من وحي خيالي، نعم من أنت؟ هذا هو السؤال الذي يخرق عقلي المدمر. بعدها سمعت إجابة صوتية مألوفة،

إنها أمي التي ردت، وقالت «صديقة، إنها صديقة».

ربما ترددت أمي لوقت أكثر من اللازم، و لكنها عندما تكلمت، لم يكن هناك أي أثر للشك أو الريبة في

صوتها. ولكي تؤكد كلامها أومأت برأسها كتعبير عن الموافقة. نعم إنها صديقة .

ينظرن إلى بعضهن البعض، كان لدي شعور داخلي بأن أمي لن تحمي الطيبة النفسية من قبضة الشرطة من أجلي، ولكن كان هناك شيء آخر، كلا الشرطيين الرجل والمرأة انصرفا إلى الخارج. و سمعت الباب يوصد وراءهم. عندها رأيت أمي والطيبة ينظرن إلى بعضهن البعض في تأمل، حينها كسرت أمي هذا الصمت.

حسنا أعطني الفأس، سوف أضعها بعيدا، ولنجلس سويا ونتكلم، لك الحرية في أن تسأليني ما تشاءين، سوف أخبرك بكل ما تريدين معرفته.

كلا من أمي والطيبة النفسية تحركتا ببطء، رأيت شيئا أسود تم التقاطه، وتبادلت أيديهم به، سمعت وقع أقدام تغادر الغرفة، تلاه أصوات قعقة، وبعد ذلك عاد وقع الإقدام مرة أخرى إلى الغرفة، لا يوجد المزيد من الأصوات باستثناء أصوات تتكلم بهدوء وطمأنينة،

تكاد رأسي أن تنفجر. ثم أغلقت عيوني، أنا مرهقة،
مرهقة جدا.

(42)

غالبني **النعاس**، وحلمت بأن أمي و طبييتي النفسية السابقة يجلسان إلى جانبي على طرفي الأريكة، يتحدثان، وبين الحين والآخر تميل أمي إلى الأمام لتلمس جبهتي، لمتابعة درجة حرارتي، أو لعدل الوسادة التي وضعتها تحت رأسي.

في أحلامي سمعت الطيبة النفسية تقول «إذن صديقتك كانت تحب زوجك؟ هل لهذا السبب أخبرته رغبة في إحداث وقية بينكما؟»

«أو أنهم بالفعل كانوا على علاقة غرامية». سمعت أمي تقول هذه الجملة، ثم أدركت أنني مستيقظة. وأضافت «من يدري، ربما كانت تشعر أنها منبوذة منذ أن استمر في معرفة العديد من النسوة، عندما كانت تتحدث عن «روث».

نبرة صوتها كانت تخلو من المرارة أو الحقد ولكن كانت تبدو كما لو أنها منهكة القوى، في بادئ الأمر



وجدت أن هذا يدعو إلى الاندهاش، ولكن بعد ذلك وجدت أنه من الغريب أن أحصل على رد فعل كهذا، والسبب يعود إلى ما هو أساس إدراك لمشاعر والدتي أو وجهة نظرها لما حدث. لم يسبق لي أبداً، أن جلست بجانبها على الأريكة لمناقشة هذه الأشياء. لم يقم أي منا بمحاولة جادة لبدء هذا النوع من المحادثات. ربما حاولت أُمي عندما كنت في فترة المراهقة ولكنني نحيت كل جهودها جانبا.

انتقلت بعيدا عن المنزل وابتعدت عنها أكثر، مع المحافظة على المسافة بيننا. إلى أن انتهى بنا المطاف هنا. كانوا يعتقدون أنني مازلت نائمة، وتركتمهم، مازالوا مضطجعين، فتحت عيني قليلا، أرى زوج من السيقان النحيلة، إنها ليست لأُمي، أشعه الشمس المتدفقة داخل الغرفة مكنتني من أن أرى بوضوح الشعر غير المحلوق على سمانتها، قدم واحدة تهزها صعودا وهبوطا، مرتدية صندل واسعا فضفاض، أرى طلاء الأظافر، نوع من أنواع ألوان الباستيل الرديئة. كانت

تجلس قريبة جدا مني، حتى إنني مددت يدي لألمسها،
أريت عليها، أم أخربشها. أنا في حيرة من أمري.

كان على أن أسأل، بعد ذلك ألم يتواجد أي شخص؟

الحقيقة أنها كان لديها بعض المشاكل لنطق الكلام، مما
جعلني أدرك ماذا كانت تريد أن تعرف. وهذا مافهمته
أمي أيضا.

بالطبع لقد تم الاعلان عن حادثة. الجيران في الشقق
التي في الأعلى و في الأسفل سمعوا خوار رجل في
وقت سابق، واعتقدوا أنه كان نفس الرجل الذي عاد
متأخرا وأحدث ضوضاء على الدرج، وأيضا قال الناس
القاطنين في نفس الشارع أنهم رأوا الرجل يدخن في
النافذة المفتوحة العديد من المرات. كانوا يتعجبون
كيف له أن يجرؤ وهو قاطن في طابق عال نسبيا.

تقرير تشريح الجثة يقول إنهم وجدوا كحول في دمه،
أيضا قطع من الكوب الزجاجي الذي كان يحمله،
تحركت فجأة، ركلت أرجلي حتى لا تفوتهم رؤيتها،

مما دفع أُمي للتوقف في الحال، ووجهها يمعن النظر إلى من الأريكة.

قالت لي مرحبا، لقد غلبك النوم، لذا قررت أن لا أوقظك. فكرت أن بإمكانك أن تستفيدي من الراحة، كنت أريد أن أنقلك إلى الفراش و لكنك الآن أصبحتي كبيرة على ذلك.

نظرنا إلى بعضنا البعض لفترة طويلة، إلى أن احمر وجه أُمي .

إنه حقا تورد وجهها ولو لفترة وجيزة وبعدها هرعت إلى استعادة السيطرة على الوضع. ثم سألتني كيف أنت الآن؟

على الرغم من أنني كنت مستيقظة لعدة دقائق، إلا أنني في لحظة معينة سمعت سؤالها، لم تعد رأسي تنبض بعنف، مازال الصداع موجودا ولكن أقل حدة من ذي قبل ما زلت أشعر أن كتفي متصلب ومتورم، ولكن يجب أن تكون الحمى قد هدأت .

يبدو أن قيامي بالقيولة عاد على بالنفع، ولكن كم من الوقت نمت؟ هناك إحساس مألوف ومع ذلك غريب داخل معدتي.

أنا جائعة»، مشيت بمساعدة زراع أمي الملتف حولي في اتجاه المطبخ، تناولت العديد من شرائح التوست، تساءلت ما الذي حدث للفأس، ما الذي فعلته أمي به بالفأس. ولكنني لم أسألها .

أرى دمية «سميلا» مازالت ملقاة على وجهها أسفل الطاولة، فستانها المنقط انزلق، فأنكشف زرار الدمية اللامع المصنوع من البلاستيك. بحركات بطيئة وبشكل متعمد توجهت إلى الدمية لأهضم ملابسها، وبعد ذلك وضعتها على الكرسي بجانبي. هذا المجهود أدى إلى أن كتفي المنهك بدأ يخفق مرة أخرى من الألم. الجزء الأسفل من وجهي، وأيضا رقبتني تؤلمني، أنا مازلت منهكة القوى بسبب الحمى وفوضى الأيام السابقة. بقلق وخوف أكرر أطراف أصابعي على جلدي المحيط بسيرة البطن، تساءلت هل مازلت هناك؟ شعرت بشيء داخل أعماقي يرفرف، شيء يناضل، شيء يريد أن



يعيش، سواء كان شيء أو شخص. كل شيء سوف يكون على ما يرام. يجب أن يكون كذلك. وبشهوة مفتوحة بدأت أملاً معدتي الفارغة، بينما أُمي تبحث بدقة في غرفة النوم والحمام، و تحزم كل مستلزماتي، إنها تعمل بكفاءة، تتحرك بثقة وهدوء. كما لو أنها لم تفعل شيئاً في حياتها سوى إنقاذ من المشاكل السخيفة.

خمنت أن خطتها هي أن تنهي ما تقوم به بأسرع وقت ممكن. وبعد ذلك تقودني الى المستشفى، تساءلت عن ما ستقوله للأطباء. من الأفضل ألا أسأل. الأحسن لي أن التزم الهدوء و الصمت، وأترك أُمي تتحدث.

بقت الطيبة النفسية بعيداً عن طريقنا، ولكنني عرفت أنها لم تغادر الكابينة، كان وجودها ملموساً، افترضت أنها لاتزال في غرفة المعيشة.

تدرس خطواتها المقبلة، تتأمل حياتها، تساءلت ماذا أعرف؟ الشيء الوحيد الذي أعرفه هو إن وثقت بها أُمي، فأنا أيضاً أثق بها.

بعد أن فرغت من الطعام حتى الشبع، مسحت أُمي المنضدة، وحملت حقيبتتي، متحركة نحو الباب، وهي تقول أن السيارة متوقفة بالخارج، بعدها ساعدتني في السير، تضع ذراع حول خصري وذراع حول رقبتها، أجسادنا متلاحمة مع بعضها. من الكتف و حتى الفخذ، منذ فترة بعيدة لم نقرب من بعضنا هكذا .

وصلنا بالفعل إلى الخطوات الأمامية إلى أن سمعت صوتا يأتي من القاعة، استدارت أُمي و ركزت نظراتها إلى شيء ما وراءنا، «لدي سؤال أخير. هل كان يستحق هذا؟»

ترددت أُمي، نقلت نظراتها من الطبية النفسية إليّ، ظلت تحقق في لفترة، لم أستدر إليها، لم أنظر إليّ أعين أُمي. وانتظرتها

«لا، ردت عليها أُمي، لم يكن يستحق هذا»

قادتني إلى السيارة وساعدتني على الجلوس في المقعد المجاور للسائق، من خلال النافذة رأيت

سيارتي، أستمع جزئياً إلى أمي وهي تقول «أنها سوف تعمل على أن يتم قطرها من هنا في أسرع وقت ممكن» لا داعي لأن أقلق، لن أحتاج إلى العودة إلى هنا أبداً .

مشيت حول السيارة وجلست في مقعد السائق، أغلقت الأبواب وربطت حزام الأمان، ثم جلست دون أن تشغل محرك السيارة، لم تتحرك، حتى أنها لم تقل أي شيء، ناديت عليها «ماما» كانت تنظر باستقامة إلى الأمام.

أخيراً قالت هذا الرجل«أليكس» أكان يعاملك بنفس الطريقة التي كان يعامل بها تلك المرأة؟ ماذا يمكنني أن أقول ؟ هل أخبرها عن رباط العنق من الحرير الأسود؟ كنت أحاول بث الطمأنينة بداخلها وإقناعها، وهي تمضغ شفتيها. قلت لها أنني هجرته، وأخبرته أن لا يحاول لمسي أبداً.

فكرت أمي في هذا للحظات.

بعدها سألتني عن الطفل، وما أخطط بشأنه؟ انتظرت، وأجبرتها أن تلتفت إليّ وترى الإجابة داخل نظراتي، أومأت ببطء، بسطت يدها، ووضعتها على خدي المصاب، «إذا حاول «أليكس» الاتصال بك- أنت أو الطفل- آجلا أو عاجلا سوف يكتشف أنني رحلت بناء على رغبة زوجته، تساءلت كيف سيكون رد فعله؟

إنني حتى لا أريد محاولة تخيل هذا، بغض النظر عن مدى قوة وعنف رد فعله، على الأرجح أنه سيفكر مليا قبل أن يتصل بي مرة ثانية. توجد بعض المزايا في أن تكون لغزا محيرا، يوجد الكثير من المزايا بعدم إخبار «أليكس» بالحقيقة الكاملة عن أبي، أفكر فيما قاله لي في نهاية آخر محادثة هاتفية بيننا، وحول ما تركته يعتقد تلك الليلة. إنني الشخص الذي قام بدفع والدي من الحياة إلى الأبد، وهذا ما أنا قادرة عليه فعلا.

رفعت يدي ووضعتها فوق يد أمي الموجودة على خدي، متمنية أن تدرك ما أحاول قوله، أن تشعر بقوة وصلابة ابنتها، أنا ابنة أمي.

قلت لها «لو فعل ذلك، سأتعامل معه» تستمع أُمي إلى،
وتسمح للكلمات أن تسترسل مني، وبعدها أزالتي يدها
عن خدي، وابتسمت. هذه الابتسامة أعطتني
الاحساس بأن كل شيء سوف يكون كما يجب أن
يكون.

قالت لي انتظري هنا للحظة، إنني نسيت شيئاً
بالداخل، فكت حزام الأمان وسارت بتصميم و حزم
حول السياج المحيط بالكابينة التي على وشك أن
تغادرها، أملت رأسي إلى الخلف و أخذت عدة أنفاس
عميقة و قلت في النهاية سوف نترك هذا المكان.
فكرت في كم من الجيد و المفيد أن نعود إلى البيت
مرة ثانية، سأبدأ البحث عن شقة جديدة بأسرع وقت
ممكن، مكان لم يتواجد به أبداً، من المحتمل أن أنتقل
إلى مدينة أخرى، ولكن أول شيء سأفعله بمجرد أن
أشعر أنني أصبحت على ما يرام، سأصحح من أموري،
سوف أتصل بـ«كاتينكا» وأسألها إذا كان ليس لديها
مانع بأن نتقابل ونحتسي القهوة.

في تلك اللحظة، رأيتها تقترب بتردد وحيرة من الجانب الآخر من الطريق، بملابسها السوداء التي لا شكل لها، وشعرها الطويل الفضفاض غير المصفف، أتت إلى المكان ولكنها توقفت على بعد بضعة أقدام بعيدا، راحت تنظر إلي بصمت وكانت عيناها تتنقل من الجروح المتواجدة في وجهي إلى الكدمة الكبيرة، تكلمت أخيرا وقالت «إن أمي تكلمت مع الشرطة، عن امرأة ومعها فأس، إنني أردت أردت فقط معرفة ما إذا كنت بخير.»

رددت عليها وقلت «أنا على مايرام» ماذا عنك؟ أزاحت شعرها من على وجهها، ونظرت في الأرض.

لقد قال ضابط الشرط [أن أما قلقة حيث تلقت ابنتها تهديد بالسكين من صديقها، هل أبلغت والدتك عنه؟

الفتاة التي تلقب بجريتا تنظر في الأرض، على الطريق، في كل مكان، ماعدا أنا .

تمت في النهاية، «يالها من سخيفة حمقاء تجهل ما تتكلم عنه »

لدي شعور بانقباض في الصدر، إذن إنها في صف جورما؟ على الرغم من أنه حاول الهجوم عليها، أسألتها إذا سمعت أي شيء مما قلته عندما تقابلنا في الغابة. ولكنني لمحت قدوم أمي حول السياج، عندما لمحت جريتا مشيت أسرع، بسرعة مددت يدي و سمعت كلام الشرطية يصدر من بين شفتاي، أن المساعدة متاحة، رأت الفتاة يدي ممدودة إليها ،لم تتحرك للحظة، وبعدها رفعت يديها ولمست أصابع يدي بأصابعها، كانت باردة مثل جليد، عندها سمعت صوت أمي المسيطر المتسلط يدوي في الهواء، «مرحبا» من أنت؟ و ماذا تفعلين هنا ؟ نزعفت الفتاة يدها بعيدا ونظرت إلى عيني للمرة الأخيرة . بصعوبة بالغة وهمست لها اعتني بنفسك ،اتفقنا؟.

هربت، بدون إضافة أي كلمة حينها، فتحت أمي باب السيارة وثبتت حزام الأمان، وعندما سألتني عن الفتاة، ارتجفت. لحسن الحظ إنها لم تصر على سؤالها،

عوضاً عن ذلك قالت لي حبيبتي، إنني أفكر في شيء ما، قفلت باب السيارة ونظرت إلى المرأة، رأيت شخصية صغيرة هزيلة تختفي، ومن مسافة بعيدة أكاد أراها مثل خيط رفيع، وبعد ذلك غابت عن عيني.

أدارت أمي محرك السيارة ثم قالت لي أتمنى أن تعرفي أنني سأفعل أي شيء من أجلك، أي شيء على الإطلاق، جريتا، أومأت وقلت لها إنني أعرف يا أمي.

سوف تحتاجين الكثير من المساعدة، ليس من السهل أن تكوني حاملاً، ومع ذلك عندما يأتي المولود لن يكون الأمر سهلاً، كأم عزباء، سوف تحتاجين إلى كثير من الدعم و المساعدة أريدك أن تعرفي أنني.....»

ولكنها لم تكمل ما كانت تريد أن تقوله، وتوقفت لمست يدها الموضوعه على ذراع ناقل السرعة وقلت لها، شكراً لك يا أمي، التففت إلي، وابتسمت تلك الابتسامة المتميزة بها ومنها انطلقنا.

(43)

لم أتمكن من توجيه ضربة قوية بالمجداف، كانت الزاوية غير صحيحة، مما أدى إلى ضعف قوة الضربة، لقد أغمى عليك، و لكن هذا ليس بسبب ضربة المجداف ولكن في المقام الأول ناتجا عن حالتك السيئة التي كنت عليها، ربما كان علي استخدام الفأس، بينما كنت مستلقية على الأرض، قبل أن تصل أمك التي قلبت كل شيء رأسا على عقب، لقد تعرفت عليك بمجرد أن فتحت لي الباب، وأدركت أنك كنت عميلة سابقة في عيادتي، ولكن استغرقت بعض الوقت قبل أن أحدد هويتك، وبعدها تذكرت القصة الغريبة عن سقوط والدك من النافذة، القصة التي لم يكن لها نهاية مناسبة، كنت متأكدة عندما جلست بجانبني، وتكلمنا فيما يخص القضية، كنت متأكدة أنك كنت علي يقين أنك الشخص الذي دفعه. كل شيء يتعلق بك، لغة جسدك، نبرة صوتك، تعبيرات وجهك - يشير إلى الكثير.

لذلك عندما أردت أن تنهي جلسائنا دون أن تفرغي هموم قلبك، حاولت منعك هل تتذكرين؟ من الأرجح أنك لا تتذكرين، من الواضح أن كلامي لم يعن الكثير بالنسبة لك، لذلك تركت مكتبي ولم تعودي ثانية، وأنا بدوري انتقلت إلى مكان آخر، لم أفكر فيك منذ ذلك اليوم، ليس حتى الآن.

وقفت في المطبخ ونظرت من خارج النافذة على الرغم من أنني لم أستطع رؤيتك، و لكنني كنت أعرف أنك مازلت بالخارج، منذ لحظة سمعت باب سيارة يغلق بعنف.

في غضون دقائق بدأ المحرك في العمل، و أنا أقف هنا أستمع، بينما أنت ووالدتك تختفيان، هل سوف أندم أنني تركتك تذهبين؟ أنني لم أستخدم أيدي العارية لأنتزع ما ينمو بداخلك؟ لقد تركتك تذهبين من أجل خاطر والدتك فقط، بعدما تقاسمت قصتها معي، لا أقدر أن أرفع يدي على ابنتها، ظننت أنني بالفعل في أسوأ الحالات، لكن الآن لدي شعور بأن شيئاً أكبر من ذلك فيما يخص هذا الموقف، شيء مروع وقوى،

التحدي الأكبر في حياتي، شيء سيحررني، أراها تعود مسرعة نحو الكابينة تسحق دواسة الباب بقدميها، ثم انفتح الباب الأمامي، لابد وأنك نسيت شيء ما، خرجت إلى القاعة لأقابلها، إنها لم تخلع حذاءها، لم تتحرك للدخول، اكتفت بالوقوف هناك والتحديق في، ثم قالت في النهاية.

« لن يكون لدى جريتا المزيد لتفعله مع زوجك » أعدك .

أعرف أنها تقول أنه إذا لم يكن صحيحا، لقد رأيت بعيني قوتها وخوفها عليك، ربما لم تريها بنفسك، ربما لا تريد الاعتراف بها، ولكن هذا أمرا واقع . أومأت بأنني قبلت رسالتها، أنا توقعت منها أن تستدير و ترحل، ولكنها مكثت مكانها على سجادة القاعة.

لقد سألتني إذا كان الأمر يستحق كل هذا؟ في باديء الأمر كنت متوترة ومرتبكة.

لقد أجبت على سؤالي، وبعدها فهمت هذه المرة، أنت لست هنا للاستماع، أشعر بنبضات قلبي تزداد، هل كان

يستحق؟

في النهاية طلبت من جريتا أن تسامحني على تركها بمفردها طوال هذه الفترة، ما فعلته هو حقيقة أنني قتلت أبيها، شيء لم أطلب منها أن تغفره لي، ولن أقوم بإهانة نفسي أو إهانتها بالإقدام عليه .

نداء التسامح الحقيقي استلزم الندم على ما حدث، كلماتها تدور في الهواء بيننا، و أغفلت عيناها عليّ.

هل هذه الإجابة واضحة بما فيه الكفاية بالنسبة لك؟

جلدي يوخزني و يؤلمني، أشعر كما لو أن كل وعاء دموي في جسدي مفتوح، أومأت وأحسست أن كلماتها أحيت شيئاً ما داخلي، إن التحدي الكبير أمامي ينتظرني، لقد كنت أفكر في كل شيء بعد ظهر اليوم، منذ أن انتهت من رواية قصتها، منذ أن سمعت نفسي أقول أشياء عن «أليكس» لم أقلها من قبل، معبرة عن نفسي بطريقة لم تطرق على بالي من قبل، والآن فهمت. عندما كنت معه - أو بالأصح بدونه - كنت

لأشياء. بسيطة، عادية جدا. وبالرغم من ذلك كانت هذه الحقيقة طوال هذا الوقت.

نظرت بإعجاب و إقرار بالفضل إلى المرأة الواقفة أمامي، وأخيرا، فهمت معنى هذا اللقاء الذي يبدو أنه من قبيل الصدفة في مارهم.

«أنا آسفة من أجل والدتك»؟ هل كنت قريبة منها؟

أشعر بوخزة ألم في قلبي، وأجبتها أنني أفقدتها جدا، أومأت برأسها لوهلة، وكانت على وشك فتح الباب إلا أنها توقفت، مالت عليّ بقرب شديد، حتى أن إحدى خصلات شعرها لامست صدغي، تأكدي وهمست لي، تأكدي من أن ابنتك في مكان آخر واعتبري أنها كما لو كانت حادثة، وبعدها ذهبت.

بعد دقيقة سمعت صوت محرك السيارة، وزيادة سرعتها، وأخيرا تلاشت في السراب، وقفت في الصالة متجمدة في مكاني، كل شيء ظننت أنه فُقد- كل ما



اعتقدت أنه تلاشى واختفى في الهاوية ظهر من جديد، والفضل يرجع إلى آخر نفس لأمي.

لذلك أستطيع إعادة اكتشاف كل هذا من جديد. في طريقي لاستعادة كل هذا كينونتي، ابنتي، مستقبلنا ..

ببطء استدرت واتجهت إلى غرفة المعيشة، لدي الكثير أن أفكر فيه قبل عودتي إلى البيت الكثير لك أخطط له، جلست على الأريكة، على الجانب حيث كانت والدتي تجلس عليه، إذا أغلقت عيني مازلت أشعر بوجود قصتها.

إنها تمنحني العزاء اللازم، وأيضا القوة والصلابة، إنني على يقين أنني أستطيع فعل هذا. تصورت «سميلا»، أستمع لضحكاتهما المؤثرة ترن في أذني.

في يوم ما بعد عدة سنوات من الآن، ربما نجلس ونتحدث، حديث بين أم وابنتها الناضجة، عندها سوف أسرد لها عن طريقي في الحياة، الدروس التي تعلمتها، لا أعرف بالتحديد ما سوف أقوله، ولكني أعرف من

أين سوف أبدأ، إنني أعرف أول جملة سأبدأ بها
قصتي: الأم الجيدة لا تتشكل حسب الظروف، ولكنها
هي التي تسيطر وتكون قادرة على تشكيل الظروف
بإرادتها.



المفقود - شكر و تقدير أتوجه بالشكر إلى الناشر الدؤوب، وإلى القراء المتبصرين،
أصدقائي الرائعين وجميع أفراد عائلتي المحبة والداعمة لي، أخيرا و ليس آخرا أشكرك
على قراءة كتابي .

شكر و تقدير

أتوجه بالشكر إلى الناشر الدؤوب، وإلى القراء
المتبصرين، أصدقائي الرائعين وجميع أفراد عائلتي
المحبة والداعمة لي، أخيرا و ليس آخرا أشكرك على
قراءة كتابي .

عن المؤلف

كارولين إريكسون حاصلة على درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، وعملت لأكثر من عشر سنوات في إدارة الموارد البشرية، قبل أن تقرر التفرغ للكتابة، حلم طفولتها، تركز أول روايتين لها على حالتها قتل وقعتا في السويد منذ وقت مضى، ورشحت قصتها (الشيطان ساعدني) إلى جائزة الكتاب السمعي المرئي عام 2014 .

عاشت كارولين في جميع أنحاء العالم ،التحقت بمدرسة ثانوية بمقاطعة كواتينكو في ولاية فرجينيا، أكملت دراستها الجامعية في جامعة أديلايد بإستراليا، والآن تعيش في ستوكهولم.

تنكر كونها متهورة ولكنها اعترفت أنها قامت بتجربة القفز من أعلى جبل وكان هذا في نيوزيلاند.

وتعد أعظم مغامرة لها الآن هي تربية طفلها، وتستمتع بحب شديد للسفر والترحال واستكشاف

الأجزاء الأكثر رعباً في الحياة.

عناصرها النفسية المظلمة في كتابتها (المفقود) هو أول قصة مثيرة للتشويق النفسي للكاتبة كارولين إريكسون، وأول كتاب يترجم لها إلى الإنجليزية، وهي الآن تعمل بجهد على قصتها القادمة.



info@noonpublishing.net

01127772007 -02-338560372